



31.1.2015

أنطون تشيخوف

الأعمال المختارة

المجلد الرابع

المسرحيات



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION

دار الشروق



الأعمال المختارة

المجلد الرابع المسرح

دار الشروق

انطو تشيخوف

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٩٣٤١/٢٠٠٨
ISBN 978-977-09-2525-4

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

٨ شارع سيبويه المصرى

مدينة نصر - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩

فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

e-mail: dar@shorouk.com

www.shorouk.com

رسالة مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

عزيزى القارئ

فى عصر يتسم بالمعرفة والمعلوماتية والانفتاح على الآخر، تنظر مؤسسة محمد ابن راشد آل مكتوم إلى الترجمة على أنها الوسيلة المثلى لاستيعاب المعارف العالمية، فهى من أهم أدوات النهضة المنشودة، وتؤمن المؤسسة بأن إحياء حركة الترجمة، وجعلها محركًا فاعلاً من محركات التنمية واقتصاد المعرفة فى الوطن العربى، مشروع بالغ الأهمية ولا ينبغى الإمعان فى تأخيرها.

فمتوسط ما ترجمه المؤسسات الثقافية ودور النشر العربية مجتمعة، فى العام الواحد، لا يتعدى كتابًا واحدًا لكل مليون شخص، بينما تترجم دول منفردة فى العالم أضعاف ما ترجمه الدول العربية جميعها.

أطلقت المؤسسة برنامج «ترجم»، بهدف إثراء المكتبة العربية بأفضل ما قدّمه الفكر العالمى من معارف وعلوم، عبر نقلها إلى العربية، والعمل على إظهار الوجه الحضارى للأمة عن طريق ترجمة الإبداعات العربية إلى لغات العالم.

ومن التباشير الأولى لهذا البرنامج إطلاق خطة لترجمة ألف كتاب من اللغات العالمية إلى اللغة العربية خلال ثلاث سنوات، أى بمعدل كتاب فى اليوم الواحد.

وتأمل مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم في أن يكون هذا البرنامج الاستراتيجي تجسيدا عملياً لرسالة المؤسسة المتمثلة في تمكين الأجيال القادمة من ابتكار وتطوير حلول مستدامة لمواجهة التحديات، عن طريق نشر المعرفة، ورعاية الأفكار الخلاقة التي تقود إلى إبداعات حقيقية، إضافة إلى بناء جسور الحوار بين الشعوب والحضارات.

للمزيد من المعلومات عن برنامج «ترجم» والبرامج الأخرى المنصوية تحت قطاع الثقافة، يمكن زيارة موقع المؤسسة www.mbrfoundation.ae

عن المؤسسة

انطلقت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بمبادرة كريمة من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وقد أعلن صاحب السمو عن تأسيسها، لأول مرة، في كلمته أمام المنتدى الاقتصادي العالمي في البحر الميت - الأردن في أيار/ مايو ٢٠٠٧. وتحظى هذه المؤسسة باهتمام ودعم كبيرين من سموه، وقد قام بتخصيص وقف لها قدره ٣٧ مليار درهم (١٠ مليارات دولار).

وتسعى مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، كما أراد لها مؤسسها، إلى تمكين الأجيال الشابة في الوطن العربي، من امتلاك المعرفة وتوظيفها بأفضل وجه ممكن لمواجهة تحديات التنمية، وابتكار حلول مستدامة مستمدة من الواقع، للتعامل مع التحديات التي تواجه مجتمعاتهم.

المحتويات

٩	 حول مضار التبغ
١٧	 الدبّ
٤٣	 النورس
١٣٧	 الخال فانيا
٢١٢	 الشقيقات الثلاث
٣٣٣	 بستان الكرز

حول مضار التبغ
مشهد ـ منولوج فى فصل واحد

شخصيات المسرحية

إيفان إيفانوفتش نيوخين^(١) زوج
زوجته وهى صاحبة مدرسة موسيقية وبنسيون حريمى

- المسرح هو منصة حفلات فى أحد النوادى الريفية

*

نيوخين: (بسوالف طويلة، بدون شوارب، فى حلة فراك قديمة بالية.
يدخل فى عظمة، ينحنى محيياً وهو يسوى صدريته)، سادتى الكرام،
وسيداتى الكريماٲ.. على نحو ما (يمشط سوالفه). لقد عرضت على
زوجتى أن أقرأ محاضرة هنا لغرض خيرى. حسناً، فلتكن إذاً محاضرة،
فالأمر بالنسبة لى سيان تماماً. أنا بالطبع لست أستاذًا، وبعيد عن الألقاب
العلمية، إلا أنني، رغم ذلك، وعلى امتداد ثلاثين عاما، دون انقطاع،
ويمكن القول، معرضا صحتى للضرر وخلافه، أعمل فى قضايا ذات
طابع علمى بحت، أعمل الفكر، بل وحتى أكتب أحيانا، تصورا،
مقالات علمية، ولا أعنى علمية تماما، ولكن، وأرجو المَعذرة على هذا
التعبير، وهكذا، شبيهة بالعلمية، وبالمناسبة كتبت منذ أيام مقالة هائلة

(١) ملاحظة: نيوخين اسم اشتقه الكاتب، من باب الفكاهة، من فعل «نيوخات» ويعنى فى
الروسية: شم، ويمكن أن يقابله فى العربية «شام» - المعرب.

بعنوان «حول مضار بعض الحشرات». وقد حازت إعجاب بناتي الشديد، وخاصة ما كتبه عن البق. أما أنا فقرأتها ثم مزقتها. فعلى أى حال ومهما كنت، فلا غنى عن المسحوق الفارسي^(١).

البق عندنا معشش حتى في البيانو.. لقد اخترت لمحاضرتي اليوم موضوع، يعنى، الضرر الذى يعود على البشرية من تعاطى التبغ. أنا شخصيا أدخن، ولكن زوجتى أمرتنى أن أقرأ اليوم محاضرة عن مضار التبغ، وعليه، فلا معنى هنا للجدل، ما داموا يريدون عن التبغ، فليكن عن التبغ، الأمر بالنسبة لى سيان تماما، أما أنتم السادة الكرام، فأقترح عليكم أن تنظروا إلى محاضرتى هذه بالجدية اللازمة، وإلا فقد يحدث ما لا تحمد عقباه. ومن يخاف من المحاضرة العلمية الجافة، ومن لا تعجبه، فبإمكانه ألا يستمع إليها وأن يخرج (يسوى صدريته). وأرجو اهتماما خاصا من السادة الأطباء الحاضرين هنا، الذين يمكنهم أن يستقوا من محاضرتى الكثير من المعلومات المفيدة، لأن التبغ، إلى جانب مفعوله الضار، يستخدم أيضا في الطب، فعلى سبيل المثال، لو وضعتم ذبابة في علبه سعوط؟؟، فسوف تنفق في الغالب بسبب اضطراب الأعصاب. إن الطباقي هو بالدرجة الأساسية نبات.. عندما ألقى محاضرة أغمز عادة بعينى اليمنى، فلا تلقوا بالآ، فهذا بسبب الانفعال. إننى شخص عصبي جدا بصفة عامة، بدأت أغمز بعينى عام ١٨٨٩. في ١٣ سبتمبر، في نفس اليوم الذى ولدت فيه لزوجتى، على نحو ما، الابنة الرابعة فرارا. كل بناتى ولدن بتاريخ ١٣ وعموما (ينظر إلى ساعته) ونظرًا لضيق الوقت دعونا لا نبتعد عن موضوع المحاضرة. ينبغى أن أذكر لكم أن زوجتى تملك مدرسة موسيقية وبنسيونا خاصًا، ولا أقصد أنه بنسيون يعنى، بل

(١) مسحوق. كان يستخدم لمكافحة الحشرات المنزلية مثل البق وغيره. (المغرب).

هكذا، شيء من هذا القبيل. وبينى وبينكم زوجتى تهوى التشكى؟؟ من ضيق الحال، ولكنها تحفى بعض المال، حوالى أربعين أو خمسين ألفاً، أما أنا فلا أملك كوييكا واحدا. ليس عندى قرش، ولكن ما جدوى الكلام! أنا أعمل فى ذلك البنسيون مشرفاً على الشؤون المعيشية، أشتري التموين، وأفتش على الخدم، وأسجل المصروفات، وأصنع من الأوراق دفاتر، وأكافح البق، وأفسح كلبة زوجتى، وأصطاد الفئران.. ومساء الأمس كان من واجباتى أن أصرف للطاهية الدقيق والزيت، إذ كان من المقرر إعداد شطائر. حسناً، وباختصار، جاءت زوجتى اليوم إلى المطبخ بعد أن أعدت الشطائر، لتقول لى إن ثلاثاً من المريات لن يأكلن شطائر، لأن اللوز عندهن محتقنة. وهكذا اتضح أننا أعدنا عدة شطائر زيادة، فهلا أخبرتمونى ماذا نفعل بها؟ فى البداية زوجتى أمرت بحملها إلى القبو. وبعد أن فكرت قالت «كل أنت هذه الشطائر، أيها الفزاعة»، وهى تسمينى «الفزاعة» أو «إبليس» أو «الشیطان» عندما تكون معتلة المزاج. فأى شیطان أنا؟ وهى دائماً معتلة المزاج. لم آكلها بل ازدردتها دون مضغ، لأننى دائماً جائع. بالأمس، مثلاً، لم تقدم لى الغداء وقالت «لا داعى لإطعامك أيها «الفزاعة»..»، ولكن مهلاً. (ينظر إلى ساعته) لقد أخذتنا الثرثرة وابتعدنا قليلاً عن الموضوع. دعونا نواصل، رغم أنكم تفضلون بالطبع لو استمتعتم إلى أغنية عاطفية أو إلى سيمفونية يعنى هكذا، أو دور فى أوبرا (يعنى): «فى غمار الحرب لم يطرف لنا جفن..» لم أعد أذكر من أين هذا المقطع.. على فكرة، لقد نسيت أن أقول لكم إننى فى المدرسة الموسيقية التابعة لزوجتى، بالإضافة إلى الإشراف على الشؤون المعيشية، مكلف أيضاً بتدريس الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والتاريخ، والسولفيج، والأدب وخلافه.. وزوجتى تتقاضى أجرًا خاصًا مقابل

دروس الرقص والغناء والرسم، رغم أنني أنا الذى أدرس الرقص والغناء أيضا. ومدرستنا الموسيقية تقع فى حارة بيتى سوباتشى^(١)، فى المنزل رقم ١٣، ويبدو أن السبب فى فشل حياتى يعود إلى أننا نعيش فى المنزل رقم ١٣، وبناتى ولدن فى تاريخ ١٣، ولدنا فى منزلنا ١٣ قطة.. وما جدوى الكلام! يمكنكم أن تجدو زوجتى فى البيت فى أى وقت للاتفاق معها، أما برنامج المدرسة، إذا رغبتم فى الحصول عليه، فيباع لدى البواب بـ ٣٠ كوبيكا للنسخة (يخرج من جيبه عدة نشرات) وإذا رغبتم فبوسعى أن أتقاسمها معكم النسخة بـ ٣٠ كوبيكا، من يرغب؟ (فترة صمت) لا أحد يرغب؟ حسنا، بـ ٢٠ كوبيكا! (فترة صمت) شىء، محزن. نعم إنه المنزل رقم ١٣! لا أوفق فى عمل شىء، كبرت وتبلدت. ها أنذا ألقى محاضرة، وأبدو مرحًا، بينما أود لو أصرخ بملء الصوت، أو.. أطيّر إلى مكان ما فى آخر الدنيا.. وليس هناك من أشكو إليه، أود حتى أن أبكى وربما قلت: والبنات.. ما لهن البنات؟ أنا أخاطبهن، أما هن فيضحكن.. لدى زوجتى سبع بنات.. كلا، عفوا، أظن ست بنات.. (بحوية) سبع! كبراهن، أنا، فى السابعة والعشرين، والصغرى فى السابعة عشر.. سادتى الكرام (يتلفت) إننى إنسان تعيس، تحولت إلى أحمق، إلى شخص حقير، أما فى الواقع فترون أمامكم أسعد أب فى الدنيا. وهذا فى الواقع ما ينبغى أن يكون، وأنا لا أجرؤ أن أقول شيئا مخالفا. أه لو كنتم تعلمون! لقد عشت مع زوجتى ثلاثا وثلاثين سنة، وبوسعى أن أقول إنها كانت أسعد سنوات حياتى، ليس أسعدها بالضبط، ولكن بشكل عام. مرت يعنى باختصار وكأنها لحظة سعيدة، عليها اللعنة فى واقع الأمر! (يتلفت) ولكنها، كما أظن، لم تأت بعد. إنها ليست هنا، ويمكننى أن أقول

(١) تعنى الكلاب الخمسة - (المعرب).

ما أشاء.. إننى خائف جدا.. أخاف عندما تنظر إلى.. نعم إذن، أقول، إن بناتى بقين طويلا بلا زواج ربما لأنهن خجولات، ولأن الرجال لا يروهن أبداً. زوجتى لا تريد إقامة سهرات، ولا تدعو أحداً لتناول الغداء.. إنها سيدة بخيلة للغاية وعبوس، ومتدمرة، ولذلك لا يزورنا أحد.. ولكن، يمكننى أن أبوح لكم بسر.. (يقترّب من مقدمة الخشبة) يمكن رؤية بنات زوجتى فى الأعياد الكبيرة لدى خالتهن نتاليا سيمونوننا، تلك التى تعانى من الروماتيزم، وتسير مرتدية ثوبا أصفر، يقع سوداء، وكأنها نثرت عليها صراصير. هناك يقدمون المقبلات. وعندما لا تكون زوجتى هناك يمكن تناول الـ.. (ينقر بإصبعه على عنقه)^(١).. ينبغى أن أشير إلى أننى أتمل من أول كأس، وعندها أحس براحة نفسية، وفى الوقت نفسه أشعر بالحزن لدرجة يصعب وصفها. لسبب ما أتذكر سنوات الصبا، وأرغب لسبب ما فى الفرار.. آه لو تعلمون كم أرغب! (باندفاع) الفرار.. ترك كل شيء والفرار، بلا رجعة.. إلى أين؟ لا يهم إلى أين.. المهم الفرار من هذه الحياة الحقيرة، الوضيعة التافهة، التى جعلت منى عجوزاً بائساً أحمق، عجوزاً بائساً أبله.. الفرار من هذه المقترّة الحمقاء التافهة الشريرة، الشريرة، الشريرة، من زوجتى التى عذبتنى ثلاثة وثلاثين عاما.. الفرار من الموسيقى، من المطبخ، من نفود زوجتى، من كل هذه التوافه والوضاعات.. ثم التوقف فى مكان بعيد، بعيد، فى حقل مكشوف.. الوقوف هناك كشجرة، كعمود، كفزاعة طيور، تحت السماء العريضة والتطلع طوال الليل إلى القمر الساكن المنير فى الأعلى.. والنسيان.. النسيان.. آه كم أود ألا أذكر شيئاً.. كم أود أن أنزع عنى هذا الفراك الحقيّر الرث، الذى لبسته فى زفافى منذ ثلاثة وثلاثين عاما (ينزع

(١) إشارة شائعة تعنى تناول المشروبات الروحية - (المعرب).

عنه الفراك).. الذى ألقى فيه المحاضرات دائما لأغراض خيرية.. هاك ما تستحق! (يدوس الفراك بحدائه).. هاك ما تستحق! أنا عجوز، فقير، بائس، مثل هذه الصدرية، بظهرها المستهلك المهترئ.. (يكشف ظهره) لست بحاجة إلى شىء! أنا أسمى وأظهر من ذلك، وكنت فى زمن ما شابا، ذكيا، درست فى الجامعة، وكنت أعد نفسى إنسانا.. الآن لم أعد بحاجة إلى شىء! لا شىء سوى الراحة.. سوى الراحة! (ينظر جانبا ويرتدى الفراك بسرعة).. وها هى زوجتى تقف خلف الكواليس.. وصلت ووقفت تنتظرنى هناك.. (يتطلع إلى الساعة).. لقد مر الوقت.. إذا سألتكم فأرجوكم، من فضلكم، أخبروها أن المحاضرة كانت.. وأن الفزاعة، أى أنا، كان سلوكى لائقا (ينظر جانبا ويسعل) إنها تتطلع نحوى.. (يرفع صوته).. وانطلاقا من أن التبغ يحتوى على سم زعاف، وهو ما ذكرته لتوى، فلا يجوز التدخين بأى حال من الأحوال، وأسمح لنفسى، بصورة ما، أن أمل بأن تعود محاضرتى هذه «عن مضار التبغ» بالنفع. لقد قلت ما عندى.

Dixi et animam levavi^(١)

ينحنى ويخرجة بعظمة.

(١) قلتُ فسرّيت عن نفسى - باللاتينية فى الأصل.

الدب مزحة فى فصل واحد

مهداة إلى
ن.ن. سولوفتسوف

القبر، وأنا دفنت نفسي بين أربعة جدران..نحن الاثنان
متنا.

لوقا : يا سلام! دعيك من هذا الكلام، حقاً! نيكولاى
ميخايلوفتش توفى، فليكن، هكذا مشيئة الله. عليه
الرحمة..كفاك حزناً، والتفتى إلى نفسك. لن تقضى
العمر كله فى البكاء وملابس الحداد. أنا أيضاً ماتت
عجوزى من سنين.. فماذا فعلت؟ حزنت وبكيت
شهرًا، وكفاها ذلك. فلو أنى قضيت الدهر أشكو فإن
العجوز لا تستحق ذلك. (يتنهد) نسيت جميع جيرانك..
لا تزورين أحدا ولا تسمحين باستقبال أحد. نعيش،
عفوا، كالعناكب، لا نرى الدنيا. الفئران أكلت بدلة
الخدمة..طيب، هذا مفهوم لو لم يكن هناك أشخاص
طيون، ولكن الإقليم ملئ بالسادة..وفى ريبيلوف
يعسكر فوج حربى والضباط كقطع الحلوى، لا تشيع
العين منهم! وفى المعسكرات كل جمعة حفل راقص،
وكل يوم تقريبا تعزف الفرقة العسكرية..آه يا سيدتى
يا مولاتى! شابة، جميلة، قشطة وتفاع.. ما عليك إلا
أن تعيشى على كيفك.. الجمال لا يدوم! ستمر عشر
سنوات وبعدها تشائين أن تخطرى كطاووس لتفتنى
السادة الضباط، ولكن لا، سيكون الوقت متأخرا.

بوفوفا : (بحزم) أرجوك ألا تحدثنى عن ذلك أبدا! أنت تعرف

أنه منذ وفاة نيكولاى ميخايلوفتش فقدت الحياة بالنسبة لى أى قيمة. يبدو لك أننى أعيش، ولكن هذا يبدو فقط! لقد قطعت على نفسى عهداً ألا أنزع ثياب الحداد أو أرى الدنيا حتى الممات.. هل تسمع؟ فلير ظله كيف أحبه.. نعم أنا أعرف، ليس سرا عليك أنه كثيرا ما كان يظلمنى، ويقسو علىّ و.. وحتى لم يكن مخلصا، ولكنى سأظل وفية له حتى القبر، وسأثبت له كيف أصون الحب. وهناك، وراء القبر، سيرانى كما كنت قبل وفاته..

لوقا: بدلاً من هذا الكلام اخرجى أفضل إلى البستان وتمشى قليلا، أو مرى بتسريح «توبى» أو «عملاق» وانطلقى إلى الجيران فى زيارة..

بوبوفا: آه!.. (تبكى)

لوقا: سيدتى.. مولاتى! ماذا بك؟ حرام عليك!

بوبوفا: كم كان يحب «توبى»! كان يركبه دائما لزيارة آل كورتشاجين وآل فلاسوف. كم كان يسوسه بروعة! أى رشاقة كانت فى هيئته عندما كان يشد اللجام بكل قوته! هل تذكر؟ توبى، توبى! مرهم أن يقدموا له اليوم حصّة شعير زيادة.

لوقا: حاضر!

(جرس حاد)

بوبوفا: (تنتفض) من هذا؟ قل لهم إننى لا أستقبل أحدا!

لوقا: حاضر! (ويخرج)

٢

(بوبوفا وحدها)

بوبوفا: (تنظر إلى الصورة) سترى يا Nicolas كيف أصون الحب وكيف أغفر.. لن ينطفئ حبي إلا بانطفائي، عندما يتوقف قلبي المسكين (تضحك من خلال الدموع) ألا تستحي؟ أنا زوجتك المخلصة، المطيعة، حبست نفسي بالمفتاح وسأبقى وفية لك حتى القبر، وأنت.. ألا تستحي يا بطوطة؟ كنت تخونني، وتثير المشاجرات وتركني وحدي أسابيع كاملة..

٣

(بوبوفا ولوقا)

لوقا: (يدخل، قلقاً) سيدتي، هناك شخص ما يطلبك. يريد أن يراك..

بوبوفا: ألم تقل له إنني لا أستقبل أحداً منذ وفاة زوجي؟

لوقا: قلت، ولكنه لا يريد أن يسمع، يقول: أمر ضروري جداً.

بوبوفا: أنا لا أست.. ق.. بل!

٢٢

لوقا: قلت له، ولكنه.. مثل شيطان.. يشتم ويندفع إلى
الغرفة.. هو الآن في غرفة الطعام..
بوبوفا: (بعصبية) حسنا، أدخله.. قلة أدب!
(لوقا يخرج)

يا لهم من ثقلاء، هؤلاء الناس! ماذا يريدون مني؟ لماذا
يقلقون سكوني؟ (تتنهد) حقًا، يبدو أنه لا مفر من
دخول الدير.. (تستغرق في التفكير) نعم، الدير..

٤

(بوبوفا ولوقا وسميرنوف)

سميرنوف: (داخلاً، مخاطباً لوقا). مغفل، تهوى الكلام الكثير..
حمار! (يرى بوبوفا فيقول باعتزاز) سيدتي، أتشرف
بتقديم نفسي: ملازم المدفعية المتقاعد، مالك الأراضي
جريجورى ستيبانوفتش سميرنوف! مضطر إلى
إزعاجك لمسألة هامة للغاية..

بوبوفا: (دون أن تمد له يدها) أى خدمة؟

سميرنوف: كان المرحوم زوجك، الذى تشرفت بمعرفته، مديناً لى
بألف ومائتى روبل قيمة كمبالتين. ولما كنت مضطراً
إلى تسديد فوائد البنك العقارى غداً، لذا أرجوك
ياسيدتى أن تدفعى لى المبلغ اليوم.

بوبوفا: ألف ومائتان.. وكيف أصبح زوجى مديناً لكم؟

سميرنوف: كان يشتري منى شعيرًا.

بوبوفا: (متنهدة، مخاطبة لوقا) إذن لا تنس يا لوقا أن تأمرهم بإعطاء «توبى» حصة شعير زيادة. (لوقا ينصرف.
مخاطبة سميرنوف) إذا كان نيقولاى ميخايلوفتش مدينا لكم فسوف أرد لكم الدين بلا شك. ولكن، عفوا، أرجوك، ليس معى اليوم نقود زيادة. بعد غد سيعود وكيل أعمالى من المدينة وسأمره بأن يدفع لكم المبلغ المطلوب، أما الآن فلا أستطيع أن أستجيب لرغبتكم.. وعلاوة على ذلك فقد انقضى اليوم سبعة أشهر بالضبط على وفاة زوجى، أنا فى حالة مزاجية لا تجعلنى مستعدة أبدًا للاهتمام بمسائل مالية.

سميرنوف: وأنا الآن فى حالة مزاجية بحيث إذا لم أسدد الفوائد غدًا فسأطير فى ستين داهية. سيحجزون على ضيعتى!

بوبوفا: ستحصل على نقودك بعد غد.

سميرنوف: أنا بحاجة إلى النقود اليوم، لا بعد غد.

بوبوفا: عفوا، ولكنى لا أستطيع أن أدفع اليوم.

سميرنوف: وأنا لا أستطيع الانتظار إلى بعد غد.

بوبوفا: وما العمل، ليس عندى نقود الآن!

سميرنوف: إذن لا تستطيعين أن تدفعى؟

بوبوفا: لا أستطيع..

سميرنوف: إم... هذا آخر كلام؟

بوبوفا: نعم، آخر كلام.

سميرنوف: آخر كلام؟ أكيد؟

بوبوفا: أكيد.

سميرنوف: مع جزيل الشكر. فلنسجل في المحضر (يهز كتفيه) وبعد هذا يريدون أن أكون بارد الأعصاب! قابلني الآن، وأنا قادم، محصل الضرائب فسألني: «لماذا أنت غاضب دائما يا جريجورى ستيبانوفتش؟» حنانيك، وكيف لا أغضب؟ أنا بحاجة ماسة إلى النقود... رحلت من البيت منذ صباح أمس، في الفجر، ومررت على جميع مدينتي، فلو أن واحدا منهم فقط رد دينه! تبهذلت ككلب، والشيطان يعلم أين بت الليل.. في حانة يهودية قذرة، بجوار برميل فودكا.. وأخيرا أصل إلى هنا، على مسافة سبعين كيلو مترا من بيتي، على أمل الحصول على نقود، فإذا بهم يضيفونني «مزاجيات»! فكيف لا أغضب إذن!

بوبوفا: أعتقد أنني قلت بوضوح عندما يعود وكيل أعمالى من المدينة ستحصل على النقود.

سميرنوف: أنا لم أجيء إلى وكيل الأعمال، بل إليك! ما حاجتى إلى وكيل أعمالك، عليه اللعنة، وعفوا على هذا التعبير! بورفا: عفوا يا سيدى المحترم، أنا لم أعود على هذه الكلمات الغريبة، وهذه النبوة. لن أصغى إليك بعد. (تخرج بسرعة).

(سميرنوف وحده)

سميرنوف: أما غريبة! مزاجي.. منذ سبعة أشهر مات زوجي! وأنا، هل ينبغي عليّ أن أسدد الفوائد أم لا؟ إنني أسألك: هل ينبغي أن أسدد الفوائد أم لا؟ حسنا، أنت زوجك مات، ومزاجك يعني وخلافه.. وكيل أعمالك رحل إلى مكان ما، فلتحفظه الشياطين، ولكن ماذا تأمريني أن أفعل؟ أركب منطادا لأهرب من الدائنين أم ماذا؟ أم أجرى وأضرب رأسي في الحائط؟ جئت إلى جروزديف فإذا به غير موجود، وياروشيفتش اختبأ، أما كوريتسين فقد تشاجرت معه إلى حد العراك وكدت ألقى به من النافذة. مازوتوف عنده نزلة معوية، وهذه عندها مزاج. لا يدفع منهم ولا لثيم واحد! كل ذلك لأنني دلتهم أكثر من اللازم، لأنني بريالة، خرقه، امرأة! أنا معهم رقيق أكثر من اللازم! طيب، مهلا!! ستعرفون من أنا! لن أسمح بالمزاج معي، يا للشيطان! سأبقى هنا ولن أتحرك حتى تسدد! بررر!.. كم أنا مغتاظ اليوم، كم أنا مغتاظ! من الغيظ ترتعش فرائصي وانحبست أنفاسي.. أف، يا إلهي، بل يغمي عليّ (يصيح) يا ولد!

(سميرنوف ولوقا)

لوقا: (يدخل) ماذا تريدون؟

سميرنوف: هات كفاسًا أو ماد!

(لوقا يخرج)

يا سلام، يا للمنطق! أنت بحاجة ماسة إلى النقود، حتى لتفكر في الانتحار، أما هي فلا تدفع لأنها، بسلامتها، غير مستعدة للاهتمام بالمسائل المالية!.. منطق نسائي فعلاً، منطق هوانم! ولهذا بالذات لم أحب أبدًا ولا أحب أن أتحدث مع النساء. من الأسهل علىّ أن أجلس على برميل بارود من أن أتحدث مع امرأة. بررر!.. حتى بدنى يقشعر.. إلى هذا الحد أغاظنى ذيل الفستان هذا! ما إن أرى، ولو من بعيد، المخلوق الشعري حتى تصاب سمائتا ساقى بالتقلص من شدة الغيظ.. شيء يجنن.

(سميرنوف ولوقا)

لوقا: (يدخل ويقدم ماء) السيدة مريضة ولا تستقبل أحدًا.

سميرنوف: امش!

(لوقا يخرج)

مريضة ولا تستقبل! لا داعي، لا تستقبلي.. سأبقى،
وسأظل جالسًا هنا حتى تردى النقود. إذا مرضت
أسبوعًا سأبقى هنا أسبوعًا.. إذا مرضت سنة، سأبقى
سنة.. سأخذ حقى يا سيدتى! لن تؤثر في ثياب الحداد
أو الغمازات في الحدود..نحن نعرف هذه الغمازات!
(يصيح في النافذة) سيميون، فك العدة! لن نرحل
قريبًا! سأبقى هنا! قل لهم في الإصطبل أن يقدموا
الشعير للخيول! مرة ثانية يا حيوان تشتبك الفرس
اليسرى في السيور! (مقلدا) «بسيطة»..سوف أريك
«بسيطة»! (يبتعد عن النافذة) يا للسوء!.. الحر لا
يطاق، ولا أحد يدفع، ونمت نوما سيئا ليلة الأمس،
وعلاوة على ذلك هذا الذيل الحدادي والمزاج.. رأسى
مصدع.. هل أشرب فودكا؟ نعم، سأشرب. (يصيح)
يا ولد!

لوقا: (يدخل) ماذا تريدون؟

سميرنوف: هات كأس فودكا!

(لوقا يخرج)

أف! (يجلس ويتفحص نفسه) يا سلام، ما أجملها هيئة!
الغبار يغطي، والخذاء قدر، والوجه غير مغسول،
والشعر غير ممشط، وعلى الصديري قش.. ربما تكون

الهانم قد اعتبرتني قاطع طريق. (يتشاءب) ليس من التهذيب إلى حد ما الدخول إلى غرفة الجلوس في منظر كهذا، ولكن لا بأس.. أنا لست ضيفا هنا، أنا دائن، وليس ضروريا للدائن أن يهتم بمظهره..

لوقا: (يدخل ويقدم الفودكا) إنك تسمح لنفسك بالكثير ياسيدى...

سميرنوف: (بغضب) ماذا؟

لوقا: أنا.. لا أقصد.. أنا يعنى..

سميرنوف: مع من تتكلم؟! اخرس!

لوقا: (جانبا) بلينا بهذه المصيبة، أى شيطان رماه علينا..

(لوقا يخرج)

سميرنوف: آه، كم أنا مغتاظ! مغتاظ لدرجة بخيل لى فيها أننى قد أسحق الدنيا كلها... حتى إنه يغمى على... (يصيح) يا ولد!

٨

(بوبوفا وسميرنوف)

بوبوفا: (تدخل خافضة البصر) سيدى المحترم، لقد نسيت فى عزلتى منذ وقت طويل الصوت البشرى ولا أتحمل الصباح. أرجوك رجاء حارًا ألا تزعج سكونى.

سميرنوف: ادفعى لى النقود وسأرحل.

بـوبـوفـا: لقد قلت لكم باللغة الروسية: ليس معى الآن نقود
زيادة. انتظر حتى بعد غد.

سميرنوف: وأنا أيضا تشرفت بالقول لكم باللغة الروسية: أنا
بحاجة إلى النقود اليوم لا بعد غد. إذا لم تدفعى لى اليوم
فسيكون علىّ غدا أن أنتحر.

بـوبـوفـا: ولكن ما العمل إذا لم يكن معى نقود؟ شىء غريب!
سميرنوف: إذن فلن تدفعى الآن؟ كلا؟

بـوبـوفـا: لا أستطيع..

سميرنوف: فى هذه الحالة سأبقى هنا وسأظل جالسًا حتى أحصل
على النقود.. (ويجلس) ستدفعين بعد غد؟ ممتاز!
سأجلس هكذا إلى بعد غد. هكذا سأبقى جالسا...
(يقفز واقفا) إننى أسألك: هل علىّ أن أدفع الفوائد غداً
أم لا؟.. أم تظنين أننى أمزح؟

بـوبـوفـا: أرجوك يا سيدى المحترم، لا تصرخ! ليس هذا
إسطبلا!

سميرنوف: أنا لا أسألك عن الإسطبيل بل هل ينبغى علىّ أن أدفع
الفوائد غداً أم لا؟..

بـوبـوفـا: أنت لا تعرف كيف تتصرف وسط النساء!

سميرنوف: لا، بل أعرف كيف أتصرف وسط النساء!

بـوبـوفـا: كلا، لا تعرف! أنت شخص غير مهذب، فظ! الناس
المحترمون لا يتكلمون هكذا مع النساء!

سميرنوف: آه، شىء مدهش! كيف تأمرين بالكلام معك؟
بالفرنسية يعنى؟ (يغتاز ويقول ما طما شففيه) مدام،
جى فوى برى.. كم أنا سعيد بعدم ردك النقود لى..
آه، باردون إذا كنت أزعتك! ما أروع الطقس اليوم!
وهذا الحداد لائق جدا عليك! (يحك قدميه بالأرض
حيا)

بوبوفا: هذا سخيف وفظ.

سميرنوف: (مقلداً) سخيف وفظ! أنا لا أعرف كيف أتصرف
وسط النساء! سيدتى، لقد رأيت فى حياتى نساء، أكثر
بكثير مما رأيت أنت عصفير! تبارزت ثلاث مرات
من أجل النساء، هجرت اثنتى عشرة امرأة وهجرتنى
تسع نساء! نعم! وكانت هناك فترة كنت فيها أتحامق،
وأسامح، وأتعاسل، وأفرش نفسى بساطاً، وأحك
الأرض بقدمى.. كنت أحب، أتعذب، أتهجد متأملاً
القمر، وأضعف، وأذوب، وأفتر.. كنت أحب
بجنون، بوجد، وبشتى الصور، وكنت أثرثر كالوقوف،
فليخطبنى الشيطان، عن تحرير المرأة، وأنفقت على هذه
المشاعر الرقيقة نصف أموالى، أما الآن فاعفونى! الآن
لن تخدعنى! كفى! العيون السود، العيون المشبوبة،
الشفاه الوردية، غمازات الحدود، القمر، الهمس،
الأنفاس المترددة... كل ذلك لا أدفع مقابله الآن يا

سيدتى قطعة خردة! أنا لا أقصد الحاضرات، ولكن
كل النساء، من أصغرهن إلى أكبرهن، متدللات،
متغنجات، متقولات، حسودات، كذوبات حتى
النخاع، هوجاوات، تافهات، قاسيات القلب، منطههن
يثير السخط، أما فيما يخص هذا الشيء (يضر ب على
جبينه) فاعذرني على الصراحة، فإن أصغر عصفور
يكسب من أى فيلسوف فى تنورة عشر نقاط مقابل
صفر! أحيانا تنظر إلى بعض هذه المخلوقات الشاعرية،
فترى أمامك حريراً، أثيراً، نصف إلهة، مليون صيحة
إعجاب، فإذا نظرت إلى روحها، وجدت تمساحا
عاديا! (يمسك بمسند كرسى فيقطع الكرسى
ويتحطم) ولكن أكثر ما يثير السخط أن هذا التمساح
يتصور لسبب غير معروف أن الشعور الرقيق هو تحفته
وامتيازه واحتكاره! يا للشيطان، يا للجنة، علقونى من
ساقى فى هذا المسار إن كانت المرأة تعرف كيف تحب
أحدًا غير كلاب البولونيز! وهى فى الحب لا تعرف
إلا الشكوى والدموع! وبينما يتعذب الرجل ويضحى
نجد حبها لا يتجلى إلا فى هزها لذيل فستانها وسعيها
إلى إحكام القبضة على الأنف. من سوء حظك أنك
امرأة، وبالتالي تعرفين من واقع حالتك طبيعة النساء.
فلتخبرني بصدق، هل رأيت فى حياتك امرأة صادقة،

مخلصة، وفية؟ لم ترى! المخلصات والوفيات هن
العجائز والدميمات وحدهن. الأسهل أن تجدى قطة
بقرون أو دجاجة غابة بيضاء من أن تجدى امرأة وفية!
بوبو وفا: اسمح لي، فمن إذن في رأيك مخلص ووفى في الحب؟
أهو الرجل؟

سميرنوف: نعم، الرجل!

بوبو وفا: الرجل! (تضحك بغیظ) الرجل مخلص ووفى في
الحب! يا له من خبر! (بحرارة) بأى حق تقول هذا؟
الرجال مخلصون وأوفياء! طالما هكذا دعنى أقل لك
إنه من بين جميع الرجال الذين عرفتهم وأعرفهم كان
المرحوم زوجى هو الأفضل.. كنت أحبه بوجد،
بكل كيانى، كما تقدر أن تحب امرأة شابة مفكرة.
وهبته شبابى وسعادتى وحياتى ومالى، كنت أعيش
على أنفاسه، وأصلى له كوثنية و.. و.. ماذا؟ كان هذا
الأفضل يخدعنى فى كل خطوة بصورة فى غاية الدناءة!
بعد وفاته وجدت فى مكتبه درجا مليئا كله بالخطابات
الغرامية، وأثناء حياته - من الفظاعة أن أتذكر! - كان
يتركنى وحدى أسابيع كاملة، وأمام عينى يغازل النساء
الأخريات ويخوننى، ويبعثر نقودى ويهزأ بمشاعرى..
ورغم كل ذلك أحببته وأخلصت له.. بل والأكثر من
ذلك أننى ما زلت مخلصة له ووفية حتى بعد وفاته. لقد

دفنت نفسى إلى الأبد فى هذه الجدران الأربعة، ولن
أنزع ثياب الحداد إلى الممات..

سميرنوف: (يضحك باحتقار) الحداد!.. لا أعرف من تتصوريننى؟
وكانها أنا لا أدرى لأى غرض ترتدين هذا الثوب
الأسود وتدفنين نفسك بين أربعة جدران! ولم لا!
فهذا شىء غامض، شاعرى! ربما يمر بجوار داركم
طالب حربى ما أو شاعر تافه فينظر إلى نوافذك ويفكر:
«هنا تعيش تمارا الغامضة، التى دفنت نفسها بين أربعة
جدران حبًا فى زوجها». نحن نعرف هذه الملاعب!

بوبوفا: (منفجرة) ماذا؟ كيف تجرؤ على أن تقول هذا لى؟
سميرنوف: دفنت نفسك بين أربعة جدران، ومع ذلك لم تنسى أن
تضعى البودرة!

بوبوفا: كيف تجرؤ على الكلام معى بهذا الشكل؟
سميرنوف: لا تصرخى من فضلك، أنا لست خوليك! واسمحي
لى أن أسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية. أنا لست امرأة،
وقد تعودت أن أعرب عن رأى بصراحة! لا تصرخى
إذن أرجوك!

بوبوفا: لست أنا التى تصرخ بل أنت! أرجوك دعنى وشأنى!
سميرنوف: ادفعى لى دينى وأنا أذهب.

بوبوفا: لن أدفع لك شيئاً.
سميرنوف: بل ستدفعين!

بـوبـوفـا: نكاية فيك لن تحصل على كوبيك واحد! يمكنك أن تدعنى وشأنى!

سميرنوف: من حسن حظى أننى لست زوجك أو خطيبك، ولذلك أرجوك لا تفتعلى مشاجرة. (يجلس). أنا لا أحب هذا.

بـوبـوفـا: (تختنق غيظا) أنت تجلس؟

سميرنوف: جلست.

بـوبـوفـا: أرجوك اخرج!

سميرنوف: هاتى الفلوس.. (جانبا) أوه، كم أنا مغتاظ، كم أنا مغتاظ!

بـوبـوفـا: أنا لا أريد أن أتكلم مع وقح! تفضل، غُر من هنا! (صمت)

بـوبـوفـا: ألن تخرج؟ لا؟

سميرنوف: لا.

بـوبـوفـا: لا؟

سميرنوف: لا!

بـوبـوفـا: طيب! مهلا! (تدق الجرس).

٩

(هما ولوقا)

بـوبـوفـا: لوقا، أخرج هذا السيد!

لـوقـا: (يقترب من سميرنوف) يا سيد، تفضل بالخروج عندما

تؤمر! هيا من هنا...

سميرنوف: (يقفز واقفا) اخرس! مع من تتكلم! سأصنع منك سلاطة!

لوقا: (يضع يده على قلبه) يا ربى!.. الحقونى!.. (ينهار على كرسي فوتيل) آه، دخت، دخت! نفسى انكتم!
بوبوفا: أين داشا؟ داشا! (تصيح) داشا! بيلاجيا! داشا! (تدق الجرس).

لوقا: أوه! ذهبن لجمع الثمار.. لا أحد فى البيت.. أنا داىخ! ماء!

بوبوفا: تفضل وغر من هنا!
سميرنوف: ألا تفضلين بأن تكونى أكثر أدبا؟
بوبوفا: (تعصر قبضتيها وتدق بقدميها) أنت فلاح، دب غليظ! جلف! وحش!

سميرنوف: ماذا؟ ماذا قلت؟
بوبوفا: قلت إنك دب، وحش!

سميرنوف: (مهاجما) لو سمحت، بأى حق تهينينى؟
بوبوفا: نعم أهينك.. وماذا بعد؟ أتظننى أخافك؟
سميرنوف: وأنت تظنين أنك إذا كنت مخلوقا شاعريا يكون من حقلك أن تهينى الناس دون عقاب؟ نعم؟ إلى الحاجز!

بوبوفا: يا ربى.. الحقونى.. ماء!
سميرنوف: لتبارز!

بوبوفا: إذا كان لديك قبضات ضخمة وحلق ثور فلعلك تظن أننى أخشاك؟ هه؟ أيها الجلف المتوحش!

سميرنوف: إلى الحاجز! لن أسمح لأحد بإهانتى ولن أراعى أنك امرأة، مخلوق ضعيف!

بوبوفا: (تحاول أن يطفى صياحها على صياحه) دب! دب! دب!

سميرنوف: حان الوقت للتخلي عن الفكرة المتحيزة، بأن الرجال وحدهم هم الذين ينبغي أن يدفعوا ثمن الإهانة! المساواة إذن المساواة، بحق الشيطان! إلى الحاجز!

بوبوفا: تريد أن تبارز؟ تفضل!

سميرنوف: فوراً!

بوبوفا: فوراً! ترك زوجى بعده مسدسات.. سأتى بها.. (تنصرف بسرعة ثم تعود). بأى تلذذ سأرسل رصاصة إلى جبينك النحاسى! فليخطفك الشيطان! (تخرج).

سميرنوف: سأردىها مثل كتكوت! أنا لست صبياً، لست جرواً عاطفياً، لا توجد بالنسبة لى مخلوقات ضعيفة!

لوقا: يا سيدى الرحيم!.. (يجثو على ركبتيه) اصنع معروفاً، أرأف بحالى أنا العجوز واذهب من هنا! أرهبتنى حتى الموت، وتريد أن تبارز!

سميرنوف: (لا يصغى إليه) التبارز، هذه هى المساواة والتحرير! كلا الجنسين هنا متساويان! سأردىها كمبدأ! يا لها من امرأة! (يقلدها) «فليخطفك الشيطان.. سأرسل رصاصة إلى جبينك النحاسى..» يا لها من امرأة!

احمرت تماما، وعيناها تلمعان.. قبلت التحدى! أقسم
بشرفي، أول مرة أقابل فيها امرأة كهذه.

لوقا: يا سيدى، اذهب! دعنى أصلى لك طول عمرى!
سميرنوف: هذه امرأة! امرأة حقيقية! هكذا النساء! ليست خائفة
ولا مغفلة، بل نار، بارود، صاروخ! بل إن قتلها
مؤسف!

لوقا: (بيكى) يا سيدى.. يا مولاي.. أرجوك اذهب!
سميرنوف: إنها تعجبني بالتأكيد! أكيد! رغم غمازات خديها
تعجبني! مستعد حتى للتنازل عن الدين.. والغيب
انتهى.. امرأة مذهشة!

١٠

(هما وبوبوفا)

بوبوفا: (تدخل حاملة مسدسين) ها هى المسدسات.. ولكن
قبل أن نتبارز أرنى، لو تكرمت، كيف أطلق النار..
أنا لم أمسك مسدسًا فى يدى من قبل.
لوقا: رحتمك يارب، أنقذنا.. سأذهب لأبحث عن البستاني
والخوذى.. من أين نزلت هذه المصيبة على رؤوسنا..
(يخرج).

سميرنوف: (يفحص المسدسين) فى الواقع، توجد عدة أنواع من
المسدسات.. توجد مسدسات «مورتيير» المخصصة

للمبارزات، بكبسولة. وهذان المسدسان من طراز
سميث وفيسون، ثلاثي الحركة، بملقط، مركزي
الضرب.. مسدسان رائعان!.. ثمن المسدسين تسعون
روبلا على الأقل.. ينبغي الإمساك بالمسدس هكذا..
(جانبا) عيناها! امرأة لاهبة!

بوبوفا: هكذا؟

سميرنوف: نعم، هكذا.. ثم ترفعين الزناد.. وتصوبين هكذا..
الرأس إلى الوراء قليلا! مدى يدك جيدا.. نعم، هكذا..
ثم بهذا الإصبع تضغطين على هذه القطعة.. ولا شيء
أكثر.. القاعدة الرئيسية: ألا تستعجلي وأن تسددي على
مهل.. وحاولي ألا تهتز ذراعك.

بوبوفا: حسنا.. المبارزة في الغرفة غير مريحة، لنذهب إلى
البستان.

سميرنوف: لنذهب.. لكنني أخطرك بأني سأطلق النار في الهواء.

بوبوفا: لم يكن ينقص إلا هذا! لماذا؟

سميرنوف: لأنه.. لأنه.. هذا يخصني!

بوبوفا: هل جنت؟ نعم؟ آه!.. لا يا سيد، لا تخاتل! تفضل
واتبعني! أنا لن أهدأ حتى أثقب جبينك.. هذا الجبين
الذي أمقته! جنت؟

سميرنوف: نعم، جنت.

بوبوفا: كذاب! لماذا لا تريد أن تتبارز؟

سميرنوف: لأنه.. لأنك.. تعجيبني.

بوبوفا: (تضحك بغیظ) أنا أعجبه! ويجرؤ على أن يقول إنني أعجبه! (تشير إلى الباب) تفضل!

سميرنوف: (يضع المسدس في صمته ويتناول عمرته ويتجه نحو باب الخروج. يتوقف هناك، وينظر كل منهما إلى الآخر حوالى نصف دقيقة في صمته. ثم يقول وهو يقترب متردداً من بوبوفا) اسمعى.. أما زلت غاضبة؟.. أنا أيضا مستثار كالمسحور، ولكن أتدري.. كيف أوضح لك.. القضية أنه، لو تعلمين.. شىء من هذا القليل في الواقع.. (يصيح) طيب، وما ذنبى أنا إذا كنت تعجيبني؟ (يمسك مسند كرسي فيقطع الكرسي ويتحطم) يا للشيطان، ما هذا الأثاث السهل الكسر لديك! أنت تعجيبني! أفهمين؟ أنا.. أنا تقريبا وقعت في حبك!

بوبوفا: ابتعد عني.. إننى أمقتك!

سميرنوف: يا إلهى، أى امرأة! لم أر في حياتى مثل هذا أبدا! ضعت! هلكت! وقعت في المصيدة، كالفأر!

بوبوفا: ابتعد عني وإلا أطلقت النار!

سميرنوف: أطلقى! أنت لا تستطيعين أن تدركى سعادة الموت تحت نظرة هذه العيون الساحرة، الموت بمسدس تمسك به هذه الذراع الصغيرة المخملية.. أنا جننت! فكرى وقررى

الآن، لأنى لو خرجت من هنا فلن نلتقى أبدا! قررى..
أنا نبيل، رجل مستقيم، دخلى عشرة آلاف فى السنة..
أستطيع أن أصيب بالمسدس قطعة نقود ملقاه فى الهواء..
عندى خيول ممتازة.. هل تريدان أن تكونى زوجتى؟

بوبوفا: (بسخط، تلوح بالمسدس) فلتبارز! إلى الحاجز!

سميرنوف: أنا جنتت.. لا أفقه شيئا.. (يصيح) يا ولد، هات ماء!

بوبوفا: (تصيح) إلى الحاجز!

سميرنوف: جنتت، وقعت فى حبها كصبى، كأحمق! (يطبق على يدها
فتصرخ من الألم) أنا أحبك! (يركع على ركبتيه) أحبك
كما لم أحب أبدا من قبل! هجرت اثنتى عشرة امرأة،
وتسع نساء هجرننى، ولكنى لم أحب واحدة منهن
كما أحبك.. أصبحت بلا إرادة، تراخيت، تخذرت..
أركع على ركبتى كأحمق وأطلب القرب.. يا للعار،
يا للفضيحة! خمس سنوات لم أحب، قطعت عهدا
على نفسى، وفجأة وقعت كنير المحراث فى صندوق
الغير! أطلب القرب. نعم أم لا؟ لا تريدان؟ لا داعى!
(ينهض ويتجه إلى الباب بسرعة).

بوبوفا: انتظر..

سميرنوف: (يتوقف) حسنا؟

بوبوفا: لا شىء، اذهب.. طيب انتظر.. كلا، اذهب، اذهب!
أنا أمقتك! لكن لا.. لا تذهب! آه، لو تعلم كم أنا

مغتازة، كم مغتازة! (تلقى بالمسدس على الطاولة)
أصابعي نَمَلت من هذا القرف.. (تمزق منديلها غيظا)
ما لك واقف؟ غر من هنا!

سميرنوف: وداعا.

بوبوفا: نعم، نعم، اذهب!.. (تصيح) إلى أين؟ انتظر.. طيب،
اذهب. آه، كم أنا مغتازة! لا تقترب مني، لا تقترب!

سميرنوف: (مقتربا منها) كم أنا مغتاز من نفسي! وقعت في الحب
كتلميذ، وركعت على ركبتى.. إن بدنى يقشعر..
(بخشونة) أنا أحبك! كما لو كنت بحاجة إلى أن أحبك!
على غدا أن أسدد الفوائد، والحصاد بدأ، وأنت هنا..
(يطوق خصرها) لن أغفر لنفسي هذا أبدا..

بوبوفا: ابتعد عني! ارفع يديك! أنا أ.. أمقتك! إلى
الح..! جز!

(قبلة طويلة)

١١

(هما ولوقا يحمل فأسا، البستاني بمجرقة والحوذى بمذراة وعمال يحملون
العصى).

لوقا: (يرى الاثنين يتبادلان القبلات) يا ربى!..
(صمت)

بوبوفا: (تخفض بصرها) لوقا، قل لهم هناك في الإسطلب ألا
يقدموا اليوم الشعير لتوبى إطلاقا.

(ستار)

النورس

ملهاة فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

إيرينا نيكولايفنا أركادينا	(ترييلفا حسب عائلة زوجها) ممثلة
قسطنطين جافريلوفتش ترييلف	ابنها، شاب
بيوتر نيكولايفتش سورين	شقيقها
نينا ميخايلوفنا زاريتشنايا	فتاة شابة، ابنة إقطاعي ثرى
إيليا أفناسيفتش شمرايف	ملازم متقاعد، خولّى عند سورين
بولينا أندريفنا	زوجته
ماشّا	ابنته
بوريس أليكسييفتش ترييجورين	كاتب
يفجينى سرجييفتش دورن	طبيب
سيميون سيميونوفتش	
مدفيدينكو	مدرس
ياكوف	عامل
طاه	
خادم	

- الأحداث تجرى فى ضيعة سورين. يمضى على الأحداث بين الفصل الثالث

والرابع عامان

الفصل الأول

(جزء من حديقة في ضيعة سورين. ممر واسع يتجه من النظارة إلى عمق الحديقة نحو البحيرة، تحجبه خشبة مسرح شيدت على عجل لعرض منزلي بحيث لا ترى البحيرة مطلقا. على يسار ويمين خشبة المسرح خمائيل. بضعة كراسي، طاولة صغيرة. الوقت بعد الغروب مباشرة. خلف الستار المسدل على خشبة المسرح يقف ياكوف وعمال آخرون. يتردد سعال ودق. ماشا ومدفيدينكو قادمان من اليسار عائدين من نزهة).

مدفيدينكو: لماذا ترتدين السواد دائما؟

ماشـا: حدادا على حياتي. أنا تعيسة.

مدفيدينكو: لماذا؟ (متفكرا) لست أفهم.. أنت صحيحة، ووالدك إن لم يكن ثريا فهو ميسور. أنا أعيش حياة أصعب من حياتك بكثير. أتقاضى ٢٣ روبلا فقط في الشهر، ويخصمون منى لصندوق المساعدات، ومع ذلك لا ألبس الحداد.

(يجلسان)

ماشـا: ليست القضية في النقود. الفقير أيضا بوسعه أن يكون سعيدا.

مدفيد ينكو: هذا نظريا: أما في الواقع فالصورة هكذا: أنا، وأمي، وشقيقتاي، وأخي الصغير، والراتب ٢٣ روبلا لا غير. والأكل والشرب ضروري؟ والشاي والسكر؟ والتبغ ضروري؟ دبر أمورك إذن!

ماشـا: (تتلفت إلى الخشبة) قريبا يبدأ العرض.

مدفيد ينكو: نعم. ستقوم زاريتشنايا بالتمثيل، أما المسرحية فمن تأليف قسطنطين جافريلوفتش. إنها يعشقان بعضهما البعض، وستتحد روحاهما اليوم سعيا إلى تقديم نفس الصورة الفنية. أما روحى وروحك فليس لديهما نقط تماس. أنا أحبك، ولا أستطيع من الشوق أن أبقى في البيت، أقطع كل يوم ستة كيلومترات إلى هنا وستة في العودة، فلا ألقى منك سوى اللامبالاة. هذا مفهوم. أنا بلا موارد، وأسرتى كبيرة.. فمن ذا يرغب في الزواج من شخص، لا يجد هو نفسه ما يأكله؟

ماشـا: كلام فارغ. (تستنشق التبغ) أنا أشعر بالتأثر من حبك، ولكنى لا أستطيع أن أبادلك الحب، وهذا كل ما هنالك. (تمد له علبة التبغ) تفضل.

مدفيد ينكو: لا أريد.

(صمت)

ماشـا: الجو خانق. يبدو أن العاصفة ستهب ليلا. أنت دائما تتفلسف أو تتحدث عن النقود. وفي رأيك لا توجد

مصيبة أكبر من الفقر، ولكنى أرى أنه من الأسهل ألف مرة أن تسير في الأسهال وتشخذ من أن.. وعموما فلن تفهم هذا..

(من اليمين يدخل سورين وتربيليف)

سورين: (معتمدا على عصا) أنا يا أخى لا أشعر بالارتياح في الريف، ومفهوم طبعاً أنني لن أعود هنا أبداً. بالأمس رقدت في العاشرة، واستيقظت صبح اليوم في التاسعة بإحساس وكأن غي، بسبب النوم الطويل، قد التصق بجمجمتى وخلافه. (يضحك) وبعد الغداء نمت ثانية دون قصد، والآن أحس بأنى كلى محطم، وأشعر بكابوس، وفي نهاية الأمر..

تربيليف: صحيح، ينبغي لك أن تعيش في المدينة (يرى ماشا ومدفيدينكو) بإسادة، عندما بدأ العرض سيدعونكما، أما الآن فممنوع الجلوس هنا. انصرفا من فضلكما.

سورين: (لماشاشا): ماريا إيليتشنا، اصنعى معروفا واطلبى من والدك أن يأمر بإطلاق سراح الكلب لأنه يعوى. أختى لم تنم مرة أخرى طوال الليل.

ماشاشا: تحدث مع أبى بنفسك، أنا لن أفعل. اعفنى أرجوك.
(لمدفيدينكو) هيا بنا!

مدفيدينكو: (لتربيليف) أرسل من يدعونا قبيل البداية.

(ينصرفان)

سورين: وإذن سيعوى الكلب طول الليل مرة أخرى. يا لها من حكاية. لم أعش في الريف أبدا مثلما كنت أرجو. أحيانا كنت آخذ إجازة ٢٨ يوما وأتى إلى هنا لأرتاح وخلافه، ولكنهم يرهقونك بشتى التفاهات حتى تشعر بالرغبة من الهرب من أول يوم. (يضحك) دائما كنت أرحل عن هنا بسرور.. أما الآن فأنا متقاعد، لا مهرب أمامي، في نهاية الأمر. عليك أن تعيش شئت أم أبيت..

ياكوف: (لتريليف) سنذهب للاستحمام يا قسطنطين جافريليتش.

تريبليف: حسنا، لكن بعد عشر دقائق تكونون في أماكنكم. (ينظر إلى الساعة) سنبدأ قريبا.

باكوف: حاضر (ينصرف).

تريبليف (يشمل خشبة المسرح بنظرة) ها هو ذا المسرح. الستار، الكواليس الأولى، ثم الثانية، وبعدها مساحة خاوية. ليس هناك أية ديكورات. المنظر يتكشف مباشرة على البحيرة والأفق. سنرفع الستار في الثامنة والنصف تماما، عندما يطلع القمر.

سورين: رائع.

تريبليف: إذا تأخرت زاريتشنايا فسيضيع طبعاً كل تأثير. حان وقت مجيئها. أبوها وزوجته يحرقانها، حتى إن الإفلات من البيت في صعوبة الإفلات من السجن

(يصلح رابطة عنق خاله). لحيتك وشعرك مشعثان.

أعتقد عليك أن تخلق..

سورين: (يمشط لحيته) مأساة عمرى. حتى فى شبابى كانت
سحتى تبدو وكأننى أغرقت فى الشراب وخلافه.
النساء لم يجبينى أبدا. (يجلس) لماذا تبدو أختى معتلة
المزاج؟

تريبليف: لماذا؟ تضجر. (يجلس بجواره) تغير. إنها تقف الآن
ضدى، وضد العرض، وضد مسرحيتى لأن زاريتشنايا
قد تروق لصاحبها الكاتب. إنها لا تعرف مسرحيتى
ولكنها أصبحت تمقتها.

سورين: (يضحك) كم تختلف..

تريبليف: إنها تشعر بالأسى لأنه على هذه الخشبة الصغيرة
ستحظى بالنجاح زاريتشنايا لا هى. (ينظر إلى الساعة)
ياها من مفارقة سيكولوجية أمى هذه. إنها بلا شك
موهوبة، ذكية، قادرة على البكاء إذ تقرأ كتابا، وتسمعك
نيكرا سوف^(١) كله عن ظهر قلب، وترعى المرضى
كملاك. ولكن فلتحاول أن تمدح أمامها دوزيه^(٢)! أو
- هو - ه! ينبغى أن تمدحها هى فقط، ينبغى أن تكتب

(١) نيكولاى نيكرا سوف (١٨٢١ - ١٨٨٧) شاعر روسى من الديمقراطيين الثوريين.
المعرب.

(٢) أليانورا دوزيه (١٨٥٨ - ١٩٢٤) ممثلة إيطالية شهيرة، أحيث حفلات فى روسيا فى
تسعينيات القرن التاسع عشر. المعرب.

عنها وحدها، وأن تصرخ وتعجب بأدائها الخارق في
"La dame aux camélias" أو «دخان الحياة»^(١)،
ولكن بما أن هذا المخدر ليس موجودا هنا، في القرية،
فهى تضجر وتغضب، وكلنا أعداؤها، كلنا مذبنون.
وفوق ذلك فهى متطيرة، تخاف الشموع الثلاث،
ورقم ثلاثة عشرة. إنها بخيلة. لديها في البنك في أوديسا
سبعون ألف روبل. أعرف ذلك عن يقين. ولو سألتها
سلفة لبكت.

سورين: لقد تصورت أن مسرحيتك لا تعجب أمك وها أنت ذا
تضطرب وخلافه. اطمئن، أمك تعبدك..

تريبليف: (يقطع أوراق زهرة) تجبني، لا تجبني، لا تجبني.
تجبني، لا تجبني. (يضحك) انظر، أمى لا تجبني، وكيف
لا! إنها تريد أن تعيش، وتحب، وترتدى البلوزات
الزاهية، ولكن أنا في الخامسة والعشرين، وأذكرها
دائما بأنها لم تعد صبية. عندما لا أكون موجودا فهى في
الثانية والثلاثين فقط، أما في حضوري فهى في الثالثة
والأربعين. ولهذا فهى تمقتنى. وهى تعلم أيضا أننى لا
أعترف بالمسرح. إنها تحب المسرح. ويخيل إليها أنها تخدم
البشرية والفن المقدس، أما أنا فأعتبر المسرح المعاصر

(١) «غادة الكاميليا» - مسرحية ألكسندر دوماس الابن المأخوذة عن رواية بنفس العنوان،
و«دخان الحياة» مسرحية للكاتب الروسى ماركيتش (١٨٢٢ - ١٨٨٤)، وكان كاتبها
رجعيا هاجم في رواياته الآراء التحررية والديمقراطية. العرب.

روتينا، خزعبلات. عندما يرتفع الستار، وفي ضوء
المغيب، في غرفة بثلاثة جدران، يقوم هؤلاء الموهوبون
العظام، كهنة الفن المقدس، بتصوير كيف يأكل الناس
ويشربون ويحبون ويسيطرون ويرتدون ستراتهم.. عندما
يحاولون أن يستخرجوا من العبارات والصور المبتذلة
عبرة، عندما يقدمون لي بألف تنويع نفس الشيء، نفس
الشيء، نفس الشيء.. عندئذ اركض واركض هربا،
كما هرب موباسان من برج إيفل الذي كان يضغط
بابتذاله على عقله.

سورين: بدون المسرح لا يمكن.

تريبليف: مطلوب أشكال جديدة. أشكال جديدة مطلوبة، فإذا لم
تكن موجودة فالأفضل لا شيء. (ينظر إلى الساعة) أنا
أحب أمي، أحبها جدا. ولكنها تعيش حياة مشوشة،
وتعاشر هذا الكاتب بشكل سافر، والصحف تلوك
سيرتها دائما.. وهذا يرهقني. وأحيانا تفصح عن
نفسها. في مجرد أنانية الإنسان العادي. أشعر بالأسف
لأن أمي ممثلة مشهورة، ويخيل إلي أنها لو كانت امرأة
عادية، لكنت أسعد. قل لي يا خالي، هل هناك وضع
أسوأ وأحق من التالي: إذ يحدث أن يجتمع في ضيافتها
المشاهير فقط، الفنانون والأدباء، وأنا وحدي التافه
بينهم، ويتحملونني فقط لأنني ابنها. فمن أنا؟ وماذا
أنا؟ تركت الجامعة في الصف الثالث لأسباب خارجة

عن إرادة هيئة التحرير كما يقال، بدون أية مواهب، ولا خردة، أما حسب الهوية فبرجوازي صغير من كيف. فأبى أيضا برجوازي صغير من كيف، رغم أنه كان ممثلا مشهورا. وهكذا فعندما كان كل هؤلاء الفنانين والكتاب في صالونها يوجهون إلى انتباههم الرحيم، كان يخيل إلى أنهم يقيسون بنظراتهم تفاهتي.. كنت أحنن أفكارهم فأعاني من المهانة..

سورين: بالمناسبة، قل لي من فضلك. أى إنسان كاتبها هذا؟ أنا لا أفهمه. صامت دائما.

تريبليف: إنه شخص ذكى، بسيط، سوداوى إلى حد ما. رجل قويم جدا. لن يبلغ الأربعين قريبا ولكنه مشهور بالفعل وشبعان.. شبعان حتى الحلق..وهو الآن لا يشرب إلا البيرة ويستطيع أن يحب الكهلات فقط. أما بخصوص كتاباته ف..ماذا أقول لك؟ لطيفة، موهوبة.. ولكن..بعد تولستوى وزولا لا تشعر بالرغبة في قراءة تريجورين.

سورين: أما أنا يا أخى فأحب الأدباء. في وقت ما كنت أرغب بشغف في شيئين: أن أتزوج، وأن أصبح أديبا، ولكنى لم أوفق لا إلى هذا ولا إلى ذاك. نعم. لطيف أن تكون ولو أديبا صغيرا في نهاية الأمر.

تريبليف: (بصغى) أسمع خطوات.. (يعانق خاله) أنا لا أستطيع أن أعيش بدونها..حتى وقع خطواتها رائع..أنا سعيد

بجنون. (يسرع لملاقاة نينا زاريتشنايا وهى تدخل)

ياساحرتى، يا حلمى..

نينا: (باضطراب) لم أتأخر.. طبعاً، لم أتأخر..

تريبليف: (يقبل يديها) كلا، كلا، كلا..

نينا: كنت قلقة طوال النهار، كم شعرت بالفزع! كنت

أخشى ألا يتركنى أبى أذهب.. لكنه رحل الآن مع

زوجته. السماء حمراء، وقد بدأ القمر يطلع فأهبت

الحصان، (تضحك) ولكنى سعيدة (تشد بقوة على يد

سورين).

سورين: (يضحك) عيناك تبدوان باكيتين.. هـى - هـى..

لا يصح!

نينا: لا، لا شىء.. أترى كيف أتنفس بصعوبة بعد نصف

ساعة سأرحل، ينبغى الإسراع. لا يمكن، لا يمكن،

أرجوك لا تؤخرنى. أبى لا يعلم أننى هنا.

تريبليف: حقاً، حان أن نبدأ. ينبغى الذهاب لدعوة الجميع.

سورين: أنا سأذهب وخلافه. حالا. (يمضى يمينا وهو يغنى)

«وصل إلى فرنسا جنديان فارسان..» (يتلفت) ذات

مرة غنيت هكذا. فقال لى أحد وكلاء النيابة: «صوتكم

يا صاحب المعالى قوى».. ثم فكر قليلاً وأضاف:

«ولكنه.. كربه» (يضحك وينصرف).

نينا: أبى وزوجته لا يسمحان لى بالمجىء. يقولان إن

المكان هنا بوهيمى.. يخشيان أن أصبح ممثلة.. ولكنى

أنجذب إلى هنا، إلى البحيرة، كالنورس.. قلبى ملئ
بك (تتلفت).

تريبليف: نحن وحدنا.

نينا: يبدو أن أحدا هناك..

تريبليف: لا أحد.

(قبلة)

نينا: أية شجرة هذه؟

تريبليف: دردار.

نينا: ولماذا هي مظلمة هكذا؟

تريبليف: المساء حل ولذلك تظلم كل الأشياء. لا ترحلى مبكرا،
أتوسل إليك.

نينا: لا يمكن.

تريبليف: وماذا لو ذهبت إليك يا نينا؟ سأقف طوال الليل في
البستان وأطلع إلى نافذتك.

نينا: لا يمكن، سيراك الحارس. تريزور لم يألفك بعد وسوف
ينبح.

تريبليف: أنا أحبك.

نينا: هس..

تريبليف: (وقد سمع خطوات) من هناك؟ ياكوف

ياكوف: (من وراء الخشبة) نعم، بالضبط.

تريبليف: اشغلوا أماكنكم. حان الوقت. القمر يصعد؟

ياكوف: نعم، بالضبط

تريبليف: الكحول موجود؟ والكبريت موجود؟ عندما تظهر العينان الحمراء وان ينبغى أن تفوح رائحة الكبريت (لينا) هيا، كل شىء جاهز هناك. أنت مضطربة؟..

لينا: نعم. جدا. والدتك لا بأس بها، لا أخشاها، ولكن عندكم تريجورين.. أشعر بالرعب والخجل من اللعب في حضوره.. كاتب مشهور.. هل هو شاب؟

تريبليف: نعم.

لينا: ما أروع قصصه!

تريبليف: (برود) لا أعرف، لم أقرأها.

لينا: من الصعب التمثيل فى مسرحيتك. ليس فيها شخصيات حية.

تريبليف: شخصيات حية! ينبغى تصوير الحياة لا كما هى عليه، ولا كما يجب أن تكون، بل كما تتبدى فى الأحلام.

لينا: الحركة قليلة فى مسرحيتك، مجردة قراءة فى رأى أن المسرحية لا بد أن يكون فيها حب أيضا..

(يمضيان إلى خلف الخشبة، تدخل بولينا أندرييفنا ودورن)

بولينا أندرييفنا: أصبح الجو رطبا. عد والبس خفا.

دورن: أنا حرّان.

بولينا أندرييفنا: أنت لا تحافظ على صحتك. هذا عناد. أنت دكتور وتعرف جيدا أن الهواء الرطب ضار لك، ولكنك تريد

أن أعانى. لقد جلست بالأمس المساء كله فى الشرفة
عن عمد..

دورن: (يدندن) «لا تقولى ضيِّع العمرَ الشباب».

بولينا أندرييفنا: كنتَ منهمكا بشدة فى الحديث مع إيرينا نيكولايفنا..
ولم تلاحظ البرد. اعترف!، إنها تعجبك..

دورن: أنا عندى ٥٥ سنة.

بولينا أندرييفنا: بسيطة. بالنسبة للرجل فهى ليست شيخوخة. أنت
حافظت على نفسك جيدا وما زلت تعجب النساء.

دورن: وإذن فماذا تريدین؟

بولينا أندرييفنا: كلکم مستعدون للانبطاح أمام المثلة. كلکم!

دورن: (يدندن) «أنا من جديد أمامك..». إذا كان الناس يحبون

الفنانين وينظرون إليهم بشكل مختلف عن نظرتهم إلى
التجار مثلا، فهذا من طبيعة الأشياء. هذه مثالية.

بولينا أندرييفنا: النساء كن يقعن فى حبك دائما ويتعلقن برقبتك. هل
هذه أيضا مثالية؟

دورن: (يهز كتفيه) حسنا، فى علاقة النساء بى كان الكثير من

الأشياء الطيبة. كن يحبين قى، بالدرجة الأولى، طيبا
ممتازا. فمنذ ١٠ - ١٥ سنة، وكما تذكرين، كنت طيب
الولادة المحترم الوحيد فى المحافظة كلها. ثم إننى كنت
دائما رجلا شريفاً.

بولينا أندرييفنا: (تقبض على ذراعه) يا عزيزى!

دورن: مهلا. إنهم قادمون.

(تدخل أركادينا متأبطة ذراع سورين ومعها تريجورين وشمرايف ومدفيدينكو وماشا)

شمرايف: في سنة ١٨٧٣ في بولتافا لعبت في السوق بإعجاز، كانت ساحرة! لعبت بروعة! ألا تتكرمين أيضا بمعرفة أين يوجد الآن الممثل الكوميدي تشادين بافل سيميونتش؟ كان في دور راسبلوف لا مثيل له، أفضل من سادوفسكى أقسم لك يا سيدتى الموقرة. أين هو الآن؟

أركادينا: مازلت تسألني عن أشخاص غابرين. من أين لى أن أعرف؟ (تجلس)

شمرايف: (وقد تنهد) باشكا تشادين! أمثاله لا وجود لهم الآن. لقد سقط المسرح يا إيرينا نيكولايفنا! في الماضي كانت أشجار بلوط جبارة، أما الآن فلا نرى إلا بقايا الجذوع.

دورن: المواهب الساطعة قليلة الآن، هذا صحيح، لكن الممثل المتوسط أصبح أرقى بكثير.

شمرايف: لا يمكنني أن أوافقك. وعموما فهى قضية ذوق. De

^(١) gustibus aut bene, aut nihil

(يخرج تريبليف من خلف الخشبة)

(١) الأذواق إما تذكر بالخير وإما لا تذكر اطلاقا (باللاتينية في النص الأصلي).

أركاديننا: (لابنها) يا ولدى العزيز، متى تبدأون إذن؟

تريبليف: بعد دقيقة. أرجو الصبر.

أركاديننا: (تقرأ من «هملت») «يابنى، لقد حوّلت بصرى

إلى داخل نفسى، فرأيتها فى قروح دامية ممّية.. فلا

خلاص!»

تريبليف: (من «هملت») «فلمّ انسقت إلى الرذيلة، وعن الحب

بحثت فى أغوار الآثام؟»

(يدوى نفير خلف الخشبة)

يا سادة، البداية! أرجو الانتباه!

(صمت)

سأبدأ. (يدق بعصا. ويقول بصوت عال) أنت، أيتها

الظلال القديمة الموقرة، التى تهوم تحت جناح الليل فوق

هذه البحيرة، نوّميناء، ولنر فى الحلم ما الذى سيكون بعد

مائتى ألف عام!

سورين: بعد مائتى ألف عام لن يكون شىء.

تريبليف: حسنا، فليصوروا لنا إذن هذا اللاشىء.

أركاديننا: ليكن. نحن نائمون.

(يرتفع الستار. يظهر منظر البحيرة، القمر فوق الأفق وانعكاسه فى المياه.

على صخرة كبيرة تجلس نينا زاريتشنايا متشحة بالبياض).

نيننا: الناس، والأسود، والنسور والسمانات، والغزلان ذات

القرون، والأوز، والعناكب، والأسماك الخرساء، التى

عاشت في المياه، ونجوم البحر، وتلك المخلوقات التي
لم يكن ممكناً رؤيتها بالعين.. باختصار كل الأحياء، كل
الأحياء انطفأت بعد أن أنجزت دورتها الحزينة.. مرت
آلاف القرون والأرض لا تحمل على سطحها أثراً للحى،
وعبثاً يضيء هذا القمر المسكين مصباحه. في المروج لم
تعد اللقات تستيقظ زاعقة، وفي غيصات اليزفون لم
يعد يسمع أزيز خنافس الربيع. برد، برد، برد، خواء،
خواء، رعب، رعب، رعب.

(صمت)

تبددت أجساد الأحياء تراباً، وحولتها المادة الخالدة إلى
صخور، ومياه، وسحب، واتحدت أرواحها كلها في
روح واحدة. روح عالمية عامة هي أنا.. أنا.. في روح
الإسكندر الأكبر، وقيصر، وشكسبير، ونايليون، وآخر
علقة. أتحد في وعي الناس بغرائز الحيوانات، وأنا أذكر
كل شيء، كل شيء، كل شيء، وكل حياة أعاشها في
نفسى من جديد.

(تلوح أضواء المستنقع)

أركادينا: (بصوت خافت) هذا من عصر الانحطاط.

تريبليف: (بضراعة ولوم) ماما!

نينا: أنا وحيدة. مرة كل مائة عام أحرك شفتى لكى أتحدث،
فيرن صوتى في هذا الخواء كئيباً، ولا يسمعى أحد..

وأنت أيتها الأضواء الشاحبة لا تسمعيننى... قرب
الصباح يلدك المستنقع العفن فتهومين حتى الفجر،
لكن بلا أفكار، بلا إرادة، بلا رعدة الحياة. وخشية
أن تبعث فيك الحياة، يجرى فيك الشيطان، أبو المادة
الخالدة، كل لحظة، كما فى الصخور والمياه، تبادل
الذرات، فتغيرين بلا توقف. لا يبقى ثابتا لا يتغير فى
الكون سوى الروح.

(صمت)

وكالأسير الملقى فى بئر خاوية عميقة لا أدرى أين أنا
ولا ماذا ينتظرنى. لا يبين لى إلا شىء واحد، وهو أنه
فى الصراع الضارى القاسى مع الشيطان، مع أصل
القوى المادية، قد كتب لى النصر، وبعد ذلك ستتحده
المادة والروح فى هارمونى رائع ويحل ملكوت الإرادة
العالمية. ولكن ذلك لن يتحقق إلا بعد أن يكون القمر،
والشعرى المضئية، والأرض، شيئا فشيئا، خلال صف
طويل طويل من آلاف السنين، قد تحولت إلى غبار..
وإلى أن يحين ذلك فلا شىء إلا الرعب، الرعب..

(صمت. على خلفية البحيرة تظهر نقطتان حمراوان).

ها هو غريمى الجبار، الشيطان، يقترب. إننى أرى عينيه
الرهيبتين الدمويتين..

أركاديننا: رائحة كبريت. هذا مطلوب؟

تريبليف: نعم.

أركاديننا: (تضحك) نعم، هذا مؤثر.

تريبليف: ماما!

نينا: إنه يضجر بدون الإنسان..

بولينا أندرييفنا: (لدورن) لقد نزعت قبعتك. البسها وإلا بردت.

أركاديننا: لقد نزع الدكتور قبعته أمام الشيطان، أبى المادة الخالدة.

تريبليف: (منفجرا، بصوت عال) انتهت المسرحية! كفى! ستار!

أركاديننا: لماذا تغضب؟

تريبليف: كفى! ستار! أنزل الستار! (يدق بقدمه) ستار! (يهبط الستار)

أسف! لقد نسيت أن كتابة المسرحيات واللعب على المسرح لا يستطيعه إلا قليل من المختارين. لقد تناولت على الاحتكار! إننى.. أنا... (يود أن يقول شيئا آخر ولكنه يشيح بيده وينصرف يسارا)

أركاديننا: ماذا به؟

سورين: إيرينا، لا يصح يا عزيزتى معاملة غرور الشباب بهذه الطريقة.

أركاديننا: وماذا قلت له؟

سورين: أنت أهنته.

أركاديننا: هو نفسه الذى نبهنا إلى أنها مزحة، فنظرت إلى مسرحيته على أنها مزحة.

سورين: ومع ذلك..

أركاديننا: والآن يتضح أنه كتب عملاً عظيماً! هكذا! وإذن فقد أقام هذا العرض وأطلق رائحة الكبريت لا من أجل المزاح بل للاستعراض.. أراد أن يعلمنا كيف ينبغي أن نكتب وما الذى علينا أن نلعبه. ولكن هذا فى النهاية يثير الملل. هذه التطاولات الدائمة علىّ والوخزات، اسمح لى، إنها تضجر أى إنسان! صبى نزق، مغرور.

سورين: لقد أراد أن يرضيك.

أركاديننا: حقاً؟ ولكنه لم يختَر أية مسرحية عادية، بل أجبرنا على سماع هذا الهذيان الرمزى. من أجل المزاح أنا مستعدة لأن أسمع حتى الهذيان، ولكن هنا ادعاءات بفتح عصر جديد فى الفن. بيد أنى لا أرى أية أشكال جديدة هنا، بل مجرد طبع سيئ.

تريجورين: كل إنسان يكتب كما يريد وكما يستطيع.

أركاديننا: فليكتب كما يريد وكما يستطيع، ولكن فليدعنى وشأنى.

دورن: جويتر، أنت تغضب..^(١)

أركاديننا: أنا لست جويتر، بل امرأة (تشعل سيجارة) أنا لا أغضب، فقط أشعر بالأسى لهذا الشاب الذى يقضى وقته بهذا الملل. أنا لم أقصد إهانته.

(١) بداية عبارة شائعة: «جويتر أنت تغضب إذن لست على حق». العرب.

مدفيدينكو: لا أحد يملك أساسا لفصل الروح عن المادة، ذلك لأن الروح ربما هى فى حد ذاتها محصلة الذرات المادية. (لتريجورين بحوية) أتدرى، لو أن أحدا وصف فى مسرحية ثم لعب على الخشبة كيف يعيش صاحبنا المدرس. صعبة حياته، ما أصعبها!

أركاديننا: هذا حق، ولكن دعونا من الحديث لا عن المسرحيات ولا عن الذرات. ما أروع من مساء! أستمعون يا سادة، غناء؟ (تصيحخ السمع) ما أحلاه! بوليننا أندرييفنا: هذا فى الشاطئ الآخر. (صمت)

أركاديننا: (لتريجورين) اجلس بجوارى. منذ ١٠-١٥ سنة كانت الموسيقى والغناء يسمعان هنا، على البحيرة، كل ليلة تقريبا، بلا انقطاع. هنا على الشاطئ ست دور إقطاعية، أذكر الضحك. والصخب، وإطلاق النار، ومغامرات الحب اللانهائية.. كان Jeune premier ومعبود هذه الدور الست كلها آنذاك هذا، أقدمه لكم (تومئ إلى دورن) الدكتور يفجينى سرجييفتش. حتى الآن مازال جذابا، ولكنه كان آنذاك صاعقا. لكن ضميرى بدأ يعذبنى. لماذا أهنت ولدى المسكين؟ أنا قلقة. (بصوت عال) يا كوستيا! يا بنى! كوستيا!

ماشنا: سأذهب لأبحث عنه.

أركاديننا: لو سمحت يا عزيزتى:

ماشنا: (تنصرف يسارا) آو! يا قسطنطين جافريلوفتش! .. آو..
(تنصرف).

نيننا: (نخرج من وراء الخشبة) يبدو أن المسرحية لن تستكمل،
وبوسعى أن أخرج. مرحبا! (تبادل القبلات مع
أركادينا وبولينا أندرييفنا).

سورين: برافو، برافو!

أركادينا: برافو، برافو! كنا نتملاك! بهذه الملامح، وبهذا الصوت
الساحر حرام أن تبقى في القرية. لديك موهبة أكيد.
أستمعين؟ من واجبك أن تلتحقى بالمسرح!

نيننا: أوه، هذا حلمي! (تتنهد) ولكنه لن يتحقق أبدا.

أركادينا: من يدري؟ اسمحي لي أن أقدم لك: تريجورين، بوريس
أليكسييفتش.

نيننا: آه، كم أنا مسرورة.. (بارتباك) أنا أقرأ لكم دائما..

أركادينا: (تجلسها قربها) لا تخجلي يا عزيزتي. إنه مشهور ولكن
روحه بسيطة. انظري ها هو نفسه قد ارتبك.

دورن: أظن أنه من الممكن الآن رفع الستار، وإلا فالجو
خفيف.

شمرايف: (بصوت عال) ياكوف، ارفع الستار يا أخى!
(يرفع الستار)

نيننا: (لتريجورين) أليست مسرحية غريبة حقا؟

تريجورين: أنا لم أفهم شيئا. وعموما فقد تفرجت باستمتاع. أنت
تلعين بإخلاص. والديكور كان رائعا.

(صمت)

لا بد أن هناك سمكا كثيرا في هذه البحيرة.

نينا: نعم.

تريجورين: أنا أحب صيد السمك. ليس هناك بالنسبة لى متعة أكبر من الجلوس قبيل الغروب على الشاطئ والنظر إلى العوامة.

نينا: ولكنى أظن أن من ذاق متعة الإبداع لن يلاحظ وجود أية متع أخرى.

أركادينا: (ضاحكة) لا تتحدثى هكذا. عندما تقال له كلمات طيبة فإنه يفشل.

شمرايف: أذكر فى مسرح الأوبرا بموسكو ذات مرة غنى سيلفا المشهور نغمة «دو» منخفضة. وفى ذلك المساء، وكأنها عن عمد، كان يجلس فى أعلى المسرح أحد منشدى المجمع الكنسى من طبقة «الباص» وفجأة، وتصوروا مدى ذهولنا البالغ، سمعنا من أعلى المسرح: برافو يا سيلفا!! أخفض بأوكتاف كامل.. هكذا (بباص منخفض): برافو يا سيلفا.. المسرح كل ذهل.

(صمت)

دورن: حلق ملاك وئام.

نينا: أن أن أذهب. وداعا.

أركادينا: إلى أين؟ إلى أين مبكرا هكذا؟ لن نتركك.

نينا: بابا فى انتظارى.

أركادينا: يا له من.. حقا.. (تبادلان القبل) حسنا، ما العمل. من
المؤسف أن نتركك، يا للأسف.

نينا: آه لو تعلمين كم يشق عليّ أن أرحل!

أركادينا: فليوصلك أحد ما يا صغيرتي.

نينا: (بذعر) أوه، كلا، كلا!

سورين: (لها، بضراعة) ابقى!

نينا: لا أستطيع يا بيوتر نيكولا يفتش.

سورين: ابقى لساعة واحدة وكفى. حقا ما هذا..

نينا: (بعد تفكير، من خلال الدموع) لا يمكن! (تشد على
يده وتنصرف بسرعة).

أركادينا: فتاة تعيسة في الحقيقة. يقال إن المرحومة أمها أوصت
لزوجها بكل ثروتها الضخمة، حتى آخر كويك،
وأصبحت هذه الفتاة الآن بلا مال، لأن أباه أوصى
بكل شيء لزوجته الثانية. شيء محنق!

دورن: نعم، أبوها حيوان حقيقي، يجب أن نشهد له بذلك.

سورين: (يفرك راحتيه الباردتين) هيا بنا ننصرف نحن
أيضا يا سادة، فالجو أصبح رطبا. ساقاى تؤلمانى.

أركادينا: كأنهما من خشب، لا تكادان تتحركان. حسنا، هيا بنا
أيها العجوز المنحوس (تتأبط ذراعه).

شمرايف: (يمد ذراعه لزوجته) مدام؟

سورين: أسمع عواء الكلب ثانية (لشمرايف) اصنع
معروفا يا إيليا أفناسيفتش، مُر بإطلاق سراحه.

شمرايف: لا يمكن يا بيوتر نيكولايفتش، أخشى أن يسطو
للصوص على مخزن الحبوب. لدى هناك ذرة عويجة
(لمدفيدنكو السائر بجواره) نعم، أخفض بأوكتاف
كامل: «برافو يا سيلفا!» رغم أنه ليس مغنيا، بل منشد
عادى فى المجمع.

مدفيدنكو: وكم يبلغ راتب منشد المجمع؟
(يخرج الجميع ما عدا دورن)

دورن: (وحده) لا أدري، ربما أنا لا أفقه شيئا، أو أننى جننت،
ولكن المسرحية أعجبتنى. فيها ثمة شىء ما. عندما
تحدثت هذه الفتاة عن الوحدة، ثم عندما ظهرت عينا
الشیطان الحمر اوان، ارتعشت يداى من الانفعال. إنها
طازجة، ساذجة.. ها هو قادم فيما يبدو. أود أن أقول له
الكثير من الكلمات السارة.

تريبليف: (يدخل) لم يعد هناك أحد.
دورن: أنا هنا.

تريبليف: ماشنكا تبحث عنى فى الحديقة كلها. يا لها من مخلوق
مضجر.

دورن: قسطنطين جافريلوفتش، لقد أعجبتنى مسرحيتك
للغاية. إنها غريبة نوعا ما، ولم أسمع نهايتها، ومع ذلك
تترك انطبعا قويا. أنت شخص موهوب، عليك أن
تواصل.

(يشد تريبليف على يده بقوة ويعانقه باندفاع).

أف، يا له من عصبى. دمعت عيناه... أتدرى ماذا أريد أن أقول؟ أنت طرقت موضوعا فى مجال الأفكار المجردة. وهذا هو المفروض، لأن العمل الأدبى ينبغى حتما أن يعبر عن فكرة كبيرة. الجاد وحده هو الرائع. كم أنت شاحب!

تريبليف: إذن تقول أن أواصل؟

دورن: نعم.. ولكن اكتب فقط عن الهام والخالد. أتدرى، لقد عشتُ حياة متنوعة شيقة، وأنا راض عنها، ولكن لو أنى شعرت السمو الروحى الذى يملك الفنانين أثناء الإبداع لاحتقرت فيما يبدو قشرتى المادية وكل ما هو مميز لهذه القشرة، ولانطلقت بعيدا عن الأرض محلقا إلى العلا.

تريبليف: عفوا، أين زاريتشنايا؟

دورن: وثمة شىء آخر. ينبغى أن تكون للعمل فكرة واضحة محددة. عليك أن تعرف لأى غرض تكتب، وإلا فلو سرت فى هذا الدرب الجميل دون هدف محدد، فسوف تضل الطريق وتقضى عليك موهبتك.

تريبليف: (بنفاذ صبر) أين زاريتشنايا؟

دورن: رحلت إلى البيت.

تريبليف: (فى يأس) وماذا أفعل؟ أريد أن أراها... لا بد أن أراها.. سأرحل.

(تدخل ماشا)

دورن: (لتريليف) اهدأ يا صديقي.

تريبليف: ومع ذلك سأرحل. على أن أرحل.

ماشـا: ادخل إلى البيت يا قسطنطين جافريلوفتش. والدتك تنتظرك. إنها منفعلة.

تريبليف: قولى لها إني رحلت. وأرجوكم جميعا، دعونى وشأنى! دعونى وشأنى! دعونى! لا تسيروا ورائى!

دورن: طيب، طيب، طيب يا عزيزى.. لا يصح هذا.. عيب.
تريبليف: (من خلال الدموع) وداعا يا دكتور، أشكرك.. (ينصرف).

دورن: (متنهذا) الشباب! الشباب!

ماشـا: عندما لا يجدون ما يقولونه يقولون: الشباب، الشباب.. (تستنشق التبغ).

دورن: (يأخذ منها علبة التبغ ويلقى بها فى الحماثل) هذا مقرف!

(صمت)

يبدو أنهم يلعبون فى المنزل. ينبغى أن نذهب.

ماشـا: انتظر.

دورن: ماذا؟

ماشـا: أريد أن أقول لك مرة أخرى. أريد أن أتحديث.. (بانفعال) أنا لا أحب أبى.. ولكن قلبى يميل إليك.

لست أدري لماذا أحس من كل قلبي أنك قريب إليّ..
فلتساعدني إذن. ساعدني وإلا ارتكبت حماقة، وإلا
سخرت من حياتي وأفسدتها.. لا أستطيع أن أطيق
أكثر..

دورن: ماذا؟ بم أساعدك؟

ماشاء: إنني أعاني: لا أحد، لا أحد يدري بمعاناتي!

(تضع رأسها على صدره، تقول بصوت خافت) أنا
أحب قسطنطين.

دورن: يا لكم جميعاً من عصبيين! يا لكم جميعاً من عصبيين!

وكم من حب.. أوه، أيتها البحيرة المسحورة! (برقة)

ماذا أستطيع أن أفعل يا صغيرتي؟ ماذا؟ ماذا؟

(ستار)

الفصل الثانى

(ميدان للكروكيت. فى العمق إلى اليمين منزل بشرفة كبيرة وإلى اليسار ترى بحيرة تلمع الشمس المنعكسة فيها. أحواض زهور. الوقت ظهرٌ. الجو حار. إلى جانب الميدان، تحت ظلال زيزفونة عجوز تجلس أركادينا ودورن وماشا على أريكة. على ركبتى دورن كتاب مفتوح).

أركادينا: (لماشا) حسنا، فلننهض.

(تنهضان معا)

قفى بجوارى. أنت فى الثانية والعشرين، وأنا فى ضعف عمرك تقريبا. يفجئنى سرجييفتش، من منا تبدو أصبى؟

دورن: أنت طبعاً.

أركادينا: أرايت.. فلماذا؟ لأننى أعمل، أشعر، أنا دائماً أتحرك، أما أنت فتجلسين دائماً فى مكان واحد، ولا تعيشين.. كما أنى أسير على قاعدة: ألا أنظر إلى المستقبل. أنا لا أفكر أبداً لا فى الشيخوخة ولا فى الموت. المكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين.

ماشاشا: أما أنا فأشعر وكأني ولدت منذ زمن بعيد. أجزر جر حياتي كذيل فستان بلا نهاية.. وكثيرا ما أشعر بعدم الرغبة في الحياة. (تجلس) بالطبع كل هذا هراء. ينبغي أن أنتفض، أن ألقى عنى كل هذا.

دورن: (يدندن بصوت خافت) «خبريها يا زهيراتى..»^(١)

أركادينا: ثم إنني دقيقة كإنجليزى. أنا يا عزيزتى أمسك نفسى، كما يقولون، كوتر مشدود، ودائما مهندمة ومصففة Comme il faut^(٢). هل أسمح لنفسي بالخروج من البيت، ولو إلى هذه الحديقة، فى البلوزة فقط وغير مصففة؟ أبدا. لهذا حافظت على شبابى لأنى لم أكن يوما شعشاء ولم أهمل نفسى كما يفعل البعض.. (تضع يديها فى خصرها وتذرع الميدان) انظروا، مثل الكتكوتة مستعدة أن ألعب ولو فتاة فى الخامسة عشرة.

دورن: حسنا، ومع ذلك فسأواصل (يتناول الكتاب) لقد توقفنا عند الحانوتى والعرسات..

أركادينا: والعرسات. اقرأ (تجلس) كلا، هات، سأقرأ أنا. جاء دورى. (تأخذ الكتاب وتبحث فيه بعينيهما) والعرسات.. ها هى.. (تقرأ) «ومن المفهوم أن تدليل أفراد المجتمع الراقى للكتاب وجذبهم إليهم هو خطر

(١) من أوبرا «فاوست» لجونو، دور زيجل. المغرب.

(٢) كما ينبغي (بالفرنسية فى الأصل).

عليهم مثلما هو خطر على الخانوتى تربية عرسات فى مخازنه. ومع ذلك فإنهم محبوبون. وهكذا، فعندما تختار المرأة الكاتب الذى تود أن تأسره فإنها تحاصره بواسطة المجاملات والملاطفات والتودد..» حسنا، ربما كان هذا لدى الفرنسيين، أما عندنا فليس هناك أى شىء مثل هذا، ليس هناك أية برامج. المرأة عندنا كالعادة قبل أن تأسر الكاتب تكون قد غرقت فى حبه إلى أذنيها، صدقونى. ولماذا نذهب بعيدا، خذوا مثلا ولو أنا وتريجورين..

(يسير سورين معتمدا على عصاه، وبجواره نينا. مدفيدينكو يدفع خلفهما مقعدا خاليا)

سورين: (بنبرة كالتى يلاطفون بها الأطفال) حقا؟ نحن مسرورون؟ نحن اليوم مرحون فى نهاية الأمر؟ (لأخته) نحن مسرورون. الأب وزوجته رحلا إلى تفير، ونحن أحرار لثلاثة أيام كاملة.

نينا: (تجلس إلى جوار أركادينا وتعانقها) أنا سعيدة! أنا الآن تحت تصرفك.

سورين: (يجلس فى مقعده) إنها اليوم حلوة. أركادينا: أنيقة، جذابة.. شاطرة على ذلك. (تقبل نينا) ولكن لا ينبغى أن نمتدحك كثيرا، وإلا خسرناك. أين بوريس أليكسييفتش؟

نينا: في المسيح، يصطاد السمك.

أركاديننا: كيف لا يمل! (تود مواصلة القراءة).

دورن: ماذا تقرئين؟

أركاديننا: موباسان «فوق المياه» يا عزيزتى. (تقرأ عدة أسطر في سرها) حسنا، المكتوب بعد ذلك ليس طريفا أو صحيحا. (تغلق الكتاب) أشعر في نفسى بالقلق. خبرونى، ماذا يحدث لابنى؟ لماذا هو كئيب وعابس هكذا؟ إنه يقضى أياما بطولها عند البحيرة، ولا أراه تقريبا.

ماشاشا: هناك شىء يعذب روحه. (لينا بوجل) أرجوك، اقرئى شيئا من مسرحيته!

نينا: (تهز كتفها) أحقا تريدن؟ إنها مملة جدا!

ماشاشا: (تكبت إعجابها) عندما يقرأ هو شيئا ما، تشتعل عيناه ويشحب وجهه. لديه صوت رائع، حزين. أما حركاته فمثل شاعر.

(يسمع شخير سورين)

دورن: ليلة سعيدة!

أركاديننا: بتروشا!

سورين: هه؟

أركاديننا: أنت نائم؟

سورين: أبدا.

(صمت)

أركادينا: أنت لا تتعالج، لا يصح يا أخى.

سورين: بودى لو أتعالج، ولكن الدكتور لا يريد.

دورن: تتعالج فى سن الستين!

سورين: حتى فى الستين يود الإنسان أن يعيش.

دورن: (بأسى) إيه! حسنا، تناول قطرات فاليريانه.

أركادينا: أظن أنه من المفيد له أن يرحل إلى المنابع المعدنية.

دورن: طيب. يمكنه أن يرحل. ويمكنه ألا يرحل.

أركادينا: فلتحاول أن تفهم.

دورن: ليس هناك ما يفهم. كل شىء واضح.

(صمت)

مدفيدينكو: من الواجب على بيوتر نيكولايفتش أن يقلع عن

التدخين.

سورين: هراء.

دورن: كلا، ليس هراء. الخمر والتبغ يطمسان الشخصية.

فبعد السيجار أو كأس الفودكا لا تعود أنت بيوتر

نيكولايفتش، بل بيوتر نيكولايفتش زائد، أحد آخر.

تتلاشى ذاك الخاصة وعندها تنظر إلى نفسك نظرتك

إلى شخص غائب.. هو.

سورين: (يضحك) بوسعك أن تتفلسف. لقد رأيت الكثير

فى حياتك، أما أنا؟ لقد خدمت فى إدارة المحاكم

٢٨ سنة، ولكنى لم أعش بعد، لم أجرب شيئاً، وفي نهاية الأمر، وهذا شيء مفهوم، فأنا أتوق إلى الحياة. أنت شبعان ولا مبال ولذلك تميل إلى الفلسفة، أما أنا فأريد أن أعيش، ولذلك أشرب أثناء الغداء نبىذ «الخيريس» وأدخن السيجار وخلافه. تلك هى المسألة.

دورن: ينبغى أن ننظر إلى الحياة بجدية، أما أن تتعالج فى سن الستين وتأسف على أنك لم تتمتع فى صباك بما يكفى، فهذا، وأرجو المذرة، استهتار.

ماشاشا: (تنهض) أظن حان موعد الإفطار (تسير بخطوة كسول متثاقلة) ساقى نملت.. (تنصرف).

دورن: ستذهب لتشرب كأسين قبل الإفطار.

سورين: المسكينة محرومة من السعادة الخاصة.

دورن: هراء يا صاحب المعالى.

سورين: أنت تتحدث كشخص شبعان.

أركاديننا: آه، ما الذى يمكن أن يكون أكثر مللاً من هذا الملل الريفى اللطيف! الجو حار، هادئ، لا أحد يفعل شيئاً، الكل يتفلسفون.. الجلوس بينكم طيب يا أصدقاء، وسماحكم لطيف ولكن.. الجلوس فى الفندق وحفظ الدور أفضل بكثير!

نيننا: (بإعجاب) جميل! إننى أفهمك.

سورين: بالطبع فى المدينة أحسن. تجلس فى غرفة مكتبك،

والحاجب لا يسمح لأحد بالدخول دون إذنك،
والتليفون.. وفي الشارع الحوذية وخلافه..

دورن: (يدندن) «خبريها يا زهيراتى..»

(يدخل شمرايف، وتتبعه بولينا أندرييفنا)

شمرايف: ها هم جماعتنا. طاب يومكم! (يلثم يد أركادينا ثم يد
نينيا) سعيد جدا برؤيتكم فى كامل صحتكم (لأركادينا)
وزوجتى تقول إنك تنوين الرحيل معها اليوم إلى
المدينة. صحيح؟

أركادينا: نعم. نوى.

شمرايف: إم.. هذا رائع. ولكن كيف سترحلين يا سيدتى الموقرة؟
اليوم ينقلون الجودار وجميع العمال مشغولون. فعلى أية
خيول إذن سترحلين لو سمحت بالسؤال؟

أركادينا: على أية خيول؟ ومن أين أعرف!

سورين: ولكن لدينا خيول عربات.

شمرايف: (مضطربا) خيول عربات؟ ومن أين آتى بالنيور؟
من أين أحصل عليها؟ شىء عجيب! شىء غير
معقول! يا سيدتى الموقرة! عفوا، إننى أنتحنى أمام
موهبتك، ومستعد أن أعطى من أجلك عشر سنوات
من عمرى ولكنى لا أستطيع أن أعطيك خيولا!

أركادينا: ولكن إذا كان على أن أرحل؟ شىء غريب!

شمرايف: يا سيدتى الموقرة! أنت لا تعرفين ما معنى إدارة
الممتلكات.

أركاديننا: (منفجرة) نفس الحكاية القديمة! في هذه الحالة سأرحل
إلى موسكو اليوم. مُر بتأجير خيول لى من القرية، وإلا
ذهبت إلى المحطة على قدمى!

شمرايف: (منفجرا) في هذه الحالة أقدم استقالتي! ابحثى لنفسك
عن خولى آخر! (ينصرف)

أركاديننا: كل صيف هكذا، كل صيف يهينوننى هنا! لن أضع
قدمى هنا بعد اليوم!

(تمضى يسارا إلى حيث من المفترض أن يكون المسيح. ترى بعد دقيقة وهى
تدخل المنزل وخلفها يسير تريجورين حاملا سنانير ودلوا).

سورين: (منفجرا) هذه وقاحة! الشيطان يعلم ما هذا! لقد
مللت هذا في نهاية الأمر. هاتوا جميع الخيول هنا حالا!

نيننا: (بولينا أندرييفنا) أيرفض طلب إيرينا نيكولايفنا،
الممثلة الشهيرة! أليست أية رغبة من رغباتها، ولتكن
حتى نزوة، أهم من كل ممتلكاتكم؟ غير معقول!

بولينا أندرييفنا: (فى يأس) وماذا أستطيع؟ ضعى نفسك مكانى، ماذا
بوسعى أن أفعل؟

سورين: (لنينا) فلنذهب إلى أختى.. سنتوسل إليها كلنا ألا
ترحل. أليس كذلك؟ (ينظر إلى الجهة التى مضى نحوها
شمرايف) شخص لا يطاق! طاغية!

نيننا: (تمنعه من النهوض) اجلس، اجلس.. سندفعك..

(تدفع الكرسي المتحرك هى ومدفدينكو)

أوه، ما أفضع ذلك!..

سورين: نعم، نعم، هذا فظيع.. ولكنه لن يستقيل، سأحدث الآن معه.

(يخرجون. يبقى فقط دورن وبولينا أندرييفنا).

دورن: الناس مملون. في الحقيقة ينبغي طرد زوجك شر طردة، ولكن كل شيء سينتهي بأن يعتذر إليه بيوتر نيكولايفتش، هذه المرأة العجوز، هو وشقيقته. سترين!

بولينا أندرييفنا: حتى خيول العربات بعث بها إلى الحقل. وهذه الملابس تحدث كل يوم. آه لو تعلم كم يثيرني ذلك! إنني أمرض، أترى ها أنذا أرتجف.. لن أقوى على تحمل فظاظته (بصوت ضارع) يفجيني يا عزيزي، أيها الغالي، خذني إليك.. عمرنا يولّي، ولم تعد شبابا، دعنا على الأقل في آخر العمر لا نتخفى، لا نكذب..

(صمت)

دورن: أنا الآن في الخامسة والخمسين، فات الألوان لتغيير حياتي.

بولينا أندرييفنا: أنا أعرف أنك تصدني لأن هناك نساء غيرى قريات إليك. ولا يمكن أن تأخذهن جميعا إليك. أنا أفهم. عفوا أضجرتك.

(نينا تظهر قرب البيت. تقطف الزهور)

دورن: لا، لا بأس.

بولينا أندرييفنا: أنا أعانى من الغيرة. طبعاً أنت طيب، ولا تستطيع أن تتحاشى النساء. أنا أفهم..

دورن: (لينا التى اقتربت) كيف الحال هناك؟

نينا: إيرينا نيكولايفنا تبكى، أما بيوتر نيكولايفتش فلديه أزمة ربو.

دورن: (ينهض) سأذهب لأعطيها معاً قطرات فاليريانة..

نينا: (تقدم له الزهور) تفضل!

دورن: Merci bien (يذهب إلى المنزل)

بولينا أندرييفنا: (تذهب معه) ما أرقها من أزهار! (قرب المنزل بصوت أصم) أعطنى هذه الأزهار! أعطنى هذه الأزهار! (تأخذها فتمزقها وتلقى بها جانباً)

(يدخلان المنزل معاً)

نينا: (وحدها) ما أغرب أن ترى ممثلة مشهورة تبكى، ولسبب تافه كهذا! وأليس من الغريب أن هذا الكاتب المعروف، معشوق الجماهير، الذى تكتب عنه جميع الصحف، وتباع صوره، ويترجم إلى اللغات الأجنبية، يقضى النهار كله فى صيد السمك، بل ويفرح لأنه اصطاد سمكتين صغيرتين. كنت أظن أن المشاهير أعزاء، لا يمكن بلوغهم، وأنهم يحتقرون الجمهور، وكأنما بشهرتهم وبريق أسمائهم يتقمون منه جزاء على أنه يضع عراققة النسب والثروة فوق كل شىء. ولكن ها هم ييكون، ويصيدون السمك، ويلعبون الورق، يضحكون ويغضبون كبقية الناس.

تريبليف: (يدخل بدون قبعة، ببندقية ونورس مقتول) أنت هنا وحدك؟

نينا: وحدي.

(تريبليف يضع النورس تحت قدميها)

ما معنى هذا؟

تريبليف: ارتكبت اليوم ذنبا بقتل هذا النورس. ها أنذا أضعه تحت قدميك.

نينا: ماذا بك؟ (ترفع النورس وتنفصحه)

تريبليف: (بعد فترة صمت) قريبا أقتل نفسي بهذه الصورة.

نينا: أنا لا أكاد أعرفك.

تريبليف: نعم، بعد أن أصبحت لا أتعرف عليك. لقد تغيرت نحوي، ونظرتك باردة، وحضوري يثقل عليك.

نينا: لقد أصبحت عصيبا في الأيام الأخيرة، تحدث دائما بصورة غير مفهومة، برموز ما. وهذا النورس أيضا يبدو رمزا، ولكني، عفوا، لا أفهم.. (تضع النورس على الأريكة) أنا أبسط من أن أفهمك.

تريبليف: بدأ هذا من ذلك المساء الذي فشلت فيه مسرحيتي بتلك الصورة الحمقاء. النساء لا يغفرن الفشل. لقد أحرقت كل شيء، كل شيء حتى آخر مزقة. آه لو تدرين كم أنا تعيس! برودك نحوي رهيب، غير معقول، كأنها استيقظت فإذا بي أرى هذه البحيرة قد جفت فجأة

أو غاض ماؤها. لقد قلت لتوك إنك أبسط من أن تفهميني. أوه، ما الذى لا يمكن فهمه؟! المسرحية لم تعجبك، أنت تحتقرين إلهامى، أصبحت تعبريني عاديا، تافها، مثل كثيرين آخرين.. (يدق بقدمه) كم أفهم ذلك جيدا، كم أفهمه! كأنها فى دماغى مسمار، عليه اللعنة هو وغرورى الذى يمص دمى، يمصه كثعبان.. (يرى تريجورين الذى يسير وهو يقرأ كتابا) ها هى موهبة حقيقية تسير؛ يخطو كهاملت، وأيضا يحمل كتابا (مغيظا) «كلمات، كلمات، كلمات..» هذه الشمس لم تصل إليك بعد بينما رحت تبسمين، وذابت نظرتك فى أشعتها، لن أثقل عليكما (ينصرف بسرعة). تريجورين: (يسجل فى المفكرة) تتعاطى السعوط وتشرب الفودكا.. دائما فى ثوب أسود. المدرس يحبها.

نينا: مرحبا يا بوريس أليكسييفتش!

تريجورين: مرحبا. تغيرت الظروف فجأة بحيث يبدو أننا سنسافر اليوم. لا أظن أننا سنلتقى مرة أخرى. وهذا مؤسف. أنا لا يتسنى لى كثيرا أن أقابل فتيات شابات، شابات وممتعات، لقد نسيت ولا أستطيع أن أتصور بوضوح أحاسيس من فى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، ولذلك تبدو الفتيات الشابات فى رواياتى وقصصى عادة مزيفات. كم وددت لو أصبحت مكانك ولو

ساعة واحدة لكى أعرف كيف تفكرين، وعموما
لأعرف أى شىء أنت.

نينا: أما أنا فأود لو أصبح مكانك.

تريجورين: لماذا؟

نينا: لكى أعرف إحساس الكاتب الموهوب المشهور. ما هو

الإحساس بالشهرة؟ كيف تحس شهرتك؟

تريجورين: كيف؟ يبدو أننى لا أحس بها. لم أفكر فى ذلك أبدا.

(بعد تفكير) أحد أمرين: إما أنك تبالغين فى شهرتى،

أو أنها عموما غير محسوسة.

نينا: وإذا قرأت ما تكتبه الصحف عنك؟

تريجورين: عندما يمتدحوننى أشعر بالسرور، وعندما يذموننى

أظل يومين بعدها معتل المزاج.

نينا: عالم ساحر! آه لو تدرى كم أغبطك! حظوظ الناس

مختلفة. البعض يتخبطون فى حياة مملّة، غير ملحوظة،

وكلهم متشابهون، كلهم تعساء. والبعض الآخر، أنت

مثلا، أنت واحد فى المليون، أصبح من نصيبه حياة

شيقة، مشرقة مفعمة بالمعنى.. أنت سعيد..

تريجورين: أنا؟ (يهز كتفيه) هم.. أنت تتحدثين عن الشهرة، عن

السعادة، وعن حياة ما مشرقة، شيقة، أما بالنسبة لى فكل

هذه الكلمات الطيبة، عفوا، ليست سوى حلوى المرملة

التي لا أتناولها أبدا. أنت شابة جدا وطيبة جدا.

نينا: حياتك رائعة!

تريجورين: وما هو الرائع فيها؟ (يتطلع إلى ساعته) ينبغي على أن أمضي الآن لأكتب. عفوا، أنا مشغول.. (يضحك)
أنت، كما يقال، لمست أحد أوتارى الحساسة وها أنذا قد بدأت أنفعل وأغضب قليلا. وعموما فلتحدث.
ستحدث عن حياتى الرائعة المشرقة.. حسنا، بم نبدأ؟ (يفكر قليلا) هناك تصورات قسرية، عندما يظل الإنسان يفكر ليل نهار فى القمر مثلا، وأنا أيضا لدى مثل هذا القمر. فليل نهار تطاردنى فكرة واحدة لا فكاك منها: ينبغي أن أكتب، ينبغي أن أكتب، ينبغي..
وما إن أنتهى من رواية حتى يتوجب علىّ، لسبب ما، أن أكتب ثانية، فثالثة، وبعد الثالثة رابعة.. أكتب بلا انقطاع، دون توقف، ولا يمكننى إلا هكذا. فأى شىء رائع ومشرق فى ذلك، إننى أسألك؟ أوه، يالها من حياة فظيعة! ها أنذا الآن معك، منفعل، ومع ذلك لا أنسى لحظة واحدة أن هناك فى انتظارى رواية لم تكتمل. ها أنذا أرى سحابة تشبه المعزف. فأقول لنفسى: ينبغي أن أشير فى إحدى القصص القادمة إلى أنه قد مرت سحابة تشبه المعزف. وتفوح رائحة رقيب الشمس. وعلى الفور ألاحظ لنفسى: رائحة حلوة لاذعة، لون أرملى، تجب الإشارة إليه عند وصف أمسية صيفية. أترصد

كل عبارة أقولها أو تقولينها، وأسارع بحبس كل هذه العبارات والكلمات في مخزني الأدبي.. ربما تنفع! عندما أفرغ من العمل أركض إلى المسرح أو لصيد السمك. وهنا ينبغي أن أستريح وأركن إلى النسيان، ولكن لا، ففي رأسي تبدأ في الدوران كرة حديدية ثقيلة: موضوع جديد، ويروح يشدني إلى المكتب، ولا بد من الإسراع إلى الكتابة والكتابة مرة أخرى. وهكذا دائماً، دائماً، ولا راحة لي من ذاتي، وأشعر أنني ألتهم حياتي، وأنه من أجل العسل الذي أقدمه لمجهول في الفراغ فإنني أسلب أفضل أزهارى رحيقها، وأمزق الزهور نفسها وأدوس جذورها. أفلست مجنوناً؟ وهل يعاملني أهلي ومعارفي معاملتهم لشخص سليم؟ «ماذا تكتبون؟ ماذا ستهدوننا؟» دائماً نفس الشيء، ويخيل إليّ أن اهتمام المعارف والمديح والإعجاب... كل ذلك خداع، يخدعونني كمريض، وأحياناً أخشى أن يتسللوا من خلفي فجأة فيمسكون بي، ويحملونني مثل بوبريشين^(١) إلى مستشفى المجاذيب. أما في تلك السنوات، سنوات الشباب، أجهل السنوات، عندما بدأت، كانت الكتابة بالنسبة لي محض عذاب. فالكاتب

(١) بوبريشين هو بطل قصة «مذكرات مجنون» للكاتب الروسي المعروف نيقولاى جوجول (١٨٠٩ - ١٨٥٢). العرب.

الصغير، خاصة عندما يكون سيء الحظ، يبدو لنفسه
أخرق، مضطرباً، زائداً عن الحاجة، وأعصابه متوترة،
مرهقة. وتراه يحوم مشدوداً حول الأشخاص ذوي
العلاقة بالأدب والفن، غير معترف به، غير مُلتفت إليه،
يخشى أن ينظر مباشرة وبجراحة في الأعين، كأنها مقامر
ولوع لا نقود لديه. أنا لم أرقارئ، ولكنى تصورتها في
خيالى لسبب ما عدائياً، مستريباً. كنت أخشى الجمهور،
كان مرعباً بالنسبة لى، وعندما تقدم لى مسرحية جديدة
كان يخيل لى في كل مرة أن ذوي الشعر الأسود يقفون
موقفاً عدائياً، أما الشقر فلا مبالون ببرود. أوه ما أقطع
ذلك! يا له من عذاب كان!

نينا: عفواً، ولكن ألا يمنحك الإلهام وعملية الإبداع ذاتها
لحظات سامية سعيدة؟

تريجورين: بلى. عندما أكتب أشعر بالسرور، وقراءة البروفات
أيضاً سارة، ولكن.. ما إن يخرج العمل من المطبعة حتى
لا أعود أطيعه، وأرى بالفعل أنه ليس المطلوب، أنه
غلطة، وما كان ينبغي أن أكتبه أصلاً، فأشعر بالأسى،
ويتملك روحى القرف.. (ضاحكاً) أما الجمهور فيقرأ:
«نعم، لطيف، موهوب.. لطيف ولكن شتان بينه وبين
تولستوى» أو «قصة رائعة، ولكن «الآباء والأبناء»
لتورجينييف أحسن. وهكذا حتى الممات سيظل كل

شئ لطيفاً وموهوباً فقط، لطيفاً وموهوباً ولا شئ أكثر، وبعد أن أموت سيقول المعارف وهم يمرون بقبرى: «هنا يرقد تريجورين. كان كاتباً جيداً، لكنه كان يكتب أسوأ من تورجينييف».

نينا: عفواً، إننى لا أستطيع أن أفهمك. لقد أفسدك النجاح.

تريجورين: أى نجاح؟ أنا لم أعجب نفسى أبداً. أنا لا أحب نفسى ككاتب. أسوأ ما فى الأمر أننى فى دخان ما وكثيراً ما لا أفهم ما أكتب.. إننى أحب هذه المياه، والأشجار، والسماء، وأحس بالطبيعة، وهى تثير فى نفسى العواطف والرغبة العارمة فى الكتابة. ولكنى لست مجرد راسم مناظر، بل مواطن أيضاً، أحب وطنى وشعبى، وأشعر أننى مادمت كاتباً، فلزام علىّ أن أتحدث عن الشعب عن آلامه، عن مستقبله، أتحدث عن العلم، عن حقوق الإنسان وغيرها وغيرها، فأتحدث عن كل ذلك، وأتعب، ومن جميع الجهات يستعجلوننى، ويغضبون منى، فأركض من ركن إلى ركن، كالثعلب الذى تطارده الكلاب، وأرى أن الحياة والعلم يتقدمان حيثما إلى الأمام، أما أنا فأختلف عنهما أكثر فأكثر، كالفلاح الذى تأخر عن القطار. وفى نهاية الأمر أشعر أننى لا أجيد سوى تصوير المناظر، وفى كل ما عداه فأنا مزيف، مزيف حتى النخاع.

نينا: لقد استغرقك العمل، فلم يعد لديك وقت أو رغبة في إدراك قيمتك. فلتكن غير راض عن نفسك، ولكنك بالنسبة للآخرين عظيم ورائع! لو كنت أنا كاتبة مثلك لوهبت الجمهور كل حياتي، ولكني كنت أظل أدرك أن سعادته الوحيدة هي أن يرقى إلى، ولحملني الجمهور على عجلة.

تريجورين: هه، عجلة.. وهل أنا أجامنون أم ماذا؟
(يتسنان كلاهما)

نينا: من أجل سعادة أن أكون كاتبة أو ممثلة أنا مستعدة أن أتحمل كراهية الأقارب، والفاقة، وخيبة الأمل، أن أعيش في غرفة سطح وأكل الخبز الأسود فقط، أن أعانى من عدم الرضا عن النفس ومن إدراك عيوبى، ولكن في مقابل ذلك كنت أطالب بالشهرة.. الشهرة الحقيقية، الصاخبة.. (تغطي وجهها بيديها) رأسى يدور.. أف!..

صوت أركادينا: (من المنزل): يا بوريس أليكسييفتش!
تريجورين: ينادونى.. يبدو لترتيب الحقائق. لا أريد أن أرحل.
(يتطلع إلى البحيرة) يا لها من روعة!.. جميل!

نينا: أترى ذلك البيت والحديقة على الشاطئ الآخر؟
تريجورين: نعم.

نينا: إنها ضيعة المرحومة أمى. أنا ولدت هناك. قضيت حياتي كلها بجوار هذه البحيرة وأعرف كل جزيرة صغيرة فيها.

تريجورين: ما أروع المكان هنا! (يرى النورس) وما هذا؟

نينا: نورس. قتله قسطنطين جافريليتش.

تريجورين: طائر جميل. حقا لا أرغب في الرحيل. هيا أقنعى إيرينا
نيكولايفنا بالبقاء (يدون في مفكرته).

نينا: ماذا تكتب؟

تريجورين: هكذا، أسجل.. موضوع خطر لى.. (يخفى المفكرة)
موضوع لقصة قصيرة: على شاطئ بحيرة تعيش منذ
الصبا فتاة شابة، مثلك. تحب البحيرة كالنورس، وهى
سعيدة، حرة كالنورس. ولكن جاء شخص صدفة
فرآها، ومن الفراغ قضى عليها كما قضى على هذا
النورس.

(صمت)

(تلوح أركادينا فى النافذة)

أركادينا: بوريس أليكسييفتش، أين أنت؟

تريجورين: حالا! (يمضى وهو يتلفت نحو نينا. عند النافذة،
لأركادينا) ماذا؟

أركادينا: سنبقى.

(تريجورين يدخل المنزل)

نينا: (تقترب من مقدمة الخشبة. بعد فترة تفكير) حلم!

(ستار)

الفصل الثالث

(غرفة الطعام في منزل سورين. من اليمين واليسار بابان، صوان بوفيه. صوان أدوية. في وسط الغرفة طاولة. حقيبة وعلب كارتون. آثار الاستعداد للرحيل ظاهرة. تريجورين يفطر، وماشا تقف بجوار الطاولة)

ماشـا: كل هذا أرويه لك ككاتب. يمكنك أن تستخدمه. أقول لك عن صدق: لو أنه جرح نفسه جرحا خطيرا لما عشت لحظة واحدة. ولكنى شجاعة مع ذلك. ها قد قررت: سأنزِع هذا الحب من قلبي، سأنزعه من جذوره.

تريجورين: بأية طريقة؟

ماشـا: سأتزوج من مدفيدينكو.

تريجورين: من المدرس؟

ماشـا: نعم.

تريجورين: لا أفهم، ما الداعي.

ماشـا: لا معنى للحب بلا أمل، وانتظار شيء ما سنوات

طويلة.. ما إن أنزوج حتى لا يعود هناك وقت للحب،
الهموم الجديدة ستطغى على كل القديم. ثم إنه، رغم
كل شيء، تغيير. ألا نكرر؟

تريجورين: ألن يكون كثيرا؟

ماشاء: ماذا تقول! (نصب كأسين) لا تنظر إلى هكذا. النساء
يشربن أكثر مما تظن، الأقلية يشربن علانية، مثلى، أما
الأغلبية فسرّا. نعم. ويشربن فى الأغلب فودكا أو
كونياك. (تقرع كأسها بكأسه) تمنياتى! أنت رجل
بسيط، ومن المؤسف فراقك.

(يشربان)

تريجورين: أنا نفسى لا أرغب فى الرحيل.

ماشاء: فلتطلب منها أن تبقى.

تريجورين: كلا، الآن لن تبقى. ابنها أصبح سلوكه بعيدا عن أية
لباقة. مرة أطلق النار على نفسه، والآن يقال إنه ينوى
دعوتى للمبارزة. فلأى غرض؟ يغضب، ويبدى
سخطه، ويدعو لأشكال جديدة.. حسنا، ولكن هناك
متسع لها جميعا. الجديدة والقديمة، فلماذا التزاحم؟

ماشاء: ثم الغيرة منك. وعموما فليس هذا شأنى.

(صمت)

(ياكوف يمر من اليسار حاملا حقيبة، تدخل نينا
وتتوقف عند النافذة).

مدرسى هذا ليس كبير الذكاء ولكنه رجل طيب وفقير،

ويجبني جدا، أنا أرثى له. وأرثى لأمه العجوز. حسنا،
دعني أتمنى لك كل خير. لا تذكرني بسوء. (تصافحه
بقوة) ممتنة لك جدا على حسن معاملتك. فلترسل لي
كتبك، وعليها إهداء حتما. لكن لا تكتب «الموقرة» بل
ببساطة: «إلى ماريا التي لا تذكر القرابة والتي لا يُعرف
لأى غرض تعيش في هذه الدنيا». وداعا! (تنصرف)

نينا: (تمد نحو تريجورين يدها بقبضة مضمومة) فردى أم
زوجي؟

تريجورين: زوجي.

نينا: (متنهدة) كلا. ليس في يدي غير حبة واحدة. وقد
خمنت لنفسى: هل أتجه نحو التمثيل أم لا؟ لو ينصحنى
أحد.

تريجورين: هنا لا يمكن النصيح.
(صمت)

نينا: إننا نفترق و.. على الأرجح لن نلتقى أبدا. أرجو أن
تقبل منى للذكرى هذه الميدالية الصغيرة. لقد أمرت
بحفر الأحرف الأولى من اسمك عليها..ومن هذه
الناحية عنوان روايتك «الأيام والليالي».

تريجورين: يا لها من رشيقة! (يقبل الميدالية) هدية ساحرة!
نينا: تذكرني أحيانا.

تريجورين: سأذكر. سأذكرك كما كنت في ذلك اليوم المشرق،

أتذكرين؟ منذ أسبوع، عندما كنت في فستان فاتح..
تحدثنا آنذاك.. وعلى الأريكة كان ممددا نارس أبيض..
نينا: (مستغرقة في التفكير) نعم، نارس..
(صمت)

لا يمكننا مواصلة الحديث، إنهم قادمون.. قبيل السفر
أعطني دقيقتين، أتوسل اليك.. (تنصرف يسارا)
(يدخل من اليمين دفعة واحدة أركادينا وسورين مرتديا حلة رسمية
بنجمة، ثم ياكوف المهموم بترتيب المتاع).
أركادينا: ابق أيها العجوز هنا. إلى أين تريد الذهاب بروماتيزمك
هذا؟ (لتريجورين) من الذي خرج من هنا،؟ نينا؟
تريجورين: نعم.

أركادينا: Pardon، أزعجناكما.. (تجلس) يبدو رتبت كل شيء.
تعبت للغاية.

تريجورين: (يقرأ على الميدالية) «الأيام والليالي» صفحة ١٢١
السطران ١١، ١٢

ياكوف: (ينظف الطاولة) أأأمرون بجمع السنانير أيضا؟
تريجورين: نعم، سأحتاج إليها. أما الكتب فأعطيها لأي شخص.
ياكوف: حاضر.

تريجورين: (لنفسه) صفحة ١٢١، السطران ١١، ١٢ ترى ماذا في
هذين السطرين؟ (لأركادينا) هل توجد مؤلفاتي هنا
في البيت؟

أركادينا: عند أخى فى مكتبه، فى الصوان الركنى.

تريجورين: صفحة ١٢١.. (ينصرف)

أركادينا: حقا يا بتروشا، فلتبق فى البيت..

سورين: أنتم راحلون، سأشعر بالكآبة بدونكم هنا.

أركادينا: وماذا فى المدينة؟

سورين: لا شىء ذو أهمية، ومع ذلك. (يضحك) سيضعون

حجر الأساس لمبنى مجلس الإقليم وخلافه.. أريد ولو

لساعة أو ساعتين أن أنفض عنى هذه الحياة التافهة،

فقد بقيت ملقى كمبسم سجاير قديم. أمرت بتجهيز

الخيول فى الساعة الواحدة، سنرحل معا.

أركادينا: (بعد فترة صمت) حسنا. ابق هنا ولا تضجر، لا

تمرض. راقب ابنى. حافظ عليه. أرشده.

(صمت)

ها أنذا أرحل دون أن أعرف لماذا أطلق قسطنطين النار

على نفسه. يبدو لى أن السبب الرئيسى كان الغيرة، وكلما

أسرعت بإبعاد تريجورين عن هنا كان أفضل.

سورين: ماذا أقول لك؟ كانت هناك أسباب أخرى. شىء

مفهوم، فهو شاب، ذكى، يعيش فى قرية، فى ركن

معزول، بلا نقود، بلا مركز، بلا مستقبل. بدون أى

عمل. ينجل من فراغة ويخشاه. إننى أحبه للغاية، وهو

أيضا متعلق بى، ومع ذلك، وفى نهاية الأمر، يبدو له

أنه زائد عن الحاجة فى البيت، وأنه طفيل، عالة. شىء

مفهوم، عزة النفس..

أركادينا: يا ويلي منه! (مستغرقة في التفكير) ربما ينبغي أن يلتحق
بوظيفة..

سورين: (مصفرا، ثم بتردد) يبدو لي أن أفضل شيء لو أنك..
أعطيته بعض النقود. فقبل كل شيء هو بحاجة إلى
ملابس تليق بإنسان وخلافه. انظري، إنه لا يخلع عنه
هذه البدلة الحقيبة ثلاث سنوات، وليس لديه معطف..
(يضحك) ثم إن الشاب بحاجة إلى التسلية قليلا.. ربما
يستحسن أن يسافر إلى الخارج.. هذا لا يكلف كثيرا.

أركادينا: بل يكلف.. ربما أقدر على البدلة، أما السفر إلى الخارج..
كلا، الآن لا أقدر حتى على البدلة. (بحزم) ليس لدي
نقود!

(سورين يضحك)

ليس لدي!

سورين: (مصفرا) هكذا. عفوا يا عزيزتي، لا تغضبي. أنا
أصدقك.. أنت امرأة سمحة، نبيلة.

أركادينا: (من خلال الدموع) ليس لدي نقود!

سورين: لو كان لدي نقود لأعطيته، هذا مفهوم، ولكني لا
أملك شيئا، ولا خردة. (يضحك) كل معاشي يستولى
عليه الخولى وينفقه على الزراعة، وتربية المواشي، وتربية
النحل، وتضيع نقودي هباء. فالنحل ينفق، والأبقار
تنفق، أما الخيول فلا يقدمونها لي أبدا..

أركاديننا: نعم، أنا لَدَيَّ نقود، ولكنى ممثلة. الأزياء وحدها
أفلستنى تماما.

سورين: أنت طيبة، رقيقة...أنا أحترمك..نعم..ولكنى أشعر
ثانية بذلك الـ.. (يترنح) رأسى يدور. (يتشبث
بالباطولة) أشعر بدوار وخلافه.

أركاديننا: (بذعر) بتروشا! (تحاول إسناده) بتروشا يا عزيزى..
(تصرخ) ساعدونى! ساعدونى!..

(يدخل تريبليف معصوب الرأس، ومدفيدينكو لديه إغماء!)

سورين: لا بأس، لا بأس..(يتسم ويشرب ماء) انتهى كل
شئ..وخلافه..

تريبليف: (لأمه) لا تخافى يا ماما، هذا ليس خطيرا. أصبح ذلك
يحدث له كثيرا. (لخاله) يلزمك أن ترقد فى الفراش
يا خالى.

سورين: قليلا، نعم.. ومع ذلك سأذهب إلى المدينة.. سأرقد
قليلا ثم أسافر..شئ مفهوم.. (يسير معتمدا على
عصا)

مدفيدينكو: (يقوده من تحت إبطه) اسمع هذا اللغز: فى الصباح
يسير على أربع، وفى الظهر على اثنتين، وفى المساء على
ثلاث..

سورين: (يضحك) بالضبط. وفى الليل على ظهره. أشكرك،
أستطيع أن امشى بنفسى..

مدفيد ينكو: دعك من الكلفة!

(ينصرف مع سورين)

أركادينا: كم أفرغنى!

تريبليف: الحياة في الريف ضارة بصحته. إنه يشعر بالوحشة. لو

أنك يا ماما تكرمت عليه وأقرضته حوالى ألف وخمسمائة

أو ألفين لاستطاع أن يعيش في المدينة عاما كاملا.

أركادينا: ليس لدى نقود. أنا ممثلة ولست بنكيرة.

(صمت)

تريبليف: ماما، غيّر لي الضمادة. أنت تجيدين ذلك.

أركادينا: (تستخرج من الصوان اليودفورم ودرجا به مواد

التضميد) لقد تأخر الدكتور.

تريبليف: وعد أن يأتي في العاشرة، وها نحن الآن في الضحى.

أركادينا: اجلس (تنزع الضمادة عن رأسه) كأنك ترتدى عمامة.

بالأمس في المطبخ سأل أحد الوافدين عن جنسيتك.

جرحك التأم تقريبا. لم يبق إلا شيء بسيط (تقبل رأسه)

ألن تعود إلى هذا في غيابي؟

تريبليف: كلا يا ماما. كانت تلك لحظة يأس جنوني لم أتمالك

فيها نفسي. هذا لن يتكرر. (يقبل يدها) يداك ماهرتان.

أذكر منذ عهد بعيد - عندما كنت تعملين في مسرح

حكومي وكنت أنا صغيرا آنذاك - وقع شجار في فئتنا،

وضربوا بشدة بغسالة من ساكنات البيت. أتذكرين؟

رفعوها فاقدة الوعي.. وكنت تترددى عليها، وتحملين
لها الأدوية، وتحممين في الطست أطفالها. أحقا لا
تذكرين؟

أركادينا: كلا. (تضع ضمادة جديدة)

تريبليف: كانت تقطن راقصتا باليه أيضا في نفس المنزل الذى كنا
نقطنه.. كانتا تزورانك لشرب القهوة..

أركادينا: أذكر هذا.

تريبليف: وكانتا، كما أذكر، تقيتين.

(صمت)

في الآونة الأخيرة، في هذه الأيام، أحبك برقة وتفان كما
كنت أحبك في الطفولة. لم يعد لدى الآن أحد سواك.
ولكن لماذا، لماذا وقف بينى وبينك هذا الرجل.

أركادينا: أنت لا تفهمه يا قسطنطين. إنه من أنبل الناس..

تريبليف: بيد أنه عندما أبلغوه أننى أنوى تحديه في مبارزة لم يمنعه
النبيل من أن يظهر جنبه. يسافر. هروب مزر!

أركادينا: يا للهراء! أنا التى أبعده عن هنا. وإن علاقتنا لا يمكن
أن تعجبك بالطبع، ولكنك ذكى ومهذب، ومن حقى
أن أطالبك بأن تحترم حرىتى.

تريبليف: أنا أحترم حرىتك، ولكن اسمحى لى فى المقابل أن
أكون حرا وأنظر إلى هذا الشخص كما أريد. من أنبل
الناس! هانحن نكاد نتشاجر بسببه، أما هو فيجلس فى
مكان ما، فى غرفة الجلوس أو فى الحديقة ويضحك منى
ومنك، وينور نينا ويحاول أن يقنعها نهائيا بأنه عبقرى.

أركادينا: إنك تجد متعة في إيذائي. أنا أحترم هذا الرجل وأرجو ألا تتحدث عنه بسوء في حضوري.

تريبليف: أما أنا فلا أحترمه. أنت أيضا تريدني أن أعتبره عبقريا، آسف، إنني لا أجيد الكذب، وقصصه ترفضها روحي.

أركادينا: هذا حسد. الأشخاص المجردون من الموهبة ولكن يدعونها، لا يبقى أمامهم إلا أن يعيبوا المواهب الحقيقية. يا لها من سلوى بائسة!

تريبليف: (بسخرية) المواهب الحقيقية! (بغضب) أنا أكثر موهبة منكم جميعا إذا أردت الحقيقة! (ينزع الضمادة عن رأسه) أنتم الروتينيون، قد استوليتم على السبق في الفن ولا تعتبرون مشروعا وحقيقيا إلا ما تصنعونه أنتم، وما عدا ذلك تضطهدونه وتخنقونه! أنا لا أعترف بكم! لا أعترف لا بك ولا به!

أركادينا: عبثي!..

تريبليف: اذهبي إلى مسرحك اللطيف ومثلي هناك في مسرحياتك الحقيرة الفاشلة!

أركادينا: أنا لم أمثل أبدا في مسرحيات كهذه. دعني! أنت غير قادر حتى على كتابة فودفيل تافه. أيها الضيق الأفق! أيها العالة!

تريبليف: يا مقترّة!

أركادينا: أيها الشحاذ!

(تربيليف يجلس ويكي في صمت)

أيها التافه! (تذرع الغرفة بانفعال) لا تبك. لا داعي
للبيكاء.. (تبكي) لا داعي.. (تلثم جبينه وخديه ورأسه)
يا طفلي العزيز، اعذرني.. اعذر أمك الخاطئة. اعذرني
أنا التعيسة.

تربيليف: (يعانقها) آه لو تدرين! لقد فقدتُ كل شيء.. إنها
لا تحبني، ولم أعد قادرا على الكتابة.. ضاعت كل
أحلامي..

أركادينا: لا تيأس.. كل شيء سيعود. الآن سأحمله فتعود هي إلى
حبك (تمسح دموعه) كفى. لقد تصالحنا.

تربيليف: (يلثم يديها) نعم يا ماما.

أركادينا: (برقة) تصالح معه أيضا.. لا داعي للمبارزة.. لا
داعي، أليس كذلك؟

تربيليف: حسنا.. لكن أرجوك يا ماما، أنا لا أريد أن أقابله. هذا
صعب عليّ.. فوق طاقتي..

(يدخل تريجورين)

طيب.. سأخرج (يضع الأدوية في الصوان بسرعة)
الضخامة سيضعها لي الدكتور..

تريجورين: (يفتش في الكتاب) الصفحة ١٢١، السطران ١١،
١٢.. ها هما.. (يقرأ) «إذا احتجت إلى حياتي في وقت
ما، تعال وخذها».

(يرفع تربيليف الضمادة من الأرض وينصرف)

أركادينا: (تنظر إلى الساعة) سيحضرون الخيول قريبا.

تريجورين: (لنفسه) إذا احتجت إلى حياتي في وقت ما، تعال وخذها.

أركادينا: هل كل أمتعتك جاهزة؟

تريجورين: (بنفاد صبر) نعم، نعم.. (مستغرقا في التفكير) لماذا أحسست بالحزن في هذا النداء من روح طاهرة، وانقبض قلبي متألما هكذا؟.. إذا احتجت إلى حياتي في وقت ما، تعال وخذها. (لأركادينا) فلنبق يوما آخر! (أركادينا تهز رأسها سلبا)

لنبق!

أركادينا: أيها العزيز، أنا أعرف ما الذى يشدك هنا. لكن تمالك نفسك. أنت ثمل قليلا، أفق.

تريجورين: أفيقى أنت أيضا، وكونى ذكية، عاقلة، أتوسل إليك، انظري إلى كل ذلك نظرة صديق حقيقى.. (يضغط على يدها) أنت قادرة على التضحية... كونى صديقى، واركبنى...

أركادينا: (بانفعال شديد) هل أنت عاشق هكذا؟

تريجورين: إنها تجذبني! ربما كان ذلك هو بالضبط ما أحтаجه.

أركادينا: حب فتاة ريفية؟ أوه إنك لا تعرف نفسك!

تريجورين: أحيانا ينام الناس وقوفا، وهكذا أتحدث إليك وأشعر وكأننى نائم وأراها فى الحلم.. اتركينى..

أركاديننا: (ترتعش) كلا، كلا.. أنا امرأة عادية، لا ينبغي أن
تحدث معي هكذا.. لا تعذبنى يا بوريس.. إننى
خائفة..

تريجورين: بوسعك أن تصبحى غير عادية لو أردت. الحب الفتى،
الساحر، الشاعر، المحلق بك فى عالم الأحلام.. هذا
الحب هو وحده القادر على منح السعادة على وجه
الأرض! أنا لم أجرب بعد مثل هذا الحب.. فى الصبا
لم يكن لدى وقت، كنت أتمسح بأعتاب المجلات
والصحف، كنت أصارع الفاقة.. والآن، ها هو هذا
الحب، قد جاء أخيرا، ويجذبني إليه.. فأى معنى لأن
أهرب منه؟

أركاديننا: (بغضب) لقد جنت!

تريجورين: فليكن.

أركاديننا: تأمرتم كلكم على اليوم لتعذبي! (تبكى)

تريجورين: (يمسك برأسه) إنها لا تفهم! لا تريد أن تفهم!

أركاديننا: أنا حقا عجوز وقبيحة إلى هذه الدرجة، حتى إنه يمكن
التحدث معي دون حرج عن نساء أخريات؟ (تعانقه
وتقبله) أوه، أنت جنت! يا حبيبي الرائع، المدهش..
أنت آخر صفحة فى حياتي! (تجنو على ركبتيها)
يا سعادتي، يا عزتي، يا نعمتي.. (تعانق ركبتيه) لو
تركني، ولو ساعة فلن أحتمل، سأجن، يا حبيبي
الرائع، البديع، يا مولاي..

تريجورين: قد يدخل أحد هنا (يساعدها على النهوض)
أركاديننا: فليكن، أنا لا أخجل من حبي لك. (تقبل يديه)
يا كنتزى، أيها المتهور، أنت تريد أن تستسلم للجنون،
وأنا لا أريد، لن أدعك.. (تضحك) أنت لى.. لى..
وهذا الجبين لى، والعينان لى، وهذا الشعر الحريرى
الرائع أيضا لى.. أنت كللك لى. كم أنت موهوب،
ذكى، أنت أفضل الكتاب المعاصرين. أمل روسيا
الأوحد..كم لديك من صدق، وبساطة، وطزاجة،
وفكاهة حية.. بوسعك بلمسة واحدة أن تعبر عن أهم
ما يميز الشخص أو المنظر، وأبطالك كأنهم أحياء. لا
يمكن للمرء أن يقرأ لك دون إعجاب! أنظن ما أقول
مديحًا؟ تملقًا؟ حسنا، حذق فى عيني.. حذق..هل أشبه
الكاذبة؟ هكذا ترى، أنا الوحيدة التى تعرف قدرك.
الوحيدة التى تقول لك الحقيقة يا عزيزى يا روحى..
سترحل؟ نعم؟ لن تهجرنى؟..

تريجورين: ليس عندى إرادة.. لم يكن لدى أبدا إرادة.. طرى،
رخو، مطيع دائما، أمن المعقول أن ذلك يعجب
النساء؟ خذينى، احملينى، لكن لا تتركينى أبتعد عنك
خطوة..

أركاديننا: (لنفسها) الآن أصبح لى. (بلهجة استهتار، وكأنها لم
يحدث شىء) وعموما، إذا أردت، تستطيع أن تبقى.

سأسافر أنا وتأتى أنت فيما بعد، بعد أسبوع. وبالفعل

علام تستعجل؟

تريجورين: لا، بل سنسافر معا.

أركاديننا: كما تشاء. فليكن معا..

(صمت)

(تريجورين يدون في مفكرته)

ماذا بك؟

تريجورين: سمعت صباحا تعبيرا جيدا: «غابة العذارى».. قد

ينفع (يتمطى) إذن سنسافر؟ مرة ثانية هذه العربات،

والمحطات، والبوفيهات، والكستليتة، والأحاديث..

شمرايف: (داخلا) أتشرف بإخطاركم بمشاعر الحزن بأن الخيول

جاهزة. حان الوقت يا سيدتى الموقرة للرحيل إلى

المحطة. القطار يأتى فى الثانية وخمس دقائق. وهكذا

أرجوك يا إيرينا نيكولايفنا ألا تنسى أن تستعملى أين

يوجد الآن الممثل سوزدالتسف؟ هل هو حى؟ وكيف

صحته؟ فى وقت ما كنا نشرب معا.. فى «البريد المسروق»

لعب بصورة فذة.. أذكر أنه كان يخدم معك آنذاك فى

مدينة يلزافيتجراد الممثل التراجيدى إيزمايلوف، أيضا

شخصية رائعة.. لا تستعجلي يا سيدتى الموقرة مازال

فى الوقت متسع لخمس دقائق. ذات مرة كانا يمثلان فى

ميلودراما دور المتآمرين، وعندما اكتشفوهما كان ينبغى

أن يقولوا «وقعنا فى الفخ»، ولكن إيزمايلوف صاح:

«وقعنا فى الخف».. (يقهقه) فى الخف!..

(أثناء حديثه يسعى ياكوف بجوار الحقائق، والخادم تحمل لأركادينا القبعة، والمانتو، والمظلة، والقفاز والجميع يساعدون أركادينا على ارتداء ملابسها. من الباب الأيسر يطل الطاهى الذى يدخل بعد ذلك بقليل متردداً. تدخل بوليننا أندرييفنا، ثم سورين ومدفيدينكو).

بولينا أندرييفنا: (تحمل سلة) إليكم برقوفا للطريق.. حلو جداً. ربما أردتم تذوقه..

أركادينا: أنت طيبة جداً يا بوليننا أندرييفنا.

بولينا أندرييفنا: الوداع يا عزيزتى! ساحبنا إذا كان وقع منا خطأ.
(تبكى)

أركادينا: (تعانقها) كان كل شىء جيداً، كان كل شىء جيداً. أما البكاء فلا لزوم له.

بولينا أندرييفنا: زماننا يولى!

أركادينا: وما العمل!

سورين: (فى معطف، ودثار، وقبعة، وبعصا، يخرج من الباب الأيسر. يعبر الغرفة) حان الوقت يا أختى، أخشى أن نتأخر فى نهاية الأمر. سأذهب لأركب. (يخرج)

مدفيدينكو: سأذهب إلى المحطة على الأقدام.. لأودعكم.. بسرعة..
(ينصرف)

أركادينا: إلى اللقاء يا أعزائى.. إذا عشنا فسنلتقى فى الصيف القادم..

(الخادم وياكوف والطاهى يقبلون يدها)

لا تنسونى (تعطى الطاهى روبلا) هذا روبل لكم
الثلاثة.

الطاهى: مع جزيل الشكر يا سيدتى. تصحبك السلامة! ممتنون
لك جدا!

ياكوف: فى رعاية الله!

شمرايف: أسعدونا برسالة! الوداع يا بوريس أليكسييفتش!
أركاديننا: وأين قسطنطين؟ قولوا له إننى راحلة. يجب أن أودع.
حسنا، لا تذكرونا بسوء. (لياكوف) أنا أعطيت الطاهى
روبلا. إنه لكم الثلاثة.

(الجميع ينصرفون إلى اليمين. خشبة المسرح خاوية. تتردد خلفها الضجة
المميزة للرحيل والوداع. الخادم تعود لتأخذ من على الطاولة سلة البرقوق،
وتنصرف ثانية).

تريجورين: (عائدا) لقد نسيت عصاى. يبدو أنها فى الشرفة.

(يذهب فيلتقى عند الباب الأيسر بنينا التى تدخل).

أهو أنت؟ إننا راحلون..

نينا: كان عندى إحساس بأننا سنلتقى ثانية. (بانفعال)

بوريس أليكسييفتش، لقد اتخذت قرارى القاطع، قُضَى

الأمر، سألتحق بالمسرح. غدا لن أكون هنا، سأترك

أبى، سأهجر كل شىء وأبدأ حياة جديدة.. أنا راحلة

مثلكم.. إلى موسكو. هناك سنلتقى.

تريجورين: (يتلفت) انزلى فى فندق «سلافيانسكى بازار».. أخطرني
على الفور... مولتشانوفكا، منزل جروخولسكى.. أنا
مستعجل..

(صمت)

نينا: دقيقة أخرى..

تريجورين: (هامسا) أنت رائعة.. أوه يالها من سعادة أن أفكر فى
لقائنا القريب!

(تميل على صدره)

وأرى من جديد هاتين العينين الرائعتين، وهذه البسمة
الرفيعة البديعة بما لا يوصف.. هذه القسمات الوديدة،
وتعبير الطهارة الملائكية.. أيتها الغالية..

(قبلة طويلة)

(ستار)

(بين الفصلين الثالث والرابع يمضى عامان)

الفصل الرابع

(إحدى غرف الاستقبال في منزل سورين، وقد حوّلها قسطنطين تريبليف إلى غرفة مكتب. بابان إلى اليمين وإلى اليسار يفضيان إلى الغرف الداخلية. في الواجهة باب زجاجي يفضي إلى الشرفة. بالإضافة إلى أثاث غرفة الجلوس العادي توجد في الزاوية اليمنى طاولة مكتب، وبجوار الباب الأيسر كنبه تركية وخزانة كتب، والكتب على النوافذ وعلى المقاعد. الوقت مساء. يشتعل مصباح واحد تحت غطاء. شبه ظلام. يسمع حفيف الأشجار وعويل الريح في المداخل ودقات الحارس. يدخل مدفيدينكو وماشا).

ماشـا: (منادية) يا قسطنطين جافريليتش! قسطنطين جافريليتش! (تنظر متفحصة) لا أحد هنا. العجوز يسأل كل دقيقة أين كوستيا أين كوستيا.. لا يستطيع أن يحيا بدونه..

مدفيدينكو: يخشى الوحدة. (يصيح) ياله من طقس فظيع! لليوم الثاني على التوالي.

ماشـا: (ترفع فتيل المصباح) ارتفعت الأمواج في البحيرة. أمواج هائلة.

مدفيد ينكو : البستان مظلم. ينبغي تذكيرهم بأن يهدموا ذلك المسرح
في البستان. يقوم عاريا. قبيحا، كالهيكल العظمى،
وستاره يقرقع في الريح. عندما مررت بجواره مساء
أمس، خيل إلى أن بداخله أحدا يبكي.

ماشأا: يا للتصورات..

(صمت)

مدفيد ينكو : فلنعد يا ماشأا إلى البيت.

ماشأا: (تمز رأسها سلبا) سأبقى للمبيت هنا.

مدفيد ينكو : (ضارعا) ماشأا، فلنعد! طفلنا أكيد جائع!

ماشأا: بسيطة، ستطعمه مريونا.

(صمت)

مدفيد ينكو : مسكين. الليلة الثالثة بدون أمه.

ماشأا: كم أصبحت مملا. كنت في السابق تتفلسف على الأقل،

أما الآن فلا شيء إلا الطفل والمنزل، الطفل والمنزل..

ولا أسمع منك غير ذلك.

مدفيد ينكو : فلنعد يا ماشأا!

ماشأا: اذهب أنت.

مدفيد ينكو : أبوك لا يعطيني حصانا.

ماشأا: اطلب منه وسيعطيك.

مدفيد ينكو : وهو كذلك. إذن ستأتين غدا؟

ماشأا: (تستنشق التبغ) طيب، غدا.. كفى إلحاحا..

(يدخل تريليف وبولينا أندرييفنا. تريليف يحمل وسائد وبطانية، وبولينا أندرييفنا تحمل ملاءات. يضعانها على الكنبه التركية، ثم يتجه تريليف إلى مكتبه ويجلس إليه).

لم هذا يا ماما؟

بولينا أندرييفنا: طلب بيوتر نيكولايفتش أن نفرش له بالقرب من كوستيا.

ماشـا: هاتى أنا أفرش.. (تعد الفراش)

بولينا أندرييفنا: (متنهدة) العجوز والطفل سيان.. (تتجه إلى طاولة المكتب وترتكز عليها بيديها وتحقق في المخطوط).

(صمت)

مدفيد ينكو: إذن سأذهب. وداعا يا ماشا (يقبل يد زوجته) وداعا

يا نينة (يريد أن يقبل يد حماه)

بولينا أندرييفنا: (بأسى) طيب، مع السلامة!

مدفيد ينكو: وداعا يا قسطنطين جافريليتش.

(تريليف يمد له يده فى صمت. ينصرف مدفيد ينكو).

بولينا أندرييفنا: (تحقق فى المخطوط) لم يكن أحد يظن أو يخمن يا كوستيا

أنك ستصبح كاتبا حقيقا. وها هم الآن، والحمد لله،

يرسلون لك النقود من المجلات (تمر بيدها خلال

شعره) وأصبحت جميلا... يا كوستيا العزيز، أيها

الطيب، كن أكثر رقة مع ابنتى ماشنكا!..

ماشـا: (تعد الفراش) دعيه يا ماما.

بولينا أندرييفنا: (لتريليف) إنها لطيفة.

(صمت)

المرأة يا كوستيا لا تحتاج إلى شيء. فقط انظر إليها بركة.
أعرف هذا بخبرتي.

(ينهض تريليف من أمام المكتب وينصرف في صمت).

ماشاشا: ها قد أغضبتة. ما كان ينبغي أن تضايقيه.

بولينا أندرييفنا: إنني أرثى لك يا ماشنكا.

ماشاشا: لا حاجة إلى ذلك!

بولينا أندرييفنا: قلبي يتمزق ألما عليك. إنني أرى وأفهم كل شيء.

ماشاشا: هراء. الحب بلا أمل يوجد في الروايات فقط. كلام

فارغ. المهم ألا تتراخى وتبقى منتظرا شيئا ما، منتظرا

الرياح المواتية.. إذا تسرب الحب إلى قلبك فينبغي

طرده. لقد وعدوا زوجي بنقله إلى إقليم آخر. ما إن

ننتقل إلى هناك حتى أنسى كل شيء.. أقتلعه بجذوره

من قلبي.

(عبر غرفتین يتردد لحن فالس حزين)

بولينا أندرييفنا: كوستيا يعزف. إذن فهو يشعر بالوحشة.

ماشاشا: (تدور دورتين أو ثلاث من رقصة الفالس بدون صخب)

المهم يا ماما ألا أراه أمام عيني. فلينقلوا سيميون زوجي

وعندئذ، صدقيني، سأنساه في شهر واحد. كل هذا

هراء.

(يفتح الباب الأيسر، دورن ومدفيدينكو يدفعان كرسيًا متحركًا وعليه سورين).

مدفيدينكو: أصبح لدى ستة أشخاص في البيت. والدقيق يساوي سبعين كوبيكا للبود.

دورن: فلتدبر أمورك إذن.

مدفيدينكو: من السهل عليك أن تسخر، النقود لديك بلا حساب.

دورن: النقود؟ خلال ثلاثين عاما من الممارسة يا صديقي،

الممارسة الشاقة، عندما لم أكن ملك نفسي لا نهارا ولا

ليلا، استطعت أن أدخر ألفي روبل فقط، وقد أنفقتها

عندما كنت في الخارج منذ قريب. ليس لدى شيء.

ماشاشا: (لزوجها) ألم ترحل؟

مدفيدينكو: (بذنب) وما العمل؟ لا يعطونني حصانا!

ماشاشا: (بأسى ومرارة، شبه هامسة) لو أن عيني لا تراك!

(يتوقف الكرسي في نصف الغرفة الأيسر. تجلس بولينا أندرييفنا وماشا

ودورن بجواره. ينتحى مدفيدينكو المحزون جانبا).

دورن: أوه، ما أكثر التغيرات لديكم! جعلتم من غرفة

الجلوس مكتبا.

ماشاشا: قسطنطين جافريليتش يرتاح إلى العمل هنا أكثر. بوسعه

أن يخرج إلى البستان في أي وقت ليفكر هنالك.

(الحارس يdq)

سورين: وأين أختي؟

دورن: رحلت إلى المحطة لتستقبل تريجورين. ستعود حالا.

سورين: طالما رأيتم من اللازم استدعاء أختي، فهذا معناه أن

حالي خطيرة (بعد صمت) يالها من حكاية، حالي خطيرة ومع ذلك لا يعطونني أى دواء.

دورن: وماذا تريد؟ نقاط فاليريانة؟ صودا؟ كينا؟

سورين: آه، يبدأ التفلسف. أوه، يا للعذاب!

(يوميء برأسه إلى الكنبه)

هذا الفراش لى؟

بولينا أندرييفنا: لك يا بيوتر نيكولايفتش.

سورين: أشكرك.

دورن: (يدندن) «فى سماء الليل يسبح الهلال...».

سورين: أريد أن أقدم لكوستيا موضوعا لرواية. ينبغى أن يكون

عنوانها هكذا: «الرجل الذى أراد». «L'HOMME QUI

AVOULU» فى صباى أردت ذات يوم أن أصبح أديبا..

ولم أصبح. أردت أن أتحدث ببلاغة فصرت أتحدث

بفضاعة (يقلد نفسه) «وخلافه، وما إلى ذلك، يعنى،

لا أعنى».. كنت أسعى طويلا لتقديم الخلاصة، أسعى

حتى العرق. وأردت أن أتزوج، فلم أتزوج. أردت أن

أعيش دائما فى المدينة، وها أنذا أنهى حياتى فى القرية

وخلافه.

دورن: أردت أن تصبح مستشار دولة.. فأصبحت.

سورين: (ضاحكا) لم أسع إلى هذا. ذلك حدث بلا تدبير.

دورن: أن تعرب عن سخطك على الحياة وأنت في الثانية
والستين.. صدقنى، هذه ليست سباحة.

سورين: يالك من عنيد. افهمنى، أود أن أعيش!

دورن: هذا طيش، حسب قوانين الطبيعة كل حياة ينبغى أن
تكون لها نهاية.

سورين: أنت تتحدث كشخص شبعان. أنت شبعان ولذلك لا
تبالى بالحياة، كل شيء لديك سيان. ومع ذلك فستشعر
أنت أيضا بالخوف عند الموت.

دورن: الخوف من الموت خوف حيوانى.. ينبغى كبتة. الذين
يخشون الموت عن وعى هم فقط من يؤمنون بالحياة
الخالدة، والذين يشعرون بالفزع من ذنوبهم. أما أنت
فأولا، لست مؤمنا، وثانيا، أية ذنوب لديك؟ لقد
خدمت خمسة وعشرين عاما في دائرة المحاكم، وهذا
كل ما هنالك.

سورين: (ضاحكا) ثمانية وعشرين..

(يدخل تريبليف ويجلس على أريكة عند قدمى سورين. ماشا لا تحول عنه
عينها طوال الوقت).

دورن: إننا نعطل قسطنطين جافريلوفتش عن العمل

تريبليف: لا، لا بأس.

(صمت)

مدفيدنيكو: لو سمحت يا دكتور بسؤال: أية مدينة في الخارج أعجبتك أكثر؟

دورن: جنوة.

تريبليف: ولماذا جنوة؟

دورن: جمهور الشارع هناك رائع. عندما تخرج مساء من الفندق، تجد الشارع مكتظا بالبشر. ثم تسير بعد ذلك مع الحشد دون غاية، إلى هنا وهناك، في خط متكسر، وتعيش معه حياته وتندمج معه نفسيا، فتكاد تصدق أنه بالفعل، من الممكن أن توجد روح عالمية واحدة، كتلك التي لعبتها نينا زاريتشنايا ذات يوم في مسرحيتك. بالمناسبة، أين زاريتشنايا الآن؟ أين وكيف هي؟

تريبليف: بصحة جيدة على ما يبدو.

دورن: سمعت أنها سلكت حياة من نوع خاص. ما المسألة؟

تريبليف: هذه يا دكتور قصة طويلة.

دورن: فهلا اختصرت.

(صمت)

تريبليف: هربت من البيت وعاشت ترييجورين. هل تعرف ذلك؟

دورن: أعرف.

تريبليف: وكان لديها طفل. ثم مات الطفل. ولم يعد ترييجورين

يجبها، وعاد إلى علاقاته السابقة كما كان متوقعا. وعموما فهو لم يقطع أبدا صلته بعلاقاته السابقة، بل استطاع، لضعف شخصيته، أن يظل هنا وهناك. وعلى قدر فهمي مما علمت به فإن نينا لم توفق في حياتها الخاصة على الإطلاق.

دورن: والمسرح؟

تريبليف: يبدو أسوأ. بدأت أول أدوارها في مسرح صيفي قرب موسكو، ثم رحلت إلى الريف. آنذاك لم أتركها تغيب عن نظري، وظللت لفترة أرحل إلى حيث ترحل. كانت تتصدى للأدوار الرئيسية، ولكنها كانت تمثل بخشونة، بلا ذوق، بعويل وحركات حادة. وكانت هناك لحظات صرخت فيها بموهبة، أو ماتت بموهبة، ولكنها كانت مجرد لحظات.

دورن: إذن فلديها موهبة رغم ذلك.

تريبليف: كان من الصعب أن تفهم. ربما كان لديها. كنت أنا أراها ولكنها لم ترد أن تراني، ومنعني الخدم من دخول غرفتها. وقد فهمت حالتها فلم أصر على طلب رؤيتها.

(صمت)

ماذا أقول لك أيضا؟ بعد أن عدت إلى البيت تلقيت منها عدة رسائل. رسائل ذكية، دافئة، شيقة. لم تشك

من شيء ولكنى أحسست أنها تعيسة للغاية. كل سطر
عصب مريض مشدود. وخيالها مختل نوعا ما. كانت
توقع الرسائل بـ «النورس». في «جنية البحر»^(١) يقول
الطحان إنه غراب، وهى فى رسائلها كانت تردد أنها
نورس. والآن هى هنا.

دورن: كيف، هنا؟

تريبليف: فى المدينة، فى فندق. منذ خمسة أيام تقيم هناك فى غرفة.
أنا ذهبت إليها، وماريا إيلينيشنا أيضا ذهبت، ولكنها
لا تستقبل أحدا. سيميون سيميونوفتش يؤكد أنه رآها
بالأمس بعد الغداء فى الحقل، على بعد كيلومترين من
هنا.

مدفيدينكو: نعم، رأيته. كانت تسير فى تلك الجهة، نحو المدينة.
حييتها، وسألته لماذا لا تزورنا، فقالت إنها ستأتى.

تريبليف: لن تأتى.

(صمت)

أبوها وزوجته لا يريدان رؤيتها. وقد وضعوا الحراس فى
كل مكان لكى لا تستطيع حتى الاقتراب من الضيعة.
(يبتعد مع الدكتور إلى المكتب) ما أسهل يا دكتور أن
تكون فيلسوفا على الورق وما أصعب ذلك عمليا!

سورين: كانت فتاة ساحرة.

(١) «جنية البحر» قصيدة طويلة للشاعر الكبير ألكسندر بوشكين. المغرب.

دورن: ماذا؟

سورين: أقول كانت فتاة ساحرة. حتى إن مستشار الدولة سورين كان متيما بها بعض الوقت.

دورن: أيها الغندور العجوز.

(يسمع ضحك شمرايف)

بولينا أندرييفنا: يبدو أنهم جاءوا من المحطة..

تريبليف: نعم، أسمع صوت ماما.

(تدخل أركادينا وتريجورين وخلفهما شمرايف).

شمرايف: (داخلاً) كلنا نهرم، نتفتت بتأثير عوامل التعرية،

أما أنت، يا سيدتي الموقرة، فما زلت صبية.. البلوزة

الفاخرة، والحيوية.. والرشاقة..

أركادينا: تريد أن تحسدني ثانية أيها الرجل الممل!

تريجورين: (لسورين) مرحبا يا بيوتر نيكولايفتش! مالك مريض

دائماً؟ لا يصح! (يرى ماشا فيقول بفرح) ماريا

إيليتشنا!

ماشـا: عرفتني؟ (تشد على يده)

تريجورين: متزوجة؟

ماشـا: من زمان.

تريجورين: سعيدة؟ (ينحنى محييا دورن ومدفيدينكو، ثم يقترب

من تريليف مترددا) إيرينا نيكولايفنا قالت إنك نسيت

الماضي ولم تعد غاضبا.

(تربيليف يمد له يده)

أركادينا: (لابنها) ها هو بوريس أليكسييفتش قد أحضر المجلة التى نشرت قصتك الجديدة.

تربيليف: (لتريجورين متناولا منه المجلة) أشكرك. هذا كرم منك (يجلسان)

تريجورين: المعجبون بك يبعثون إليك بتحياتهم.. فى بطرسبرج وموسكو مهتمون بك عموما، ودائما ما يسألوننى عنك. يسألون: كيف يبدو، كم عمره، أسود الشعر أم أشقر. ولسبب ما يظنون جميعا أنك كهل. ولا أحد يعرف اسم عائلتك الحقيقى لأنك تكتب باسم مستعار. أنت غامض كذى القناع الحديدى.

تربيليف: هل ستبقى طويلا لدينا؟

تريجورين: كلا، غدا أنوى العودة إلى موسكو. ضرورى. أتعجل لإنهاء رواية، ثم إنى وعدت بتقديم شىء ما لمجموعة قصص. وباختصار: الحكاية القديمة.

(أثناء حديثهما تضع أركادينا وبولينا أندرييفنا طاولة لعب الورق فى وسط الغرفة وتفردانها. شمرايف يشعل الشموع ويضع الكراسى. يستخرجون من الصوان معدات اللوتو).

استقبلنى الجو استقبالا غير ودى. الريح قاسية. غدا صباحا، لو هدأت، فسأذهب إلى البحيرة لاصطياد السمك. بالمناسبة ينبغى أن أتفقد البستان، وذلك

المكان - أتذكر؟ - الذى مثلت فيه مسرحيتك. لقد
نضجت فى ذهنى فكرة، فقط من الضرورى استعادة
مكان الأحداث إلى الذاكرة.

ماشأا: (لأبيها) بابا، اسمح لزوجى أن يأخذ حصانا! عليه أن
يعود إلى البيت.

شمرايف: (مقلدا) حصانا.. إلى البيت.. (بصرامة) ألم ترى
بنفسك.. الحصان عاد لتوه من المحطة. لا يمكن إرهاقة
أكثر.

ماشأا: ولكن هناك خيولا أخرى.. (عندما ترى أباها صامتا
تشيخ بيدها) ما جدوى الكلام معك..

مدفيد ينكو: سأعود ماشيا يا ماشأا. صحيح..
بولينا أندرييفنا: (متنهدة) مشيا، فى هذا الجو.. (تجلس إلى طاولة اللعب)
تفضلوا يا سادة.

مدفيد ينكو: كل المسافة ستة كيلومترات فقط.. وداعا (يقبل يد
زوجته) الوداع يا نينة.

(تمد له حماته يدها على مضض ليقبلها)
ماكنت لأزعج أحدا.. ولكن الطفل.. (ينحنى للجميع)
وداعا.. (ينصرف، ومشيته تبدو مذبذبة)

شمرايف: لا بأس، سيصل. ليس جنرا لا.
بولينا أندرييفنا: (تدق على الطاولة) تفضلوا يا سادة. الوقت قليل،
فقريبا ستتعشى.

(يجلس شمراف وماشا ودورن إلى الطاولة)

أركادينا: (لتريجورين) عندما تحل أمسيات الخريف الطويلة يلعبون اللوتو هنا. انظر..لوتو عتيق، كانت تلعب معنا به المرحومة أمى، عندما كنا أطفالا. ألا تريد أن تلعب معنا جولة قبل العشاء؟ (تجلس مع تريجورين إلى الطاولة) لعبة مملة، ولكن إذا ألفتها فلا بأس بها. (توزع على كلٍّ منهم ثلاث بطاقات)

تريبليف: (يتصفح المجلة) روايته قرأها، أما روايتي فلم يفض حتى صفحاتها (يضع المجلة على المكتب، ثم يتوجه إلى الباب الأيسر، عندما يمر بجوار أمه يقبلها في رأسها)

أركادينا: وأنت يا كوستيا؟

تريبليف: اعذريني، لا أشعر برغبة.. سأتمشى. (يخرج)

أركادينا: الرهان عشرة كوييكات، ضع بدلا عنى يا دكتور.

دورن: حاضر.

ماشـا: هل وضع الجميع رهانهم؟ سأبدأ.. اثنان وعشرون!

أركادينا: عندى.

ماشـا: ثلاثة!..

دورن: هكذا.

ماشـا: وضعتم ثلاثة؟ ثمانية! واحد وثمانون! تسعة!

شمراف: لا تستعجلي.

أركادينا: كيف استقبلونى فى خاركوف، يا إلهى، رأسى يدور

حتى الآن!

ماشاشا: أربعة وثلاثون!

(خلف المسرح يتردد فالس حزين)

أركاديننا: الطلبة أثاروا عاصفة من التصفيق.. ثلاث سلال زهور

وإكليان وهذا.. (تنزع من صدرها بروشا وتلقى به

على الطاولة)

شمرايف: نعم، هذا شيء قيم..

ماشاشا: خمسون!..

دورن: خمسون تماما؟

أركاديننا: كنت في فستان مدهش.. فيما يخص الملابس فأنا أعرف

كيف ألبس.

بولينا أندرييفنا: كوستيا يعزف. يشعر بالوحشة، المسكين.

شمرايف: يسبونه كثيرا في الصحف.

ماشاشا: سبعة وسبعون!

أركاديننا: لا داعي للالتفات إلى ذلك.

تريجورين: إنه سيئ الحظ. لا يستطيع أبدا أن يصل إلى نبرته

الحقيقية. يكتب أشياء غريبة، غير واضحة، تشبه

الهديان أحيانا. ليس هناك شخصية واحدة حية.

ماشاشا: أحد عشر!

أركاديننا: (تتطلع إلى سورين) بتروشا، هل تشعر بالملل؟

(صمت)

نائم.

دورن: مستشار الدولة نائم.

ماشاشا: سبعة! تسعون!

تريجورين: لو عشت في ضيعة كهذه، بجوار بحيرة، فهل كنت أكتب؟ كنت أكبت في نفسى هذا الهوى ولا أفعل شيئا غير صيد السمك.

ماشاشا: ثمانية وعشرون!

تريجورين: أن تصطاد رافة أو فرخا.. يا لها من سعادة!

دورن: أما أنا فمؤمن بقسطنطين جافريليتش. فيه ثمة شيء! ثمة شيء! إنه يفكر بالصور، وقصصه زاهية، ساطعة، وأنا أحس بها بقوة. المؤسف فقط أنه ليس لديه مهام محددة. إنه يترك أثرا في النفس، ولا شيء أكثر، وبالأثر وحده لن تمضى بعيدا. إيرينا نيكولايفنا، هل أنت مسرورة بأن ابنك كاتب؟

أركادينا: تصور! إننى لم أقرأه بعد. دائما مشغولة.

ماشاشا: ستة وعشرون!

(يدخل ترييليف بهدوء ويتجه إلى مكتبه).

شمرايف: (للتريجورين) لقد بقى لدينا يا بوريس أليكسييفتش شيء يخصك.

تريجورين: ما هو؟

شمرايف: ذات مرة اصطاد قسطنطين جافريليتش نورسا فكلفتنى أن أوصى بتحنيطه.

تريجورين: لا أذكر (متفكرا) لا أذكر!

ماشاشا: ستة وستون! واحد!

تريبليف: (يفتح الشباك ويصيح) يا للظلام! لست أدري لماذا
أشعر بهذا الاضطراب.

أركاديننا: كوستيا، أغلق الشباك، الهواء يهب.

(تريبليف يغلق الشباك)

ماشاشا: ثمانية وثمانون!

تريجورين: لقد كسبت يا سادة!

أركاديننا: (بمرح) برافو! برافو!

شمرايف: برافو!

أركاديننا: هذا الشخص حسن الحظ دائما وأبدًا. (تنهض) والآن

هيا بنا نتناول شيئًا ما. نجمنا المشهور لم يتغد اليوم.

ستتابع اللعب بعد العشاء (إلى ابنها) كوستيا، اترك

مخطوطاتك وهيا نتعشى.

تريبليف: لا أريد يا ماما، أنا شعبان.

أركاديننا: كما تشاء، (توقظ سورين) بتروشا، العشاء!

(تتأبط ذراع شمرايف) سأروى لك كيف استقبلوني

في خاركوف..

(بولينا أندرييفنا تطفئ الشموع على الطاولة ثم تدفع هي ودورن الكرسي

المتحرك. الجميع يخرجون من الباب الأيسر. يبقى في المسرح تريبليف

وحده خلف مكتبه).

تريبليف: (يهم بالكتابة. يمر بعينه على ماكتبه من قبل) كم
تكلمت عن الأشكال الجديدة، والآن أشعر أنى
شخصياً أنحدر شيئاً فشيئاً إلى الروتين. (يقرأ) «كان
الإعلان على السور ينص.. وجه شاحب يؤطره شعر
أسود..» ينص، يؤطره.. هذه سخافة. (يشطب) سأبدأ
من حيث استيقظ البطل على صخب المطر، وما عدا
ذلك سأرسمه. وصف المساء القمر طويل وفخم.
تريجورين توصل إلى طرقة الخاصة، سهل عليه أن
يكتب.. عنده على السد يلعب عنق زجاجة مكسورة
ويلوح ظل عجلة الطاحونة السوداء.. وهذا يكفي
لصنع ليلة مقمرة، أما أنا فلدىّ النور الخفّاق، ووميض
النجوم الخافت، وأنغام المعزف البعيدة، المتلاشية في
الهواء المعطر الخفيف.. هذا معذب.

(صمت)

نعم، إننى أقتنع أكثر فأكثر بأن المسألة ليست في
الأشكال القديمة والجديدة، وإنما في أن الكاتب يكتب
دون أن يفكر في أية أشكال. يكتب لأن ذلك ينساب
من روحه بسلاسة.

(شخص ما يدق النافذ القريبة من المكتب)

ما هذا؟ (يتطلع في النافذة) لا أرى شيئاً.. (يفتح الباب
الزجاجى وينظر إلى الحديقة) شخص ما ركض هابطاً
على الدرج. (يصيح) من هنا؟

(ينصرف يسمع وقع خطواته السريعة في الشرفة. بعد
نصف دقيقة يعود مع نينا زاريتشينا)
نينا! نينا!

(نينا تضع رأسها على صدره وهي تكتم البكاء)
(متأثرا) نينا! نينا! أهو أنت.. أنت.. كما لو كنت أتوقع،
طوال اليوم كنت أشعر بلوعة فظيعة. (ينزع عنها القبعة
والإزار) آه حبيتي الطيبة، النادرة، قد جاءت! كفانا
بكاء، كفانا.

نينا: يوجد هنا أحد ما.

تريبليف: لا أحد هنا.

نينا: أوصد الباب حتى لا يدخل أحد.

تريبليف: لن يدخل أحد.

نينا: أنا أعرف.. إيرينا نيكولايفنا هنا. أوصد الباب..

تريبليف: (يوصد الباب الأيمن بالمفتاح ويتجه إلى الباب الأيسر)

لا يوجد هنا قفل. سأضع الكرسي خلفه. (يضع

الكرسي خلف الباب) لا تخافي، لن يدخل أحد.

نينا: (تحدق في وجهه بانتباه) دعني أنظر إليك. (تلفت

حولها) المكان دافئ، مريح.. في السابق كانت هنا غرفة

الجلوس.. هل تغيرت كثيرا؟

تريبليف: نعم.. نحفت، وأصبحت عيناك واسعتين. نينا، من

الغريب أن أراك. لماذا لم تسمح لي برؤياك؟ لماذا لم

تأتى حتى الآن؟ أنا أعرف أنك تقيمين هنا منذ أسبوع
تقريبا.. كل يوم كنت أذهب إليك عدة مرات، وأقف
تحت نافذتك كالشحاذ.

نينا: كنت أخشى أنك تمقتنى. كل ليلة أحلم أنك تنظر إلىّ
ولا تتعرف علىّ. آه لو تعرف! منذ أن وصلت وأنا أدور
هنا.. بجوار البحيرة. كنت بجوار بيتك عدة مرات، ولم
أجرؤ على الدخول. فلنجلس.
(يجلسان)

لنجلس ولتحدث، كثيرا. المكان هنا لطيف، دافئ
مريح.. أسمع، أهى الريح؟ كما لدى تورجينيف في
إحدى قصصه: «طوبى لمن يجلس في مثل هذه الليالى
تحت سقف منزله، لمن لديه ركن دافئ». أنا نورس..
كلا، ليس هذا. (تفرك جبينها) عمّ كنت أتحدث؟
نعم.. تورجينيف.. «وليساعد الله جميع المشردين بلا
مأوى».. لا بأس. (تنتحب).

تريبليف: نينا، عدت ثانية.. نينا!

نينا: لا بأس، هذا يخفف عنى.. أنا لم أبك منذ عامين. مساء
الأمس، في ساعة متأخرة، ذهبت إلى الحديقة لأرى هل
مسر حنا مازال سليما. فإذا به لا يزال قائما. بكيت لأول
مرة منذ عامين، فأحسست بالراحة، وأصبحت روى
أكثر صفاء. انظر، لم أعد أبكى. (تتناول يده) وهكذا

فقد أصبحت كاتباً.. أنت كاتب وأنا ممثلة.. نحن أيضاً
وقعنا في الدوامة.. كنت أعيش في مرح، كالأطفال،
أستيقظ صباحاً فأغنى. كنت أحبك، وأحلم بالشهرة،
والآن؟ علىّ غداً في الصباح الباكر أن أسافر إلى يليتس
في عربة الدرجة الثالثة.. مع الفلاحين، وفي يليتس
سيثقل التجار المتعلمون علىّ بمجاملاتهم. الحياة فظة!

تريبليف: ولماذا إلى يليتس؟

نينا: وقعت عقداً لموسم الشتاء. آن أن أرحل.

تريبليف: نينا، لقد لعنتك، كرهتك، مزقت رسائلك وصورك،
ولكنى في كل لحظة كنت أدرك أن روحي مرتبطة
بك إلى الأبد. أنا لا أقوى على سلوكك يا نينا. ومنذ أن
فقدتك، ومنذ أن بدأت أنشر قصصى أصبحت الحياة لا
تطاق.. إننى أتعذب.. كما لو كان شبابى قد انتزع منى
فجأة، ويخيل إلىّ أننى قد عشت في الدنيا تسعين عاماً.
إننى أناديك، أقبل الأرض التى سرت عليها. وحيثما
نظرت لا أرى إلا وجهك، وهذه الابتسامة الرقيقة،
التى أضاءت لى فى أجمل سنوات عمرى..

نينا: (مرتبكة) لماذا يتحدث هكذا، لماذا يتحدث هكذا؟

تريبليف: أنا وحيد، لا حب يدفئنى، أشعر بالبرد كأنى فى قبو،
وكل ما أكتبه يخرج جافاً، خشناً، كئيباً. ابقى هنا يا نينا،
أتوسل إليك، أو اسمح لى بالسفر معك!

(نينا ترتدى القبعة والإزار بسرعة)

نينا لماذا؟ أرجوك يا نينا.. (يتطلع إليها وهي ترتدى
ملابسها)

(صمت)

نينا: العربة تقف عند الباب. لا تودعني، سأصرف
وحدى.. (من خلال الدموع) أعطني ماء..

تريبليف: (يسقيها) وإلى أين الآن؟

نينا: إلى المدينة.

(صمت)

إيرينا نيكولايفنا هنا؟

تريبليف: نعم.. يوم الخميس ساءت حالة خالي فأرسلنا إليها
برقية لكي تحضر.

نينا: لماذا تقول إنك قبلت الأرض التي سرت عليها؟ ينبغي

قتلى (تميل على المكتب) كم تعبت! لو أستريح.. لو

أستريح! (ترفع رأسها) أنا نورس.. ليس هكذا. أنا

ممثلة. نعم، حقاً! (تسمع ضحك أركادينا وتريجورين،

تصيح، ثم تركض إلى الباب الأيسر وتنظر في فتحة

القفل) وهو أيضاً هنا.. (تعود إلى تريليف) نعم،

حقاً.. لا بأس.. نعم.. لم يكن يؤمن بالمرح، كان

يسخر من أحلامي، وشيئاً فشيئاً فقدت أنا أيضاً إيماني

وخار عزمي.. ثم فوق ذلك هموم الحب، والغيرة،

والخوف الدائم على الطفل.. أصبحت تافهة، ضئيلة، ومثلت بلا معنى.. لم أكن أعرف ماذا أفعل بيديّ، ولا أجد الوقوف على الخشبة، ولا أتحكم في صورتى. أنت لا تدرك تلك الحالة التى تحس فيها بأنك تمثل بصورة فظيعة. أنا نورس. كلا، ليس هذا.. أتذكر عندما قتلت نورسا؟ بالصدفة جاء شخص، فنظر، ومن الفراغ قضى عليها.. موضوع لقصة قصيرة.. ليس هذا.. (تفرك جبينها) عمّ أتحدث؟.. أتحدث عن المسرح. الآن لم أعد كذلك.. أنا الآن ممثلة حقيقية، أمثل باستمتاع، بإعجاب، أنتشى على الخشبة وأشعر بأننى رائعة. أما الآن طالما أعيش هنا، أسير طوال الوقت، أسير وأفكر، أفكر وأشعر بقوى الروحية تنمو يوما بعد يوم.. والآن أعرف يا كوستيا، أفهم، إن المهم فى عملنا - سواء نلعب على المسرح أم نكتب - ليست الشهرة، ليس البريق، ليس ما كنت أحلم به، بل القدرة على الصبر. فلتعرف كيف تحمل صليبك، ولتؤمن. إننى أؤمن، ولذلك لا أتألم بتلك الدرجة، وعندما أفكر فى دورى فى الحياة لا أعود أخشاها.

تريبليف: (بأسى) أنت وجدت طريقك، أنت تعرفين إلى أين تقصدين، أما أنا فما زلت أحلق فى فوضى الأحلام والصور، ولا أعرف لم ذلك ومن بحاجة إليه. أنا لا أؤمن ولا أعرف ما هو دورى فى الحياة.

نينا: (تصيح) هس.. سأذهب. وداعًا. عندما أصبح ممثلة كبيرة تعال لكى ترانى. هل تعدنى؟ أما الآن.. (تشد على يده) تأخر الوقت. لا أكاد أقوى على الوقوف.. أنا منهكة، أريد أن أكل..

تريبليف: ابقى، وسأقدم لك عشاء..

نينا: كلا.. لا تودعنى، سأنصرف وحدى.. العربة قريبة.. إذن فقد جاءت به معها؟ حسنا، سيان. عندما ترى تريجورين لا تقل له شيئًا.. إننى أحبه. أحبه حتى أقوى من السابق.. موضوع لقصة قصيرة.. أحبه، أحبه، بعنف، أحبه بجنون. كم كان الماضى طيبا يا كوستيا! أتذكر؟ كم كانت الحياة صافية، دافئة، مرحة، طاهرة، وأية مشاعر.. مشاعر تشبه الزهور الرقيقة الأنيقة. أتذكر؟ (تقرأ) «الناس، والأسود، والنسور والسمانات، والغزلان ذات القرون، والأوز، والعناكب، والأسماك الخرساء التى عاشت فى المياه، ونجوم البحر، وتلك المخلوقات التى لم يكن ممكنا رؤيتها بالعين المجردة.. باختصار كل الأحياء، كل الأحياء، انطفأت بعد أن أنجزت دورتها الحزينة.. مرت آلاف القرون والأرض لا تحمل على سطحها أثرا لحي، وعبثا يضيء هذا القمر المسكين مصباحه. فى المروج لم تعد اللقالق تستيقظ زاعقة، وفى غيضاة الزيزفون لم يعد يسمع أزيز

خنافس الربيع...» (تعانق تريبليف بحدة وتركض عبر

الباب الزجاجي).

تريبليف: (بعد فترة) سيكون من السيئ لو رآها أحد في الحديقة

ثم أخبر ماما بذلك. قد يحزن هذا ماما..

(على امتداد دقيقتين يمزق كل مخطوطاته ويلقى بها تحت المكتب، ثم يفتح

قفل الباب الأيمن وينصرف)

دورن: (يحاول فتح الباب الأيسر) غريبة. يبدو وكأن الباب

موصد.. (يدخل ويضع الكرسي في مكانه) سباق

حواجز.

(تدخل أركادينا وبولينا أندرييفنا، ومن خلفهما ياكوف حاملًا زجاجات،

وماشا، ثم شمرايف وتريجورين).

أركادينا: النبيذ الأحمر والبيرة لبوريس أليكسييفتش ضعها هنا،

على الطاولة. سنلعب ونشرب. فلنجلس يا سادة.

بولينا أندرييفنا: (لياكوف) قدم الشاي حالا. (تشعل الشموع وتجلس

إلى طاولة اللعب).

شمرايف: (يقود تريجورين إلى الصوان) ها هو الشيء الذي

حدثك عنه منذ فترة.. (يستخرج من الصوان نورسا

محنطًا) حسب طلبك.

تريجورين: (ينظر إلى النورس) لا أذكر! (يفكر قليلا) لا أذكر!

(إلى اليمين خلف المسرح تدوى طلقة. الجميع يتفضون)

أركادينا: (بفرع) ما هذا؟

دورن:

لا شيء. لا بد أن زجاجة ما انفجرت في صيدليتي
المحمولة. لا تقلقوا. (يخرج من الباب الأيمن، ويعود
بعد نصف دقيقة) هو كذلك. انفجرت قارورة أثر.
(يدندن) «بين يديك من جديد قد وقفت ذاهلاً..»

أركادينا: (تجلس إلى الطاولة) أف، كم فزعت.. ذكرني هذا بـ..
(تحفي وجهها بيديها) دارت الدنيا في عيني..

دورن:

(لتريجورين وهو يقلب مجلة) نشروا هنا مقالة منذ
شهرين... رسالة من أمريكا، وبالمناسبة أردت أن
أسألك (يحيط بخصر تريجورين ويقوده إلى مقدمة
المسرح) ولما كنت مهتماً جداً بهذه المسألة.. (بنبرة
أخفض، بشبه همس) خذ إيرينا نيكولا يفنا من هنا بأية
وسيلة. المسألة أن قسطنطين جافريليتش انتحر..
(ستار)

الخال فانيا
مشاهد من الحياة الريفية
فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

سيريرياكوف ألكسندر	
فلاديمير وفتش	أستاذ متقاعد
يلينا أندرييفنا	زوجه ٢٧ سنة
صوفيا ألكسندروفنا (سونيا)	ابنته من زوجته الأولى
فوينيتسكايا ماريا فاسيليفنا	أرملة مستشار سرى.
فوينيتسكى إيفان بتروفيتش	أم زوجة الأستاذ الأولى
أستروف ميخائيل لفوفيتش	ابنها
تيليجين إيليا إيليتش	طبيب
مارينا	إقطاعى مفلس
عامل	مربية عجوز
تدور الأحداث فى ضيعة سيريرياكوف	

الفصل الأول

بستان. يرى جزء من المنزل بشرفة. تحت شجرة عتيقة في ممر وضعت طاولة عليها آنية الشاي. أرائك، مقاعد. على إحدى الأرائك جيتار. وغير بعيد عن الطاولة أرجوحة. الساعة تدور في الثالثة بعد الظهر. الجو غائم. مارينا (عجوز رخوة، قليلة الحركة، تجلس بجوار الساور وتحيك جوربا) وأستروف (يذرع المكان بجوارها)

مارينا: (تصب الشاي في كوب) تفضل يا بنى.

أستروف: (يتناول الكوب بلا رغبة) لا أشعر برغبة.

مارينا: هل تريد بعض الفودكا؟

أستروف: كلا. أنا لا أشرب الفودكا كل يوم. ثم إن الجو خائق.

(صمت)

يا دادة، كم سنة مضت على تعارفنا؟

مارينا: (متفكرة) كم سنة؟ فليهنى الله الذاكرة.. أنت وصلت

إلى هنا، إلى هذه الناحية.. متى؟ كانت فيرا بتروفنا، أم

سونيا، ما تزال على قيد الحياة. أنت جئت إلينا شتاءين

وهى بعد حية..إذن مرت حوالى إحدى عشرة سنة.

(بعد تفكير قصير) وربما أكثر..

أستروف: هل تغير كثيرا من ذلك الحين؟

مارينا: كثيرا. كنت آنذاك شابا، جميلا، أما الآن فهرمت. ولم

تعد جميلا كما كنت. والفودكا أيضا لا تتجنبها.

أستروف: نعم.. خلال عشر سنوات أصبحت شخصا آخر. وما

هو السبب؟ كثرة العمل يا دادة. من الصباح إلى المساء

على قدمي، لا أعرف للراحة طعما، وفي الليل أرقد تحت

البطانية وأخشى أن يستدعوني لعيادة مريض. طوال

هذه الفترة التى مضت على تعارفنا لم يكن عندي يوم

فراغ واحد. فكيف لا أهرم؟ ثم إن الحياة بحد ذاتها

مملة، حمقاء، قدرة.. تشدك كالمستنقع! لا ترى حولك

سوى أناس غريبى الأطوار، فقط غريبى الأطوار.

وعندما تعيش بينهم عامين أو ثلاثة تصبح أنت نفسك،

شيئا فشيئا، ودون أن تلاحظ، غريب الأطوار. قدر

محتوم. (يفتل شاربيه الطويلين) انظري هذه الشوارب

الضخمة التى ربيتها.. شوارب حمقاء. أصبحت غريب

الأطوار يا دادة.. بخصوص الغباء، لم أصبح غبيا بعد

والحمد لله، ظل عقلي فى مكانه، لكن الأحاسيس تبدلت

بصورة ما. لا أريد شيئا، لا أحتاج إلى شىء، لا أحب

أحدًا.. اللهم إلا أنت فقط. (يقبل رأسها) فى طفولتى

كان لدى دادة مثلك.

مارينا: لعلك تريد أن تأكل؟

أستروف: كلا: في الصيام الكبير سافرت في الأسبوع الثالث إلى قرية مالتيسكويه لمكافحة الوباء.. وباء التيفوس.. بيوت الفلاحين مكدسة بالبشر.. قذارة، عفونة، دخان، والعجول على الأرض، مع المرضى.. والخنازير أيضا.. عملت طوال النهار، لم أجلس لحظة، لم أذق حتى قطرة ماء، وحينما عدت إلى البيت لم يدعوني أرتاح، جاءوا من السكة الحديدية بعامل التحويلة. وضعت على الطاولة لأجرى له عملية جراحية، فإذا به يموت تحت البنج. وهنا، وحيث لا داعي، استيقظت أحاسيسي، فشعرت بوخز ضمير كأنها قتلته عن عمد.. جلست، وأغمضت عيني، هكذا، ورحت أفكر ترى هل سيذكرنا بكلمة طيبة أولئك الذين سيأتون بعدنا بمائة أو مائتي عام، والذين نشق لهم الآن الطريق؟ لن يذكروا يا دادة!

مارينا: إذا لم يذكر الناس فالله يذكر.

أستروف: لك الشكر. أحسنت القول.

(يدخل فوينيتسكى)

فوينيتسكى: (يخرج من البيت. شبع نوما بعد الإفطار ويبدو مظهره غير مهتم. يجلس على الأريكة. يصلح رابطة عنقه الأنيقة). نعم..

(صمت)

نعم..

أستروف: شبعتموما؟

فوينيتسكى: نعم.. جدا. (يتشاءب) منذ أن بدأ الأستاذ يعيش هنا مع قرينته اختل نظام الحياة.. أنام في غير الأوان، وفي الإفطار والغداء أتناول شتى أنواع الصلصات وأشرب الخمر.. كل هذا مضر!.. من قبل لم تكن عندى دقيقة فراغ، كنت أعمل أنا وسونيا كالفعلة، والآن فسونيا هى التى تعمل، أما أنا فأنام وأكل وأشرب.. شىء مخجل! مارينا: (تهز رأسها) يا لها من أحوال! الأستاذ ينهض فى الساعة الثانية عشرة، والسماور يغلى منذ الصباح فى انتظاره. قبل أن يأتوا كنا نتغذى دائما فى الواحدة، مثل كل الناس، أما الآن ففى السابعة. وفى الليل يقرأ الأستاذ ويكتب، وفجأة يدق الجرس فى الساعة الثانية.. ماذا هناك يا ربى؟ يريد شايًا! فلتوقظ من أجله الناس، ولتشعل السماور.. يا لها من أحوال!

أستروف: وهل سيقون هنا طويلا؟

فوينيتسكى: (يصفر) مائة سنة. قرر الأستاذ أن يستقر هنا.

مارينا: والآن نفس الأمر. السماور يغلى منذ ساعتين، أما هم فذهبوا ليتزهوا.

فوينيتسكى: قادمون.. قادمون.. اطمئنى.

(تسمع أصوات. من عمق البستان يقبل سيريرياكوف وبلينا أندرييفنا
وسونيا وتيليجين).

سيريرياكوف: رائع رائع.. مناظر خلابة.

تيليجين: بديعة يا صاحب المعالي.

سونيا: سنذهب غدا إلى الغابة يا بابا. هل تأتي؟

فوينيتسكى: يا سادة، تفضلوا الشاي!

سيريرياكوف: أرجوكم يا أصدقاء ابعثوا بالشاي إلى مكتبي لو

سمحتم، علىّ اليوم أن أنجز بعض الأشياء.

سونيا: الغابة ستعجبك حقا..

(تدخل بلينا أندرييفنا وسيريرياكوف وسونيا البيت. يتجه تيليجين إلى

المائدة ويجلس بجوار مارينا).

فوينيتسكى: الجو حار، خائق، وعالمنا العظيم يرتدى المعطف والخف

والقفازات ويحمل المظلة.

أستروف: إذن فهو يراعى نفسه.

فوينيتسكى: ما أجملها! ما أجملها! لم أر في حياتي امرأة أجمل منها.

تيليجين: يا مارينا تيموفيفنا، سواء كنت أمر بالعربة في الحقل،

أم أتنزه في البستان الظليل، أم أنظر إلى هذه المائدة،

فإنني أشعر بمتعة لا تفسير لها! الجو ساحر، والطيور

تصدق، وكلنا نعيش في سلام ووثام، فما الذي نبغيه

أكثر؟ (يتناول منها الكوب) تقبلي خالص شكرى!

فوينيتسكى: (حالما عيناها.. امرأة ساحرة!

أستروف: احك لنا شيئاً يا إيفان بتروفتش.

فوينيتسكى: (بتراخ) ماذا تريد أن تسمع؟

أستروف: أليس لديك جديد؟

فوينيتسكى: كلا. كل شيء قديم. أنا مثلما كنت، بل وأصبحت أسوأ، فقد تكاسلت، ولا أفعل شيئاً، فقط أتدمر كالعجوز المزعج. وعصفورتى العجوز، maman، مازالت تتحدث عن تحرير المرأة. تنظر بإحدى عينيها إلى القبر، وبالأخرى تبحث في كتبها الذكية عن فجر الحياة الجديدة.

أستروف: والأستاذ؟

فوينيتسكى: الأستاذ، كما في السابق، يجلس في غرفة مكتبه من الصباح حتى آخر الليل ويكتب. «ونقدح التفكير، نعصر الجبين، ونكتب القصائد العصماء، لكننا لا نسمع الثناء، لما نخط أو لشخصنا الكريم». يا للورق المسكين! كان الأفضل لو كتب سيرة حياته. يا له من موضوع ممتاز! أستاذ متقاعد، أتدرى، عجوز أعرج، فسيخة مقددة متعلمة.. يعاني من النقرس والروماتيزم والصداع، ومن الغيرة والحسد انتفخت كبده.. وتعيش هذه الفسيخة في ضيعة زوجته الأولى، يعيش مرغماً، لأنه غير قادر على تحمل تكاليف الحياة في المدينة. ويشكو دائماً من مصائبه، رغم أنه في الواقع سعيد إلى

أقصى حد. (بعصبية) انظر أى حظ! ابن شماس بسيط،
تلميذ مدرسة دينية ولكنه حصل على الدرجات العلمية
وعلى كرسي تدريس، وأصبح صاحب المعالي، وصهرا
لعضو مجلس الشيوخ وهلم جرا وهلم جرا.. غير أن
هذا كله عموما غير مهم. لكن انظر إلى التالى. شخص
يقرأ ويكتب عن الفن طوال خمس وعشرين سنة،
وهو لا يفقه فى الفن شيئا على الإطلاق. طوال خمس
وعشرين سنة يلوك أفكار الآخرين حول الواقعية
والناتورالية وغيرها من السخافات. خمسًا وعشرين
سنة يقرأ ويكتب عما هو معروف من زمان للأذكىاء،
وغير ممتع للأغبياء، وإذن، فهو طوال خمس وعشرين
سنة يطحن الماء. وفي الوقت نفسه فأى غرور! أى
ادعاء! لقد تقاعد ولم يعد يعرفه إنسان واحد، إنه نكرة.
وإذن فقد شغل طوال خمس وعشرين سنة مكانا ليس
له. ولكن انظر كيف يسير، كأنه شبه إله!

أسـتـروف: أوه، يبدو أنك تحسده.

فوينيتسكى: نعم، أحسده! وأية حظوة لدى النساء! لم يحظ
دون جوان واحد بمثل هذا التوفيق التام! زوجته
الأولى، أختى، مخلوق رائع وديع، نقية كهذه السماء
الزرقاء، نبيلة، سمحاء، كان لها من العشاق أكثر مما لديه
من التلاميذ.. أحبته كما لا يجب إلا الملائكة الأطهار

أمثالهم من الرائعين الأنقياء. وأمى، حماته، مازالت
تعبده حتى الآن، وإلى الآن مازال يبعث فيها الرعب
المقدس. وزوجته الثانية حسناء، ذكية - قد رأيتها لتوك
- تزوجته وقد أصبح عجوزا، ووهبته شبابه، وجماها،
وحريتها، وألقها. مقابل ماذا، لماذا؟

أسـتروف: هل هى وفية للأستاذ؟

فوينيتسكى: نعم، للأسف.

أسـتروف: ولماذا للأسف؟

فوينيتسكى: لأن هذا الوفاء مزيف من الألف إلى الياء. فيه الكثير من
التكلف ولكن ليس فيه منطق. فخيانة الزوج العجوز
الذى لا تطيقه شىء لا أخلاقى، أما قهر الشباب
المسكين والمشاعر الحية فليس شيئا لا أخلاقيا.

تيليجين: (بصوت باك) فانيا، أنا لا يعجبني كلامك هذا. يكفى،
حقا.. إن من يخن زوجته أو من تخن زوجها، فهو إنسان
غير مخلص، بوسعه أن يخون وطنه!

فوينيتسكى: (بأسى) أغلق هذه النافورة، يا وفل!^(١)

تيليجين: دعنى أقول يا فانيا. زوجتى هربت منى مع حبيبها فى
اليوم الثانى لزوجنا مباشرة بسبب هيئتى غير الجذابة.
ومن يومها لم أخل بواجبى. مازلت إلى الآن أحبها،
مخلصا لها، وأساعدها بقدر ما أستطيع، وأنفقت ما

(١) وفل - كعكة ذات نتوءات مربعة أو مدورة. العرب.

أملك لتربية أولادها الذين أنجبته من أحبته. لقد
فقدت السعادة، ولكن بقيد لى العزة. وهى؟ ولّى
شبابها، وانطفأ جماها تحت تأثير قوانين الطبيعة، وتوفى
حبيبها.. فما الذى بقى لها؟

(تدخل سونيا ويلينا أندرييفنا. بعد قليل تدخل ماريا فاسيليفنا ويدها
كتاب. تجلس وتقرأ. يقدمون لها الشاى فتناوله دون أن ترفع عينها).
سونيا: (للمربية بعجلة) الفلاحون هناك يا دادة، جاءوا.
اذهبي إليهم، أنا سأتولى الشاى.. (تصب الشاى).
(المربية تنصرف. يلينا أندرييفنا تتناول قدها وتشرب وهى جالسة فى
الأرجوحة).

أسـتـروف: (ليلينا أندرييفنا) لقد جئت لرؤية زوجك. أنت كتبت
لى بأنه مريض جدا، روماتزم وأشياء أخرى، واتضح
أنه صحيح معافى.

يلينا: أندرييفنا: مساء أمس كان متوعكا، واشتكى من آلام فى ساقه،
أما اليوم فلا بأس.

أسـتـروف: ولكنى قطعت ثلاثين فرسخا على عجل. لا بأس.
ليست هذه أول مرة. على كل حال سأبقى عندكم إلى
الغد، على الأقل أنام quantum satis^(١).

سونيا: عظيم. من النادر أن تبيت عندنا. تراك لم تتغدا؟
أسـتـروف: كلا، لم أتغدا.

(١) بها فيه الكفاية (باللاتينية فى الأصل). المغرب.

سونيا: إذن تتغدى معنا بالمناسبة. نحن الآن نتغدى فى السابعة.

(تشرب الشاى) الشاى بارد!

تيليجين: الحرارة هبطت كثيرا فى السهاور.

يلينا أندرييفنا: لا بأس يا إيفان إيفانيتش، سنشره باردا.

تيليجين: عفوا.. ليس إيفان إيفانيتش، بل إيليا إيليتش.. إيليا

إيليتش تيليجين، أو كما يحلو للبعض أن يسمينى الوفل

بسبب وجهى المجذور. فى وقت ما عمّدتُ سونيا،

وصاحب المعالى زوجك يعرفنى جيدا. أنا الآن أعيش

عندكم، فى هذه الضيعة.. ولعلك لاحظت أننى أتغدى

معكم كل يوم.

سونيا: إيليا إيليتش مساعدنا، ذراعنا اليمنى. (برقة) هات

يا أبى فى العماد أصب لك مزيدا من الشاى.

ماريا فاسيليفنا: آه!

سونيا: ماذا بك يا جدتى؟

ماريا فاسيليفنا: نسيت أن أقول لألكسندر.. تخوننى ذاكرتى.. اليوم

تسلمت رسالة من بافل أليكسييفتش فى خاركوف...

أرسل إلينا كتيبه الجديد..

أسـتـروف: أهو شيق؟

ماريا فاسيليفنا: شيق، ولكنه غريب نوعا ما. يدخض ما كان يدافع عنه

هو نفسه منذ سبع سنوات. هذا فظيع!

فوينيتسكى: ليس فى ذلك أى فظاعة. اشربى الشاى يا maman.

ماريا فاسيليفنا: ولكنى أريد أن أتحدث!

فوينينسكى: ولكننا منذ خمسين سنة نتحدث ونتحدث ونقرأ الكتيبات. آن إذن أن نفرغ من ذلك.

ماريا فاسيليفنا: لست أدري لماذا تشعر بالضيق عندما تسمعنى أتحدث. عفوا يا جان، ولكنك فى السنة الأخيرة تغيرت كثيرا حتى لم أعد أعرفك.. كنت شخصا محدد المبادئ، شخصية مشرقة..

فوينينسكى: أوه، طبعاً! كنت شخصية مشرقة لا تنشر نورها على أحد..

(صمت)

كنت شخصية مشرقة.. ليس هناك مزحة أكثر سما من هذا! أنا الآن فى السابعة والأربعين. حتى العام الماضى كنت مثلك أضع على عيني عمدا غشاوة من سفطتك هذه كيلا أرى الحياة الحقيقية، وكنت أظن أننى أصنع خيرا. أما الآن، آه لو تدرين! لا أنام الليل من الأسى، من الغيظ، لأننى أهدرت بحماقة ذلك العمر الذى كان بوسعى أن أحصل فيه على كل ما تحرمه علىّ الآن شيخوختى!

سونيا: هذا ممل يا خالى فانيا!

ماريا فاسيليفنا: (لابنها) كأنك تتهم معتقداتك السابقة بجريمة ما.. ولكنها ليست المذنبه، بل أنت. لقد نسيت أن المعتقدات

في حدا ذاتها ليست شيئاً، أحرف ميتة.. كان ينبغي أن
تؤدي عملاً.

فوينيتسكى : عمل؟ ليس بوسع كل واحد أن يكون! *perpetuum mobile*
كاتباً^(١)، مثل صاحبك الهربروفيسور.

ماريا فاسيليفنا: ماذا تريد بذلك أن تقول؟

سونيا: (بضراعة) يا جدتي! يا خالي فانيا! أتوسل إليكما!

فوينيتسكى : ها أنا أسكت. أسكت وأعتذر.

(صمت)

يلينا أندرييفنا الطقس اليوم جيد.. ليس حاراً..

(صمت)

فوينيتسكى : في طقس كهذا يحلو الانتحار شبقاً...

(تيليجين يضبط الجيتار. مارينا تتحرك بجوار البيت وتنادي

الدجاجات)

مارينا: كِتْ، كِتْ، كِتْ..

سونيا: لماذا جاء الفلاحون يا دادة؟...

مارينا: لنفس الغرض، بخصوص قطعة الأرض الفضاء.

كِتْ، كِتْ، كِتْ..

سونيا: من تنادين؟

مارينا: الفرخة الأم ذهبت مع الكتاكيت.. أخشى أن تطاردها

الحدأة.. (تنصرف)

(١) محركا أبديا (باللاتينية). المعرب. .

(تيليجين يعزف البولكا. الجميع يصغون في صمت. يدخل أحد العاملين).

العامل: السيد الدكتور هنا؟ (لأستروف) تفضل يا ميخائيل لفوفتش، هناك من يطلبك.

أستروف: من أين؟

العامل: من الفابريكة.

أستروف: (بأسى) شكرا جزيلًا. طيب، على أن أرحل.. (يبحث بعينه عن العمرة) يا للشيطان، أمر مؤسف..

سونيا: صحيح شيء مزعج.. بعد الفابريكة تعال إلى الغداء.

أستروف: كلا، سيكون ذلك متأخرا. أين لنا..؟ وكيف..؟ (للعامل) اسمع، أحضر لي من فضلك كأس فودكا، بالفعل.

(العامل ينصرف)

أين لنا..؟ وكيف..؟ (يجد عمرته) في إحدى مسرحيات أستروفسكى يوجد شخص بشوارب كبيرة ومواهب قليلة.. هذا هو أنا. حسنا، وداعا يا سادة.. (ليلينا أندرييفنا) لو زرتنى فى يوم ما، ربما مع صوفيا ألكسندروفنا، فسأكون فى غاية السرور. عندى ضيعة صغيرة، لا تزيد على ثلاثين ديسياتينا، ولكن إذا كنت تهتمين فعندى بستان نموذجى ومشتل لن تجدى مثله على بعد ألف فرسخ. وقريبا منى غابة حكومية.. الحارس هناك عجوز، مريض دائما، ولذلك فأنا فى الواقع أتولى جميع الأعمال.

يلينا أندرييفنا: أخبروني أنك تحب الغابات كثيرا. بالطبع من الممكن أن تؤدي بذلك خدمة كبيرة، ولكن ألا يعرقل هذا مهمتك الحقيقية؟ إنك طيب.

أستروف: الله وحده يعلم ما هي مهمتنا الحقيقية.

يلينا أندرييفنا: وهل الأمر شيق؟

أستروف: نعم شيق.

فوينيتسكى: (بسخرية) جدا!

يلينا أندرييفنا: (لأستروف) أنت لم تزل شابا.. من مظهرك تبدو في الـ.. حسنا، في السادسة أو السابعة والثلاثين.. وأعتقد أن الأمر ليس شيقا كما تقول. الغابة ولا شيء آخر، أظن أن ذلك رتيب ممل.

سونيا: كلا، هذا شيق للغاية. ميخائيل لفوفتش يغرس كل عام غابات جديدة، وقد أرسلوا له ميدالية برونزية وشهادة وهو يسعى من أجل المحافظة على الغابات القديمة. ولو استمعت إليه فستوافقينه تماما. يقول إن الغابات زينة الأرض، وإنها تعلم الإنسان كيف يدرك الجمال وتوحى إليه بمزاج العظمة. الغابات تخفف من قسوة المناخ. وفي البلدان ذات المناخ المعتدل ينفق الناس مجهودا أقل في الصراع ضد الطبيعة ولذلك فالإنسان فيها أرق وألطف. الناس هناك حسان، مرنون، سريعو الانفعال، وكلامهم منمق وحركاتهم رشيقة. والعلوم

والفنون مزدهرة لديهم، وفلسفتهم ليست كثيية،
ونظرتهم إلى المرأة مفعمة بالنبل الجميل..

فوينيتسكى: (ضاحكا) برافو! برافو!... كل هذا لطيف ولكن
غير مقنع، ولذلك (ملتفتا إلى أستروف) فلتسمح لى
يا صديقى أن أواصل إشعال الحطب فى المدافئ وبناء
الحظائر من الأخشاب.

أستروف: بوسعك أن تستخدم فحم المستنقعات للتدفئة، وأن
تبني الحظائر من الأحجار. حسنا، إننى أفهم أن
نقطع الأشجار بسبب الحاجة، ولكن لماذا تقضى على
الغابات؟ الغابات الروسية تتهاوى تحت ضربات
الفتوس، وتهلك مليارات الأشجار، وتقفز ملاجئ
الوحوش والطيور، وتغيض وتجف الأنهار، وتختفى
بلا رجعة المناظر الطبيعية الرائعة، وكل ذلك لأن
الإنسان الكسول لا يجد من العقل ما يكفى لكى
ينحنى ويلتقط الوقود من الأرض. (ليلينا أندرييفنا)
أليس كذلك يا سيدتى؟ ينبغى أن يكون المرء بربريا
جاهلا لكى يحرق فى المدفأة هذا الجمال، ويدمر ما
لا نستطيع أن نخلقه. لقد وهب الإنسان عقلا وقوة
مبدعة لكى يضاعف ما أعطى له، لكنه إلى الآن لم يبدع
بل دمر. الغابات تتناقص والأنهار تجف، الطيور البرية
اختفت، والمناخ فسد، ومع كل يوم تصبح الأرض أفقر

وأقبح. (لفوينيتسكى) ها أنت ذا تنظر إلى باستهزاء،
وكل ما أقوله يبدو لك غير جدى و.. وربما كان هذا
بالفعل غرابة أطوار، ولكننى عندما أمر بجوار غابات
الفلاحين التى أنقذتها من الاجتثاث، أو عندما أسمع
حفيف شجيراتى الفتية، فى الغابة التى غرستها بيديّ،
أدرك أن المناخ جزئياً تحت سيطرتى أنا أيضاً، وأنه إذا ما
أصبح الإنسان سعيدا بعد ألف عام فسأكون أنا إلى حد
ما أحد المتسبين فى ذلك. عندما أغرس بتولا، ثم أراها
وهى تخضّر وتهتز مع الريح تمتلئ روحى بالفخر وأنا..
(يرى بجواره العامل حاملا كأس فودكا على صينية)
حسنا.. (يشرب) آن لى أن أمضى. ربما كان ذلك كله
غرابة أطوار بالفعل. وداعا يا سادة! (يتجه إلى البيت)

سونيا: (تتأبط ذراعه وتمضى معه) متى ستأتى لتزورنا؟

أستروف: لست أدرى..

سونيا: مرة أخرى بعد شهر؟..

(يمضى أستروف وسونيا إلى البيت. تبقى ماريا فاسيليفنا وتيليجين بجوار
المائدة. تمضى يلينا أندرييفنا وفوينيتسكى إلى الشرفة).

يلينا أندرييفنا: مرة أخرى كان سلوكك يا إيفان بتروفتش فظيعا.
هل كان ثمة ضرورة لإثارة ماريا فاسيليفنا والحديث
عن !perpetuum mobile واليوم أيضا تجادلت مع
ألكسندر أثناء الإفطار. ما أسخف ذلك!

فوينيتسكى: وما العمل إذا كنت أمقته!

يلينا أندرييفنا: ليس هناك ما يدعو إلى كراهية ألكسندر، إنه مثل الآخرين. ليس أسوأ منك.

فوينيتسكى: آه لو كان بوسعك أن ترى وجهك وحركاتك.. كم تتكاسلين على الحياة! يا له من كسل!

يلينا أندرييفنا: آه، نعم كسل وملل! الجميع يذمون زوجي، والجميع ينظرون إليّ برثاء: يا للبائسة، زوجة عجوز! هذا الإشفاق عليّ، أوه كم أفهمه! مثلما قال أستروف الآن: كلكم تهلكون الغابات بلا تبصر، وعمما قريب لن يبقى شيء على وجه الأرض. وهكذا تماما تهلكون الإنسان بلا تبصر، وعمما قريب لن يبقى على وجه الأرض بفضلكم لا وفاء ولا طهارة ولا قدرة على التضحية بالنفس. لماذا لا تستطيعون أن تنظروا بلا مبالاة إلى امرأة ليست لكم؟ لأن في داخل كل منكم - وذلك الطبيب على حق - يقبع شيطان دمار. أنتم لا تشفقون لا على الغابات، ولا على الطيور، ولا على النساء ولا على بعضكم البعض..

فوينيتسكى: أنا لا أحب هذه الفلسفة!

(صمت)

يلينا أندرييفنا: هذا الطبيب وجهه مرهق، عصبى وجه طريف. يبدو أنه يعجب سونيا، إنها مقيمة به وأنا أفهمها... منذ أن حضرت جاء إلى هنا ثلاث مرات، ولكنى خجولة فلم

أتحدث معه كما ينبغي ولا مرة، ولم ألاحظه. وظن أنني شريرة. أظن يا إيفان بتروفتش أن صداقتنا على هذه الدرجة من القوة لأننا كلينا محل! نعم، نحن مضجران! لا تنظر إليّ هكذا. أنا لا أحب هذا.

فوينيتسكى: وهل أستطيع أن أنظر إليك بصورة أخرى إذا كنت أحبك؟ أنت سعادتي، حياتي، شبابي! أعرف أن فرصتي في الشعور المتبادل ضئيلة، تساوى صفرا، ولكن لا أطمع في شيء، فقط اسمحي لي بأن أتطلع إليك، وأسمع صوتك..

يلينا أندرييفنا: حاسب وإلا سمعك أحد!

(يذهبان إلى البيت)

فوينيتسكى: (سائرا خلفهما) فلتسمحي لي بأن أتحدث عن حبي، لا تصديني عنك وهذا وحده سيكون أعظم سعادة لي.

يلينا أندرييفنا: يا للعذاب.

(يدخلان البيت)

(تيليجين يضرب على الأوتار ويعزف البولكا. ماريا فاسيليفنا تدون شيئا ما على هوامش الكتيب).

(ستار)

الفصل الثانى

(غرفة الطعام فى منزل سيريرياكوف. الوقت ليل. تسمع دقات الحارس فى البستان، سيريرياكوف يجلس غافيا فى مقعد أمام نافذة مفتوحة ويلينا أندرييفنا تجلس بجواره غافية أيضا)

سيريرياكوف: (مستيقظا) من هنا؟ أهى أنت يا سونيا؟
يلينا أندرييفنا: هذه أنا.

سيريرياكوف: أنت يا لينوتشكا.. ألم لا يطاق!
يلينا أندرييفنا: الحرام سقط منك على الأرض. (تدثر ساقيه) سأغلق النافذة يا ألكسندر.

سيريرياكوف: كلا، أشعر بالاختناق.. لقد غفوت الآن فحلمت بأن ساقى اليسرى تبدو ليست لى. استيقظت من ألم لا يطاق. كلا هذا ليس نقرسا، الأرجح روماتيزم. كم الساعة الآن؟

يلينا أندرييفنا: الثانية عشرة وعشرون دقيقة.
(صمت)

سيريرياكوف: ابحتى فى الصباح عن باتوشكوف^(١) فى المكتبة. يبدو أنه موجود.

يلينا أندرييفنا: ماذا؟

سيريرياكوف: ابحتى فى الصباح عن باتوشكوف. أذكر أنه موجود عندنا. ولكن لماذا أشعر بضيق تنفس هكذا؟

يلينا أندرييفنا: لقد أرهقت. لا تنام لثانى ليلة.

سيريرياكوف: يقال إن تورجينيف أصيب بذبحة صدرية بسبب النقرس. أخشى أن أصاب أنا أيضا. يا لها من شيخوخة فظيعة، ملعونة، تبا لها. عندما أصبحت عجوزا صرت أشمئز من نفسى. ولعلكم جميعا تشمئزون من النظر إلى.

يلينا أندرييفنا: أنت تتحدث عن شيخوختك بنبرة وكأنها نحن كلنا مذبنون فى أنك عجوز.

سيريرياكوف: أنت أول من يشمئز منى.

(يلينا أندرييفنا تبتعد عنه وتجلس على مقربة)

طبعا أنت على حق. لست أحق وأفهم. أنت شابة، عفية، جميلة، ترغين فى الحياة، أما أنا فعجوز، جثة تقريبا. وماذا؟ أظنننى لا أفهم؟ ومن الحماقة بالطبع أننى ما زلت حيا إلى الآن. ولكن اصبروا، قريبا سأريحكم جميعا. لم يبق أمامى الكثير.

(١) قسطنطين باتوشكوف (١٧٨٧ - ١٨٥٥) - شاعر روسى رومانسى. المغرب.

يلينا أندرييفنا: أنت ترهقنى.. أرجوك اسكت.

سيريرياكوف: وإذن فبسببى يرهق الجميع، ويسأمون، ويهلكون
شبابهم، وأنا الوحيد الذى أمتنع بالحياة وأشعر بالرضا.
طبعاً، فعلاً!

يلينا أندرييفنا: اسكت! لقد عذبتنى!

سيريرياكوف: لقد عذبت الجميع. طبعاً.

يلينا أندرييفنا: (من خلال الدموع): هذا لا يطاق! قل لى ماذا تبغى
منى؟

سيريرياكوف: لا شىء.

يلينا أندرييفنا: فلتسكت إذن. أرجوك.

سيريرياكوف: شىء غريب.. إذا ما تحدث إيفان بتروفتش، أو هذه
البلهاء العجوز ماريا فاسيليفنا، فلا بأس.. الجميع
يصغون، وما إن أقول ولو كلمة حتى يشعر الجميع بأنهم
تعساء. حتى صوتى كرهه عليهم. حسناً، فلنفرض أننى
كرهه، أننى أنانى، طاغية.. أفليس لى بعض الحق، حتى
فى شيخوختى، فى الأنانية؟ أفلست جديراً بذلك؟ إننى
أسألكم، أليس لى الحق فى شيخوخة هادئة، فى اهتمام
الآخرين بى؟

يلينا أندرييفنا: لا أحد ينازع؛ حقوقك.

(الريح تصفق النافذة)

الريح اشتدت، سأغلق النافذة. (تغلقها) سيسقط المطر
حالا. لا أحد ينازعك حقوقك.

(صمت. الحارس يدق في البستان ويغنى)

سيربيرياكوف: تعمل طوال عمرك من أجل العلم، وتألف غرفة مكتبك، وقاعة المحاضرات، والرفاق المحترمين.. وفجأة تفيق فتجد نفسك دونما سبب في هذا اللحد، وترى كل يوم أناسا أغبياء وتسمع أحاديث تافهة.. أنا أريد أن أعيش، إننى أحب النجاح، أحب الشهرة والصخب، أما هنا فكما في المنفى. كل لحظة تحن إلى الماضي، وتراقب نجاح الآخرين وتخاف الموت.. لا أستطيع! لا أحتمل! وفوق ذلك لا يريدون أن يغفروا لى شيخوختى!

يلينا أندرييفنا: انتظر، اصبر، بعد خمس أو ست سنوات سأصبح أنا أيضا عجوزًا.

(تدخل سونيا)

سونيا: بابا، أنت أمرت باستدعاء الدكتور أستروف، وعندما جاء رفضت استقباله. ليس هذا من اللياقة. عبثا أزعجنا الرجل..

سيربيرياكوف: وما حاجتى إلى صاحبك أستروف؟ إنه يفهم فى الطب كما أفهم أنا فى الفلك.

سونيا: هل نستدعى من أجل نقرسك كلية الطب بأكملها؟ سيربيرياكوف: لن أتحدث مع هذا الأبله.

سونيا: كما تشاء. (تجلس) بالنسبة لى سيان.

سيريرياكوف: كم الساعة الآن؟

يلينا أندرييفنا: تقرب من الواحدة.

سيريرياكوف: الجوخانق.. أعطيني الدواء من على الطاولة يا سونيا.

سونيا: طيب. (تناوله الدواء).

سيريرياكوف: (بعضية) أه، ليس هذا! لا يمكن رجاؤك في شيء!

سونيا: أرجوك دعك من الترق. ربما كان ذلك يروق للبعض،

أما أنا فاعفني منه من فضلك! أنا لا أحب ذلك. وليس

لدى وقت. على غدا أن أنهض مبكرا. عندى حصاد.

(يدخل فوينيتسكى فى روب حاملا شمعة)

فوينيتسكى: العاصفة توشك أن تندلع فى الخارج.

(برق)

انظروا! هيلين وسونيا، اذهبا لتناما. لقد جئت لأحل

محلكما.

سيريرياكوف: (بجزع) كلا، كلا، لا تتركانى معه! سيرهقنى بحديثه!

فوينيتسكى: ولكن ينبغى أن يرتاحا! هذه ثانى ليلة لا ينامانها.

سيريرياكوف: فليذهبا إلى النوم ولكن اذهب أنت أيضا. أشكرك.

أتوسل إليك. بحق صداقتنا القديمة لا تعارض.

سنتحدث فيما بعد.

فوينيتسكى: (باستهزاء) صداقتنا القديمة.. القديمة..

سونيا: اسكت ياخالى فانيا.

سيريرياكوف: (لزوجه) يا عزيزتى، لا تتركىنى معه! سيرهقنى

بالحديث.

فوينتسكى : إن هذا يتحول إلى شىء مضحك.

(تدخل مارينا حاملة شمعة)

سونيا: اذهبي ونامى يا دادة. الوقت متأخر.

مارينا: السماور لم يرفع بعد عن الطاولة، فكيف أنا.

سيريرياكوف: الجميع ساهرون، مرهقون، أنا الوحيد الذى أستمتع.

مارينا: (تقترب من سيريرياكوف، تقول برقة) ماذا يا عزيزى؟

تشعر بألم؟ أنا أيضا ساقى تطنان، تطنان بلا توقف.

(تسوى حرامه) هذا مرضك القديم. المرحومة فيرا

بتروفنا، والددة سونتشكا، كانت لا تنام الليل أحيانا من

جزعها عليك.. كم كانت تحبك..

(صمت)

العجائز والصغار سيان، يرغبون فى العطف، ولكن

لا أحد يعطف على العجائز. (تقبل سيريرياكوف فى

كتفه) هيا يا عزيزى، هيا إلى الفراش.. هيا أيها الغالى..

سأسقيك شايا من أوراق الزيزفون، وأدفع لك

ساقيك.. سأصلى لله من أجلك..

سيريرياكوف: (متأثرا) هيا يا مارينا.

مارينا: أنا نفسى ساقى تطنان، تطنان بلا توقف. (تقوده هيا

وسونيا) كانت فيرا بتروفنا تجزع أحيانا، وتظل تبكى..

أنت يا سونتشكا كنت آنذاك صغيرة: عبيطة.. هيا، هيا

يا عزيزى..

(ينصرف سيريرياكوف وسونيا ومارينا)

يلينا أندرييفنا: لقد تعذبت معه. لا أكاد أقوى على الوقوف.

فوينيتسكى: أنت تعذبت معه وأنا مع نفسى. لا أنام لثالث ليلة.

يلينا أندرييفنا: لا توفيق فى هذا البيت. أمك تمقت كل شىء ما عدا كتيباتها والأستاذ. والأستاذ مستفز، لا يثق فىّ ويخاف منك. سونيا غاضبة من أبيها، غاضبة منى ولا تحدثنى منذ أسبوعين. وأنت تمقت زوجى وتحتقر أمك علانية. وأنا مستفزة وكدت أبكى اليوم عشرين مرة.. لا توفيق فى هذا البيت.

فوينيتسكى: دعينا من الفلسفة!

يلينا أندرييفنا: أنت يا إيفان بتروفتش متعلم وذكى، ومن المفروض أن تفهم أن العالم يهلك لا من اللصوص، ولا من الحرائق، بل من الحقد والعداوة، من كل هذه الضغائن التافهة.. الأجدرك ألا تتذمر، بل أن تصلح بين الجميع.

فوينيتسكى: فلتصالحينى مع نفسى أولا! يا عزيزتى!.. (يرتمى على يدها)

يلينا أندرييفنا: دعنى! (تسحب يدها) أنصرف!

فوينيتسكى: سيتتهى المطر قريبا ويتعش كل شىء فى الطبيعة ويتنفس الصعداء. أنا الوحيد الذى لن تنعشه العاصفة. ليل نهار، تخنقنى فكرة أن حياتى ضاعت، وبلا رجعة. ليس لدى ماض، لقد بددته بحماقة على

التفاهات، والحاضر فظيع في لا معقوليته. هذه هي حياتي وهذا هو حبي.. إلى أين أذهب بهما، وماذا أفعل بهما؟ شعوري يهلك هدرا كشعاع الشمس الساقط في حفرة، وأنا أيضا أهلك.

يلينا أندرييفنا: عندما تحدثني عن حبك أشعر بالتبلد ولا أدري ماذا أقول. اعذرني، ولكني لا أستطيع أن أقول لك شيئا. (تهم بالذهاب) طابت ليلتك.

فوينيتسكى: (يعترض سبيلها) ولو عرفت لم أتعذب من إحساسى بأن حياة أخرى قريبة منى تهلك في هذا البيت.. حياتك! ما الذى تنتظرينه؟ أية فلسفة لعينة تعوقك؟ فلتفهمي إذن، افهمي..

يلينا أندرييفنا: (تحدجه بنظرة ثاقبة) إيفان بتروفتش، أنت سكران! فوينيتسكى: ربما، ربما..

يلينا أندرييفنا: وأين الدكتور؟

فوينيتسكى: إنه هناك.. بيت عندي. ربما.. كل شيء جائز!

يلينا أندرييفنا: واليوم أيضا شربت؟ ما الداعي؟

فوينيتسكى: على الأقل أشعر بها يشبه الحياة... لا تعوقيني

Helene!^(١)

يلينا أندرييفنا: لم تكن تشرب أبدا من قبل، ولم تكن تثرثر هكذا أبدا.. اذهب ونم! أشعر معك بالملل.

(١) يلينا (بالفرنسية في الأصل).

فوينيتسكى : (ينكب على يدها) يا عزيزتى.. يا رائعتى!
يلينا أندرييفنا: (بأسى) دعنى. هذا كرهه فى نهاية الأمر. (تنصرف).
فوينيتسكى : (وحده) ذهبت..

(صمت)

منذ عشر سنوات قابلتها عند المرحومة أختى. كانت آنذاك فى السابعة عشرة، وكنتُ فى السابعة والثلاثين. فلماذا لم أقع آنذاك فى هواها وأخطبها؟ كان ذلك ممكنا جدا! ولكانت الآن زوجتى.. نعم.. كنا استيقظنا الآن معا بسبب العاصفة.. هى فزعة من الرعد، وأنا أضمتها إلى صدرى وأهمس: «لا تخافى، أنا هنا». أوه، يا لها من أفكار مدهشة، ما أروع ذلك، إننى حتى أضحك.. ولكن، يا إلهى، الأفكار تختلط فى رأسى.. لماذا أنا عجوز؟ لماذا لا تفهمنى؟ تكلفها هذا، وأخلاقياتها الكسول، وأفكارها التافهة الكسلى حول هلاك العالم.. كل ذلك أمقته غاية المقت.

(صمت)

أوه، كم خدعت! كنت أعبد هذا الأستاذ، هذا النقرسى التافه. كنت أعمل من أجله كالبعغل. كنت أنا وسونيا نعصر هذه الضيعة حتى آخر قطرة. كنا كالكولاك نتاجر فى الزيت والحمص واللبن الرائب.. كنت لا

نأكل حتى الشبع لكى نجمع من الكوييكات آلاف
الروبلاات ونرسلها إليه. وكنت أفخر به وبعلمه، كنت
أعيش وأتنفس به! كل ما كان يكتبه أو يتفوه به بدا لي
عبقريا.. يا إلهي، والآن؟ ها هو قد تقاعد وأصبحت
ظاهرة كل نتيجة حياته: لن تبقى بعده صفحة واحدة
من العمل، إنه نكرة تماما، لا شيء! فقاعة صابون! وأنا
قد خدعت.. وكما أرى خدعت بغباء..

(يدخل أستروف في سترة بدون صديري وبدون رابطة عنق. يبدو ثملا.
يتبعه تيليجين مع الجيتار)

أستروف: اعزف!

تيليجين: الجميع نيام!

أستروف: اعزف!

(تيليجين يداعب الأوتار بخفة)

(لفوينيتسكى) أنت هنا وحدك؟ لا سيدات؟ (يضع

يديه في خصرة ويغنى بصوت خافت) «تحرك أيها

البيت، تحرك أيها الفر، لن يجد السيد ركنا

للنوم..» العاصفة أيقظتنى. يا له من مطر. كم الساعة

الآن؟

فوينيتسكى: الشيطان يعلم!

أستروف: خيل إلى أنني سمعت صوت يلينا أندرييفنا.

فوينيتسكى : كانت هنا منذ قليل.

أستروف: امرأة فخمة (يتفحص القوارير على الطاولة) أدوية.

ما أكثر الروشتات هنا! من خاركوف، ومن موسكو،

ومن تولا.. أضجر المدن كلها بنقرسه. أهو مريض أم

يتمارض؟

فوينيتسكى : مريض.

(صمت)

أستروف: مالك اليوم حزين هكذا؟ أترك تشفق على الأستاذ؟

فوينيتسكى : دعنى.

أستروف: أم ربها وقعت فى غرام زوجة الأستاذ؟

فوينيتسكى : إنها صديقتى.

أستروف: لحقت؟

فوينيتسكى : ماذا تعنى بـ «لحقت» هذه؟

أستروف: المرأة لا يمكن أن تصبح صديقة للرجل إلا حسب

الترتيب التالى: أولاً زميلة، فعشيقة، ثم بعدها صديقة.

فوينيتسكى : فلسفة المبتدلين.

أستروف: ماذا؟ نعم.. ينبغى أن أعترف.. إننى أصبح مبتدلاً.

أترى، وأيضاً سكران. عادة أسكر هكذا مرة واحدة

فى الشهر. وعندما أكون فى هذه الحالة أصبح وقحاً

وصفيقاً إلى أقصى حد. عندئذ لا أبالى بشيء! أقدم

على إجراء أصعب العمليات، وأجرىها على أروع

ما يكون. أرسم أعرض الخطط للمستقبل. وعندها لا
أبدو لنفسي غريب الأطوار وأؤمن بأننى أعود على البشرية
بفائدة عظيمة.. عظيمة! وفي هذه اللحظات يصبح لدى
نظامى الفلسفى الخاص، وتبدون لى جميعا يا إخوتى مجرد
هوام.. ميكروبات. (تيليجين) اعزف يا وفل!

تليجين: يا صديقى، يسعدنى أن أعزف لك من صميم قلبى،
ولكن أهل البيت نيام!
أسـتـروف: اعزف!

(تيليجين يداعب الأوتار بخفة)

أريد أن أشرب. هيا، أعتقد أنه بقى لدينا شىء من
الكونياك. وما إن يشرق النهار حتى نذهب إلى.
موافق؟ (يرى سونيا داخله) عفوا، إننى بدون رابطة
عنق. (ينصرف بسرعة ويتبعه تيليجين)

سونيا: سكرت ثانية يا خالى فانيا مع الطبيب. تصادق الفارسان
الصنديدان. حسناً، الدكتور دائها هكذا، ولكن أنت، ما
الداعى؟ هذا لا يناسب أبداً شخصاً فى عمرى.

فوينيتسكى: لا دخل للعمر هنا. عندما لا توجد حياة حقيقية يعيش
الناس على السراب. إنه على أى حال أفضل من لا
شىء.

سونيا: العشب قد حصدناه كله، وكل يوم يسقط المطر فيدب
العطن فيه، بينما أنت تلهو بالسراب. أنت أهملت الأعمال

تمامًا.. وأنا أعمل وحدى، خارت قواى تمامًا.. (بذعر)

يا خالى، فى عينيك دموع!

فوينيتسكى: أى دموع؟ لا شىء هناك.. كلام فارغ.. لقد نظرت

الآن إلى كَنظرة المرحومة أمك. يا عزيزتى.. (يقبل يديها

ووجهها بنهم) يا أختى.. الغالية أين هى الآن؟ آه لو

كانت تعلم! آه لو كانت تعلم!

سونيا: ماذا؟ تعلم ماذا يا خالى؟

فوينيتسكى: الأمور صعبة.. سيئة.. لا شىء.. فيما بعد.. لا شىء..

سأذهب.. (ينصرف)

سونيا: (تدق الباب) ميخائيل لفوفتش! أأست نائما؟

دقيقة واحدة!

أستروف: (من خلف الباب) حالًا (يدخل بعد قليل مرتديا

الصديرى ورباط العنق) بم تأمرين؟

سونيا: إذا لم يكن ذلك كريها، فلتشرب كما تشاء، ولكن أرجوك

لا تسق خالى. هذا مضر له.

أستروف: حسنًا. لن نشرب بعد.

(صمت)

سأرحل الآن إلى دارى. صدر القرار وأعتمد. إلى أن

يسرجوا العربدة يكون الفجر قد أشرق.

سونيا: المطر يسقط، انتظر إلى الصباح.

أستروف: العاصفة تمر بعيدة عن هنا، لا تصيب إلا طرف الناحية.

سأرحل. وأرجوك، لا تستدعيني بعد ذلك لفحص أبيبك. أنا أقول له: لديك نقرس، فيقول: روماتيزم. أرجوه أن يستلقى لكنه يجلس. أما اليوم فلم يشأ حتى أن يتحدث معي.

سونيا: إنه مدلل (تبحث في البوفيه) أتريد أن تأكل؟
أستروف: حسنًا، هاتى.

سونيا: أنا أحب الأكل ليلاً. يبدو أنه يوجد شيء ما فى البوفيه. يقال إنه كان يحظى بإقبال كبير من النساء فدللته. ها هي جبنه، تفضل.

(يقفان بجوار البوفيه ويأكلان)

أستروف: أنا لم أذق الطعام اليوم، شربت فقط أبوك طباعه صعبة (يخرج زجاجة من البوفيه) أأسمحين؟ (يشرب كأسًا)
لا أحد هنا وبوسعى أن أحدثك بصراحة. أأدريين، يخيل إلى أننى ما كنت لأبقى حيا فى بيتكم شهرًا واحدًا، ولا ختنقت فى هذا الجو.. أبوك الذى غاص تمامًا فى نقرسه وكتبه، والخال فانيا مع اكتتابه، وجدتك، وأخيرًا زوجة أبيبك..

سونيا: ما لها؟

أستروف: كل شيء ينبغى أن يكون جميلًا فى الإنسان: الوجه، والثياب، والروح، والأفكار. هى جميلة، ما فى ذلك شك ولكن.. إنها فقط تأكل، وتنام، وتترىض، وتسحرنا

جميعا. بجملها.. ولا شىء أكثر. ليس لديها أية التزامات،
والآخرون يعملون من أجلها.. أليس كذلك؟ إن حياة
الفراغ لا يمكن أن تكون طاهرة.

(صمت)

وعلى العموم ربما أكون متشددًا في أحكامى، أنا غير راض
عن حياتى، مثل خالك فانيا، وكلانا نصبح متأففين.

سونيا: وهل أنت غير راض عن حياتك؟

أستروف: أنا عمومًا أحب الحياة، ولكنى لا أطيق حياتنا الإقليمية،
الروسية، الثقافة، وأحتقرها بكل ما فى روحى من قوة.
أما فيما يخص حياتى أنا الشخصية، فأقسم لك، ليس فيها
أى شىء طيب. أتدري، عندما تسير عبر الغابة فى ليلة
مظلمة، وإذا كان هناك ضوء يلوح فى الأفق، فإنك لا
تشعر لا بالتعب، ولا بالعتمة، ولا بالأغصان الشائكة
التي تضربك فى وجهك.. إننى أعمل - وأنت تعرفين ذلك
- كما لا يعمل أحد فى الناحية، والقدر يرمينى بمصائبه
دون توقف، وأحيانًا أعانى بصورة لا توصف، غير أنه
ليس لدى ضوء فى الأفق. لم أعد أنتظر شيئًا لنفسى،
ولا أحب الناس.. منذ وقت طويل لم أعد أحب أحدًا.

سونيا: لا أحد؟

أستروف: لا أحد. أكنُّ بعض المشاعر الرقيقة لمربيّتكم فقط، من أيام
زمان. الفلاحون متشابهون جدًّا ومتخلفون، يعيشون

في القذارة، أما المثقفون فمن الصعب التفاهم معهم. إنهم يسببون لي الإرهاق. وكلهم، معارفنا الطيبون، سطحيو التفكير، سطحيو المشاعر، ولا يرون أبعد من أنوفهم، باختصار أغبياء. أما ذوو الأهمية فيهم والأكثر ذكاء فمصابون بالهستيريا، مهمومون بتحليل الذات وردود الفعل.. إنهم يتأففون، ويحقدون، ويفترون على نحو خطير، يقتربون من الشخص بحذر وينظرون إليه شزرا ويصدرون الحكم: «أوه هذا سيكون باتي!» أو «هذا ثرثار!» وعندما لا يجدون اللفتة المناسبة للإصاقتها على جبینی يقولون: «هذا شخص غريب، غريب!» إنني أحب الغابة، وهذا غريب، ولا آكل اللحم، وهذا أيضًا غريب. لم تعد هناك نظرة بسيطة، صافية، حرة إلى الطبيعة وإلى الناس.. كلا ثم كلا! (يهم بالشرب).

سونيا: (تمنعه) كلا، أرجوك، أتوسل إليك، لا تشرب بعد.
أستروف: ولم؟

سونيا: هذا لا يناسبك أبدًا! فأنت رشيق، وصوتك رقيق بل أكثر.. أنت غير كل من أعرفهم، أنت رائع، لماذا تريد إذن أن تصبح مثل الناس العاديين الذين يشربون ويلعبون الورق؟ أوه، لا تفعل ذلك، أرجوك! أنت دائمًا تقول إن الناس لا يبدعون بل فقط يدمرون ما وهبته لهم السماء. فلماذا، لماذا إذن تدمر نفسك؟ لا داعي، لا داعي، أتوسل إليك، أستحلفك.

أسـتـروف: (يمد لها يده) لن أشرب بعد.

سونـيا: أعطني عهدًا.

أسـتـروف: أقسم بشرى.

سونـيا: (تشد على يده بقوة) أشكرك!

أسـتـروف: انتهينا! لقد أفقت. أترين، ها أنا ذا مفيق تمامًا، وسأظل

كذلك حتى آخر أيامى. (ينظر إلى الساعة) حسنًا،

فلنواصل. أقول إن زمنى ولى، تأخرت.. هرمت،

هدنى العمل، تبذلت وتبلدت كل أحاسيسى، ويبدو

لم يعد فى مقدورى أن أتعلق بإنسان. أنا لا أحب أحدًا

و.. لن أحب. أما الشئ الذى ما يزال يشدنى فهو

الجمال. لا أستطيع أن أكون لا مبالياً تجاهه. يخيل إلى أن

يلينا أندرييفنا لو أرادت لاستطاعت أن تسلبنى رشدى

فى يوم واحد.. ولكن ذلك لن يكون حبًا، أو تعلقًا..

(يغطي عينيه براحته وينتفض)

سونـيا: ماذا بك؟

أسـتـروف: أبدًا.. فى الصيام الكبير مات أحد مرضاى تحت البنج.

سونـيا: أن أن تنسى ذلك.

(صمت)

خبرنى يا ميخائيل لفوفتش.. لو أن عندى صديقة،

أو أختا صغرى، ولو أنك عرفت أنها.. لنفرض.. أنها

تحبك، فماذا كنت تفعل؟

أستروف: (يهز كتفيه) لا أعرف. أعتقد لا شيء. كنت أفهمها أننى
لن أستطيع أن أحبها.. ليس هذا ما يشغل بالى. على أى
حال ما دمت سأرحل فلأرحل الآن. وداعاً يا عزيزتى،
وإلا فلن ننتهى إلى الصباح. (يشد على يدها) سأمر عبر
غرفة الجلوس إذا سمحت، إذ أخشى أن يتشبث خالك
بى. (ينصرف)

سونيا: (وحدها) لم يقل لى شيئاً.. ما زالت روحه وقلبه مغلقين
أمامى، فلماذا إذن أشعر بنفسى سعيدة إلى هذه الدرجة؟
(تضحك من السعادة) قلت له: أنت رشيق، نبيل،
وصوتك رقيق.. فهل كان ذلك غير مناسب؟ إن صوته
مرتعش، يلاطف.. ها أنذا أحس به فى الجو. ولكن
عندما حدثته عن الأخت الصغرى لم يفهم.. (تعصر
يديها) أوه، ما أظفح كونى قبيحة! ما أظفحه!
أنا أعرف أننى قبيحة، أعرف، أعرف.. فى الأحد الماضى،
ونحن خارجون من الكنيسة، سمعته يتحدثون عنى،
وقالت إحدى النساء: «إنها طيبة، كريمة، ولكنها،
ويا للأسف، قبيحة» قبيحة..

(تدخل يلينا أندرييفنا)

يلينا أندرييفنا: (تفتح النافذة) مرت العاصفة. ياله من هواء منعش!

(صمت)

أين الدكتور؟

سونيا: انصرف.

(صمت)

يلينا أندرييفنا: صوفى!

سونيا: ماذا؟

يلينا أندرييفنا: إلى متى ستظلين غاضبة منى؟ لم تتسبب أى منا فى أذى
للأخرى: فلماذا نتعاضد؟ كفى..

سونيا: أنا نفسى أردت أن.. (تعانقها) كفى زعلاً.

يلينا أندرييفنا: ممتاز.

(كلتاها منفعلتان)

سونيا: هل بابا نائم؟

يلينا أندرييفنا: كلا، جالس فى غرفة الجلوس.. لا نتحدث بالأسابيع
والله يعلم بسبب ماذا.. (ترى البوفيه مفتوحاً) ما هذا؟

سونيا: ميخائيل. لفوفتش تعشى.

يلينا أندرييفنا: ويوجد نبىذ.. هيا نشرب نخب التآخى.

سونيا: هيا.

يلينا أندرييفنا: من كأس واحدة.. (نصب) هكذا أفضل. حسناً،

أخوات؟

سونيا: أخوات.

(تشربان وتبادلان القبل)

من زمان أردت أن أتصالح معك، ولكنى كنت أخجل..

(تبكى)

يلينا أندرييفنا: لماذا تبكين؟

سونيا: لا شيء، هكذا.

يلينا أندرييفنا: كفاك.. (تبكى) يالك من غريبة، جعلتنى أبكى..

(صمت)

أنت غاضبة منى لأننى، فى ظنك، تزوجت أباك عن مصلحة.. ولكن إذا كنت تصديق الأيمان، فأقسم لك أننى تزوجته عن حب. همت به كعالم وشخصية شهيرة. لم يكن حباً حقيقياً، بل مصطنعاً، ولكن بدالى آنذاك أنه حب حقيقى. لست مذنبه. أما أنت فلم تكفى، منذ حفل زواجنا، عن عقابى بنظراتك الذكية المرتابة.

سونيا: كفى، تصالحنا، تصالحنا! لننس ذلك.

يلينا أندرييفنا: لا تنظرى هكذا. هذا لا يناسبك.

يجب أن تصدقى الجميع، وإلا استحال العيش.

(صمت)

سونيا: خبرينى بالحق، كصديقة.. هل أنت سعيدة؟

يلينا أندرييفنا: كلا.

سونيا: كنت أعرف ذلك. سؤال آخر. خبرينى بصراحة: أترغبين

فى أن يكون لديك زوج شاب؟

يلينا أندرييفنا: يالك من فتاة صغيرة بعد. طبعاً أرغب! (تضحك)

حسنًا، اسألى أيضًا، اسألى..

سونيا: هل يعجبك الدكتور؟

يلينا أندرييفنا: نعم، جدًا.

سونيا: (تضحك) وجهي أحمر.. أليس كذلك؟ ها هو قد مضى وما زلت أسمع صوته وخطواته، وأنظر إلى النافذة المظلمة فأتحيل وجهه هناك. دعيني أفصح.. ولكنى لا أستطيع أن أتحدث هكذا علانية، أشعر بالخجل. فلنذهب إلى غرفتي ونتحدث هناك. هل أبدولك حمقاء؟ اعترفي.. قولى لى عنه أى شىء..

يلينا أندرييفنا: وماذا أقول؟

سونيا: إنه ذكى.. إنه يجيد كل شىء.. يقدر على كل شىء.. إنه يعالج، ويغرس الغابات..

يلينا أندرييفنا: ليست القضية في الغابات أو في الطب.. لتفهمى يا عزيزتى، إنه موهبة! فهل تعرفين ماذا تعنى الموهبة؟ الجرأة، العقل الحر، السعة والشمول.. إنه يغرس الشجرة ويحمن ما الذى سينتج عن ذلك بعد ألف سنة، وتلوح لعينيه سعادة البشرية القادمة. أمثال هؤلاء الأشخاص نادرون وينبغى أن نحبههم.. إنه يشرب، ويتصرف أحيانًا بخسونة، فأى بأس فى ذلك؟ الإنسان الموهوب فى روسيا لا يمكن أن يكون طاهر الذيل، هلا فكرت فى الحياة التى يحياها هذا الدكتور! الأوحال الكثيفة فى الطرقات، والزهرير والعواصف الثلجية، والمسافات الهائلة، والناس الأفظاظ، المتوحشون، والفقر والأمراض فى

كل مكان، وفي مثل هذا الوضع فمن الصعب على من
يعمل ويصارع يوماً بعد يوم أن يحافظ على نفسه طاهراً
ومفياً حتى الأربعين.. (تقبلها) من كل قلبى أتمنى لك
السعادة أنت جديرة بها.. (تنهض) أما أنا فشخصية
ثقيلة الدم، ثانوية.. فى الموسيقى، وفى منزل زوجى، وفى
جميع المغامرات، أى باختصار فى كل مكان لم أكن سوى
شخصية ثانوية. فى الواقع يا سونيا، إذا أمعنا النظر، أنا
تعيسة جداً، جداً! (تخطو على الخشبة فى انفعال) لن أجد
السعادة فى هذه الدنيا. كلا! مالك تضحكين؟

سونيا: (تضحك، تغطى وجهها) كم أنا سعيدة.. سعيدة!

يلينا أندرييفنا: أريد أن أعزف.. بوسعى أن أعزف الآن شيئاً ما.

سونيا: اعزفى. (تعانقها) أنا لا أستطيع أن أنام.. اعزفى!

يلينا أندرييفنا: حالاً. أبوك مستيقظ. عندما يكون مريضاً تزعجه
الموسيقى. اذهبى واسأليه. إذا لم يمانع فسأعزف.
اذهبي.

سونيا: حالاً. (تنصرف)

(الحارس يدق فى البستان)

يلينا أندرييفنا: لم أعزف من زمن طويل. سأعزف وأبكى، سأبكى
كحُمقاء (فى النافذة) أهو أنت الذى يدق يا يفيم؟

صوت الحارس: أنا!

يلينا أندرييفنا: لا تدق، السيد مريض.

صوت الحارس: سأنصرف حالا! (يصفّر منادياً الكلاب) يا جوتشكا!

يا مالتشيك! يا جوتشكا!

(صمت)

سونيا: (تعود) ممنوع!

(ستار)

الفصل الثالث

(غرفة الجلوس في منزل سيربرياكوف. ثلاثة أبواب: إلى اليمين وإلى اليسار وفي الوسط. الوقت نهار، فوينيتسكى وسونيا جالسان ويلينا أندرييفنا تذرع الخشبة وهي تفكر في شيء ما)

فوينيتسكى: تفضل الهرب وفسور بإبداء رغبته في أن نجتمع كلنا اليوم في هذه الغرفة في الساعة الواحدة. (يتطلع إلى الساعة) الواحدة إلا ربعا. يريد أن يطلع العالم على شيء ما.

يلينا أندرييفنا: في الغالب يريدكم لعمل ما.
فوينيتسكى: ليس لديه أية أعمال. يكتب هراء، يتأفف ويغار ولا شيء أكثر،

سونيا: (بنبرة لوم) يا خالي!

فوينيتسكى: حسنا، آسف، آسف. (يشير إلى يلينا أندرييفنا) تفضلوا، انظروا إليها، تترنح من الكسل. جميل جدًا! جدًا!

يلينا أندرييفنا: طول النهار تظن وتظن، ألا تمل ذلك! (بأسى) أكاد أموت من الملل، ولا أعرف ماذا عليّ أن أفعل.

سونيا: (تهز كتفيها) وهل الأعمال قليلة؟ لو فقط تشائين.

يلينا أندرييفنا: مثلاً؟

سونيا: زاولى الشئون المنزلية، علمى، عاجلى. الأعمال كثيرة.

قبل أن تأتى مع بابا إلى هنا كنا أنا وخالى فانيا نذهب إلى السوق ونبيع الطحين.

يلينا أندرييفنا: لا أجيد ذلك. ثم إنه غير شيق. فى الروايات المثالية فقط

يعلمون الفلاحين ويعالجونهم، فكيف أذهب أنا فجأة،

هكذا دون مقدمات، وأخذ فى تعليمهم ومعالجتهم؟

سونيا: أما أنا فلا أفهم كيف لا نذهب إليهم ولا نعلمهم. مهلاً،

أنت أيضاً ستتعودين. (تعانقها) لا تضجرى يا حبيبتى.

(تضحك) أنت تضجرين ولا تعرفين ماذا تفعلين، بينما

الضجر والفراغ معديان. انظرى، ها هو خالى فانيا لا

يفعل شيئاً، اللهم إلا أن يسير خلفك كظلك، وأنا تركت

أعمالى وهرعت إليك لأتحدث معك. أوه، كم أصبحت

كسولة! فى السابق كان الدكتور ميخائيل لفوفتش لا

يزورنا إلا نادراً جداً، مرة فى الشهر، وكان من الصعب

استمالته، أما الآن فيأتى كل يوم، وأهمل غاباته وطبه.

يبدو أنك ساحرة.

فوينيتسكى: لماذا الضنى؟ (بحيوية) هيا أيتها الغالية، أيتها النفيسة،

كونى عاقلة! فى عروقك تجرى دماء جنية البحر،

فلتكونى جنية بحر! أطلقى لحريتك العنان ولو مرة فى

العمر، اغرقى فى حب أحد ساكنى مملكة البحر بسرعة،
واقفزى فى الغدير وغوصى قبل أن يتمكن الهربروفيسور
ومعه نحن كلنا من إبداء دهشتنا!

يلينا أندرييفنا: (بغضب) دعنى وشأنى! يا للقسوة! (تهم بالذهاب)
فوينيتسكى: (يعترض سبيلها) طيب، طيب، يا حياتى، سامحنى..
أعتذر (يقبل يدها) سماح..

يلينا أندرييفنا: حتى الملائكة ينفد صبرها، صدقنى.
فوينيتسكى: رمز السلام والوفاق سأتيك الآن بياقة ورد. منذ الصباح
أعددتها لك.. ورود الخريف ساحرة.. ورود حزينة..
(ينصرف)

سونيا: ورود الخريف ساحرة.. ورود حزينة..
(كلتاهما تتطلعان من النافذة)

يلينا أندرييفنا: ها هو سبتمبر قد جاء. يا ترى، كيف سيمضى الشتاء
هنا!

(صمت)

أين الدكتور؟

سونيا: فى غرفة خالى فانيا. يكتب شيئاً ما. أنا سعيدة إن خالى
فانيا ذهب، أريد أن أتحدث معك.

يلينا أندرييفنا: عم؟

سونيا: عم؟ (تضع رأسها على صدرها)

يلينا أندرييفنا: حسنا، كفى، كفى.. (تمسد شعرها) كفى

سونيا: أنا قبيحة.

يلينا أندرييفنا: لديك شعر رائع.

سونيا: كلا! (تدير رأسها لتتطلع إلى نفسها في المرآة) كلا! عندما

تكون المرأة قبيحة يقولون لها: «لديك عينان رائعتان،

لديك شعر رائع».. أنا أحبه منذ ست سنوات، أحبه أكثر

من حبي لأمي. في كل لحظة أسمعه، أحس بمصافحة

يده، وأنظر إلى الباب منتظرة، ويخيل إليّ أنه سيدخل

الآن. وها أنا ذا، كما ترين، آتى إليك دائماً لأتحدث عنه.

إنه الآن يزورنا كل يوم، لكنه لا ينظر إليّ، لا يراني..

يا له من عذاب! ليس لديّ أى أمل، أبداً، أبداً! (في يأس)

يا إلهي، هبني القوة.. ظللت أصلي طوال الليل.. كثيرا

ما أقترّب منه، وأبدأ في الحديث معه، وأحدق في عينيه..

أصبحت أدوس على كرامتي، ولا حول بي للسيطرة على

نفسى.. بالأمس لم أسيطر على نفسى واعترفت لخالي

فانيا بحبى.. الخدم كلهم يعرفون أنني أحبه. الجميع

يعرفون.

يلينا أندرييفنا: وهو؟

سونيا: كلا، إنه لا يحس بوجودي.

يلينا أندرييفنا: (بتفكير) إنه شخص غريب.. اسمعى. دعيني أتحدث

معه.. بحذر، تلميحا..

(صمت)

بالفعل، إلى متى تظلين في المجهول.. اسمحي لي!

(سونيا تهز رأسها موافقة)

رائع. ليس من الصعب معرفة إن كان يجب أم لا. لا تخجلي يا صغيرتي، اطمئني، سأسأله بحذر، ولن يلحظ. كل ما نريد أن نعرفه: نعم أم لا؟

(صمت)

فإذا كان لا، فلا داعي لمجيئه إلى هنا، هكذا؟

(سونيا تهز رأسها موافقة)

من الأسهل التحمل عندما لا تريئه. لن نؤجل الأمر طويلا، سنسأله حالا. لقد كان ينوى أن يطلعني على بعض الرسومات الهندسية.. اذهبي وخبريه بأنني أريد أن أراه.

سونيا: (في انفعال شديد) ستخبريني بالحقيقة؟

يلينا أندرييفنا: نعم، بالطبع. أعتقد أن الحقيقة، مهما كانت، ليست مع ذلك فظيعة كالمجهول. اعتمدى علىّ يا صغيرتي.

سونيا: نعم، نعم.. سأقول له إنك تريدين رؤية الرسوم (تذهب ثم تتوقف عند الباب) كلا، المجهول أفضل.. فيه أمل على الأقل..

يلينا أندرييفنا: ماذا بك؟

سونيا: لا شيء (تنصرف)

يلينا أندرييفنا: (وحدها) ليس هناك ما هو أسوأ من أن تعرف سر

الآخرين دون أن تستطيع مساعدتهم. (متفكرة) إنه لا يحبها، هذا واضح، ولكن لماذا لا يتزوجها؟ إنها ليست جميلة، ولكن لطيب ريفي، وفي مثل سنة، قد تكون زوجة رائعة. ذكية، طيبة، نقية.. كلا، ليس الأمر كذلك، ليس كذلك..

(صمت)

إننى أفهم هذه البنية المسكينة. فوسط هذا الضجر الفظيع، عندما تهوّم بدلا من الناس بقع ما رمادية، ولا يسمع غير العبارات المبتذلة، ولا يعرف الناس شيئا سوى أن يأكلوا، ويشربوا ويناموا، يأتى هو أحيانا، لا يشبه الآخرين فى شىء، جميلا، شيقا، جذابا، فكأنها أشرق البدر الساطع وسط الظلام.. من هنا الرغبة فى الانجذاب إلى شخص كهذا، ونسيان كل شىء.. يبدو أننى أنا أيضا أغرمت به قليلا. نعم إننى أشعر بالضجر بدونه، وها أنذا أبتسم عندما أفكر فيه.. هذا الخال فانيا يدعى أن فى عروقى تجرى دماء جنية البحر.. «أطلقى لحريتك العنان ولو مرة فى العمر».. وماذا؟ ربما كان ذلك هو المطلوب.. أنا أطير كطائر طليق بعيدا عنكم جميعا، بعيدا عن سحناتكم النعسانة، عن أحاديثكم، أن أنسى أنكم موجودون فى الدنيا.. لكنى جبانة، خجول.. سيعذبنى ضميرى.. ها هو يأتى إلى هنا كل يوم، وأنا أخمن لماذا يأتى، فأصبحت أشعر بالذنب، ومستعدة أن أركع أمام سونيا، وأسألها الصفح، وأبكى..

أسـتـروف: (يدخل ومعه رسومات) نهارك سعيد! (يصافحها) هل أردت أن تشاهدي تصاويري؟
يلينا أندرييفنا: بالأمس وعدتني أن تطلعنني على أعمالك.. هل لديك وقت؟

أسـتـروف: أوه، بالطبع (يفرش الخريطة على طاولة لعب الورق ويثبتها بالدبابيس) أين ولدت؟
يلينا أندرييفنا: (وهي تساعده) في بطرسبرج.

أسـتـروف: وأين تعلمت؟
يلينا أندرييفنا: في الكونسرفتوار.
أسـتـروف: في الغالب لن يكون هذا ممتعا لك.
يلينا أندرييفنا: ولم لا؟ صحيح أنا لا أعرف الريف، ولكنني قرأت عنه الكثير.

أسـتـروف: في هذا المنزل توجد طاولة لي.. في غرفة إيفان بتروفتش. عندما يهدني التعب تماما، إلى درجة التبلد الكامل، أهجر كل شيء وأركض إلى هنا، وأتسلى بهذه اللعبة بضع ساعات.. إيفان بتروفتش وصوفيا ألكسندروفنا يدحرجان بكرات العداد الخشبي، وأجلس أنا بجوارهما خلف طاولتي وألون.. فأشعر بالدفء، والسكينة، وصرار الليل يئز. ولكنني لا أسمح لنفسى بهذه المتعة كثيرا، مرة في الشهر.. (يشير إلى الخريطة) والآن فلتنظري هنا. هذه صورة إقليمنا كما كان منذ ٥٠ عاما.

اللون الأخضر القاتم والفاتح يعنى الغابات. نصف المساحة الكلية مغطاة بالغابات. والمربعات الحمراء الصغيرة داخل اللون الأخضر تشير إلى أماكن تواجد الوعول والماعز.. إننى أبين هنا العالم النباتى والحيوانى. وفى هذه البحيرة كان يعيش البجع والأوز والبط، وكما يقول العجائز، كان الطير هنا لا أول له ولا آخر، كان يطير كالغمام. وكما ترين، بالإضافة إلى القرى والضيايع تتناثر هنا وهناك الدور والبيوت المنفردة وصوامع طائفة المنشقين، وطواحين الماء.. كانت الماشية والخيول كثيرة. يبدو ذلك من اللون الأزرق. مثلاً، فى هذه المحافظة ترين اللون الأزرق سميكاً، إذ كانت هنا قطعان كبيرة من الخيول، وكان متوسط عدد الخيول فى كل منزل ثلاثة.

(صمت)

فلننظر الآن أسفل قليلاً. هذا ما كان منذ ٢٥ عاماً. لم تعد الغابات تغطى سوى ثلث المساحة. الماعز اختفى ولكن الوعول ما زالت موجودة. اللون الأخضر والأزرق أصبحا خفيفين وهلم جرا.. فلنتقل إلى القسم الثالث: صورة الإقليم الراهنة. اللون الأخضر متناثر هنا وهناك على شكل بقع، وليس متصلاً. اختفت الوعول والبجع ودجاج الغابة.. ولم يبق أثر للدور والبيوت المتناثرة وصوامع المنشقين وطواحين الماء. باختصار، ترين صورة للانحلال التدريجى المؤكد، الذى لم يبق أمامه فى الغالب

سوى ١٠ - ١٥ سنة ليصبح تاما. ستقولين إن ذلك من تأثير الحضارة، وإن الحياة القديمة من الطبيعي أن تتخلل عن مكانها للجديدة. نعم، إننى أدرك أنه لو مدت فى مكان هذه الغابات المباداة طرق السيارات والسكك الحديدية، ولو قامت هنا المصانع والفبارك والمدارس، لأصبح الشعب أصح وأغنى وأذكى، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث! فى الإقليم نفس المستنقعات القديمة، والبعوض، انعدام الطرق، والفقر، والتيفوس والدفتيريا، والحرائق..

إننا أمام انحلال نتيجة الصراع القاسى من أجل الوجود، انحلال بسبب التخلف والجهل، بسبب الغياب التام للوعى الذاتى، عندما ينقض الإنسان المقرور، الجائع، المريض، فى محاولة منه لإنقاذ بقية حياته، ولحماية أبنائه، بصورة غريزية، لا واعية على كل ما يمكن أن يسد رمقه ويدفعى بدنه، فيقضى على كل شىء دون أن يفكر فى الغد.. لقد قضى على كل شىء تقريبا، ولكن لم يخلق أى شىء بديل. (ببرود) أرى فى وجهك أن هذا لا يثير اهتمامك.

يلينا أندرييفنا: ولكنى لا أفهم فى هذا كثيرا..

أسـتـروف: ليس هنا ما يستعصى على الفهم، أنت ببساطة لا تهتمين.

يلينا أندرييفنا: بصراحة فكرى مشغول بشىء آخر. اعذرنى. أريد

أن أجرى معك استجوابا صغيرا، ولكنى محرّجة، ولا
أعرف كيف أبدأ.

أسـتـروف: استجواب؟

يلينا أندرييفنا: نعم، استجواب، ولكن.. برىء جدا. لنجلس!
(يجلسان)

المسألة تتعلق بإحدى الآنسات. سنتحدث كأناس
شرفاء، كأصدقاء، دون لف ودوران. سنتحدث ثم
ننسى الأمر. حسنا؟

أسـتـروف: حسنا.

يلينا أندرييفنا: المسألة تتعلق بابنة زوجى، سونيا. هل تعجبك؟
أسـتـروف: نعم، إننى أحترمها.

يلينا أندرييفنا: هل تعجبك كامرأة؟

أسـتـروف: (بعد برهة) كلا.

يلينا أندرييفنا: بضع كلمات أخرى وننتهى. ألم تلاحظ شيئا؟
أسـتـروف: كلا.

يلينا أندرييفنا: (تمسك بيده) أنت لا تحبها، أرى ذلك فى عينيك.. إنها
تعانى.. فلتفهم هذا و.. كف عن المجيء إلى هنا.

أسـتـروف: (ناهضا) زمانى قد ولى.. كما أنى مشغول.. (يهز كتفيه)
لا وقت لدى (يبدو عليه الارتباك)

يلينا أندرييفنا: أف، ياله من حديث كرية! أشعر بالاضطراب، وكأنى
حملت على ظهري ألف بود. الحمد لله انتهينا. فلتنس

ذلك كأنها لم يكن و.. وارحل عن هنا. أنت رجل ذكى،

تفهم..

(صمت)

وجهي قد احمر تماما..

أسـتروف: لو قلت لى قبل شهر أو شهرين لربما فكرت قليلا،

أما الآن.. (يهز كتفيه) وإذا كانت تعانى فبالطبع..

الشيء الوحيد الذى لا أفهمه هو: ما حاجتك إلى هذا

الاستجواب؟ (يحدق فى عينيها ويهددها بإصبعه) أنت

ماكرة!

يلينا أندرييفنا: ما معنى هذا؟

أسـتروف: (ضاحكا) ماكرة! لنفرض أن سونيا تعانى، مستعد

لتصديقك عن طيب خاطر، ولكن ما معنى استجوابك

هذا؟ (يحول بينها وبين الكلام، يقول بحماس) أرجوك،

لا ترسمى الدهشة على وجهك، فأنت تعرفين جيدا لماذا

أتى إلى هنا كل يوم.. أنت تعرفين حق المعرفة ولأجل

من أتى إلى هنا.. أيتها المتوحشة اللطيفة، لا تنظري إلى

هكذا، فأنا غراب عجوز..

يلينا أندرييفنا: (باستغراب) متوحشة؟ لا أفهم شيئا.

أسـتروف: نمسة جميلة ناعمة.. أنت بحاجة إلى ضحايا! ها أنذا أطوال

شهر كامل لا أعمل شيئا، هجرت كل شىء، وأبحث

عنك بنهم.. وهذا يعجبك جدا، جدا.. فماذا بعد؟ إننى

مهزوم، وكنت تعرفين ذلك حتى قبل الاستجواب.
(يعقد ذراعيه على صدره وينكس رأسه) سمعا وطاعة.
خذي، كليني!

يلينا أندرييفنا: لقد جنت!

أستروف: (يضحك من بين أسنانه) أنت خجول..

يلينا أندرييفنا: أوه، أنا أفضل وأسمى مما تظن! أقسم لك! (تهم
بالانصراف)

أستروف: (يعترض سبيلها) سأرحل اليوم، ولن آتى إلى هنا،
ولكن.. (يمسك يدها ويتلفت حوله) أين سنلتقى؟ قولى
بسرعة: أين قد يدخل أحدهم إلى هنا، قولى بسرعة..
(بشهوة) كم أنت رائعة، فاخرة.. قبلة واحدة.. أقبل
فقط شعرك العطر..

يلينا أندرييفنا: أقسم لك..

أستروف: (يعوقها عن الكلام) لماذا القسم؟ لا داعى للقسم. لا
داعى لمزيد من الكلمات.. أوه، يالك من جميلة! يا لها
من يدين! (يقبل يديها)

يلينا أندرييفنا: كفاك هذا.. اخرج (تسحب يديها) لقد تماديت.

أستروف: قولى، قولى إذن، متى سنلتقى غدا؟ (يطوق خصرها) هذا
محتم كما ترين، لا بد أن نلتقى. (يقبلها. فى هذه الأثناء
يدخل فوينيتسكى بياقة ورود فيقف عند الباب)

يلينا أندرييفنا: (لا ترى فوينيتسكى) ارحمنى.. دعنى.. (تضع رأسها
على صدر أستروف) كلا! (تهم بالانصراف)

أستروف: (يتشبث بخصرها) تعالى غدا إلى الغابة.. في حوالى الثانية.. حسنا؟ ستأتين؟

يلينا أندرييفنا: (ترى فوينيتسكى) دعنى! (تبتعد نحو النافذة فى حرج شديد) هذا فظيع.

فوينيتسكى: (يضع الباقة على الكرسي. ينتابه الانفعال فيمسح وجهه وخلف الياقة بالمنديل) لا بأس.. نعم.. لا بأس..

أستروف: (باستفزاز) الطقس اليوم لا بأس به يا إيفان بتروفتش المبجل. فى الصباح كان الجو غائما، كأنها على وشك أن يمطر، أما الآن فالشمس ساطعة. وإذا شئت الصراحة فهذا الخريف رائع.. والمحصول لا بأس به. (يطوى الخريطة على شكل أسطوانة) لا عيب سوى شىء واحد: الأيام أصبحت قصيرة.. (ينصرف)

يلينا أندرييفنا: (تقترب من فوينيتسكى بسرعة) فلتحاول، فلتستخدم كل نفوذك لكى أرحل مع زوجى من هنا اليوم بلا إبطاء! أسمع؟ اليوم بلا إبطاء!

فوينيتسكى: (يمسح وجهه) هه؟ آه، نعم.. حسنا.. لقد رأيت يا Hélène! كل شىء.. كل شىء..

يلينا أندرييفنا: (بعصبية) أسمع؟ ينبغى أن أرحل من هنا اليوم بلا إبطاء!

(يدخل سيربرياكوف وسونيا وتيلجين ومارينا)

تيلجين: أنا نفسى يا صاحب المعالى لست على ما يرام. لليوم الثانى أشعر بالمرض.. رأسى مصدع..

سيريرياكوف: أين الآخرون؟ لا أحب هذا البيت. مثل قصر التيه.
ست وعشرون غرفة ضخمة، يتناثرون فيها فلا تستطيع
أن تجد منهم أحدا. (يدق الجرس) ادعوا إلى هنا ماريا
فاسيليفنا ويليना أندرييفنا!

يليना أندرييفنا: أنا هنا.

سيريرياكوف: أرجو أن تجلسوا يا سادة.

سونيا: (تقترب من يلينا أندرييفنا، تسأل بلهفة) ماذا قال؟

يليना أندرييفنا: فيما بعد.

سونيا: أنت ترتعشين؟ أنت منفعة؟ (تحقق في وجهها بتمعن)

مفهوم.. قال إنه لن يأتى إلى هنا بعد.. نعم؟

(صمت)

قولى: نعم؟

(يلينا أندرييفنا تمز رأسها بالإيجاب)

سيريرياكوف: (لتيليجين) يمكن للإنسان أن يتغاضى عن المرض، لا

باس، لكن ما لا أقدر على هضمه فهو نظام الحياة الريفية.

عندى إحساس بأننى هويت من الأرض على سطح

كوكب آخر. اجلسوا يا سادة، أرجوكم. سونيا!

(سونيا لا تسمعه، تقف وقد نكست رأسها بحزن)

سونيا!

(صمت)

لا تسمع. (لمارينا) وأنت أيضا اجلسى يا دادة.

(المربية تجلس وتحوك جوربا)

أرجوكم يا سادة. علقوا، كما يقال، آذانكم على مسمار

(الانتباه. (بضحك)

فوينيتسكى: (بانفعال) ربما لا حاجة إلى؟ يمكنني أن أذهب؟

سيريرياكوف: كلا، نحن بحاجة إليك أكثر الجميع.

فوينيتسكى: وما الذى تريدونه منى؟

سيريرياكوف: لماذا تبدو غاضبا هكذا؟..

(صمت)

إذا كنت مخطئا فى حقك أرجوك المذرة.

فوينيتسكى: دعك من هذه اللهجة. فلندخل إلى الموضوع.. ما الذى

تريده؟

(تدخل ماريا فاسيليفنا)

سيريرياكوف: ها قد جاءت maman. إننى أبدأ يا سادة.

(صمت)

لقد دعوتكم أيها السادة لى أبلغكم بأن مفتشا سيأتى

إلينا^(١). لكن دعونا من المزاح. القضية جدية. لقد

جمعتكم يا سادة لى أطلب منكم العون والمشورة، ولما

كنت على علم بكرمكم الدائم فإننى أطمع فى الحصول

عليهما. أنا رجل عالم، أعيش مع الكتب وكنت دائما

بعيدا عن الحياة العملية. ولا أستطيع أن أتصرف بدون

تعليمات من الخبراء بالأمر، ولذا أرجوك يا إيفان

(١) العبارة من مسرحية جوجول «المفتش العام» العرب.

بتروفتش، وأنت يا إيليا إيليتش، وأنت يا maman..
فالمسألة أن manet omnesuna nox^(١)، أى أن أعمارنا
جميعا بيد الله. فأنا عجوز، مريض، ولذلك أجد أنه قد
حان الوقت لكى أنظم شئون الملكية الخاصة بى لأنها
تتعلق بأسرتى. أنا حياتى انتهت، ولا أفكر فى نفسى،
ولكن عندى زوجة شابة وابنة آنسة.

(صمت)

يستحيل على مواصلة الحياة فى الريف. نحن لسنا مخلوقين
للعيش فى الريف. أما الحياة فى المدينة على الموارد التى
نحصل عليها من هذه الضيعة فمستحيلة. فإذا بعنا الغابة
مثلا، فسيكون ذلك إجراء استثنائيا، لا يمكن اللجوء
إليه كل عام. لا بد من البحث عن إجراءات تكفل لنا
دخلا دائما، محددًا بهذه الدرجة أو تلك وقد توصلت إلى
إجراء كهذا وأتشف بعرضه عليكم لمناقشته. سأشرحه
لكم فى الخطوط العامة، دون الخوض فى التفاصيل.
ضيعتنا لا تعطينا فى المتوسط أكثر من نسبة ٢٪. أقترح
بيعها. فإذا حولنا النقود المتحصل عليها من البيع إلى
أسهم فسنحصل على فائدة بنسبة من أربعة إلى خمسة
فى المائة، بل وأعتقد أنه سيتبقى مبلغ إضافى يبلغ بضعة
آلاف، يتيح لنا أن نشترى بيتا صيفيا صغيرا فى فنلندا.

(١) الكل تنتظرهم ليلة واحدة (باللاتينية).

فوينيتسكى : مهلا.. أظن أن سمعى خدعنى.. أعد ما قلته.

سيربيرياكوف : تحول النقود إلى أسهم، وبها يتبقى من المبلغ نشترى بيتا صيفيا فى فنلندة.

فوينيتسكى : ليس فنلندة.. لقد قلت أيضا شيئا آخر..

سيربيرياكوف : إننى أقترح بيع الضيعة.

فوينيتسكى : بالضبط هو هذا تباع الضيعة، ممتاز، فكرة عظيمة.. وإلى أين تأمر بإرسالى أنا وأمى العجوز وسونيا؟

سيربيرياكوف : سنناقش كل هذا فى وقته. ليس كل شىء مرة واحدة.

فوينيتسكى : مهلا. يبدو أننى حتى الآن لم أتمتع بأى تفكير راجح.

حتى الآن كنت أظن بغبائى أن هذه الضيعة ملك

لسونيا. اشترى المرحوم أبى هذه الضيعة لتكون بائنة

لأختى. الآن كنت ساذجا، كنت أفهم القوانين ليس

على الطريقة التركية، فظننت أن الضيعة انتقلت من

أختى إلى سونيا.

سيربيرياكوف : نعم، الضيعة ملك لسونيا. من ينكر؟ ولن أقدم على

بيعها بدون موافقة سونيا. وعلاوة على ذلك فأنا أتقدم

بهذا الاقتراح من أجل مصلحة سونيا.

فوينيتسكى : هذا غير معقول، غير معقول! إما أننى جننت، وإما...

وإما..

ماريا فاسيليفنا: لا تعارض ألكسندريا جان. ثق أنه يعرف أفضل منا ما

هو الطيب وما هو السيئ.

فوينيتسكى: كلا، أعطوني ماء (يشرب ماء) قولو ما تشاءون، ما تشاءون!

سيريرياكوف: لا أدري ما يزعجك. أنا لا أدعى أن مشروعى مثالى. إذا اعتبره الجميع غير ملائم فلن أصر عليه.

(صمت)

تيليجين: (مرتبكا) إننى يا صاحب المعالى أكن للعلم لا مشاعر التبجيل فحسب، بل ومشاعر القرابة. أخو زوجة شقيقى جريجورى إيليتش، ربما تعرفونه، قسطنطين تروفيموفتش لا كيديمونوف، كان ماجستيرا..

فوينيتسكى: مهلا يا وفل، إننا نتحدث فى مسألة جدية.. انتظر، فيما بعد.. (لسيريرياكوف) ها هو أمامك، فلتسأله. هذه الضيعة تم شراؤها من عمه.

سيريرياكوف: آه، وما حاجتى لسؤاله؟ ما الداعى؟

فوينيتسكى: تم شراء هذه الضيعة فى ذلك الحين بمبلغ خمسة وتسعين ألف روبل. ولم يدفع أبى سوى سبعين ألفا. وبقي دين بخمسة وعشرين ألفا. فلتسمعوا إذن.. لو لم أتحل عن نصيبى من الميراث لصالح أختى التى أحبتها بحرارة، لما أمكن شراء هذه الضيعة. إننى عملت عشر سنوات كالبغل، حتى سددت هذا الدين كله..

سيريرياكوف: إننى آسف على إثارتى لهذا الموضوع.

فوينيتسكى: الضيعة ليست مدينة ولم تتدهور أمورها فقط بفضل

مجهوداتي الشخصية. وعندما أصبحت عجوزا يريدون

طردي من هنا شر طردة!

سيريرياكوف: لا أفهم ماذا تبغى!

فوينيتسكى: خمسة وعشرون عاما وأنا أدير هذه الضيعة، وأعمل،

وأرسل لك النقود، كخولى أمين، وطوال هذه المدة لم

تشكرنى مرة واحدة. طوال الوقت - فى شبابى والآن -

كنت أتقاضى منك راتبا خمسمائة روبل فى العام.. مبلغ

تافه! ولم يخطر ببالك أبدا أن تزيد مرتبى ولو روبلا!

سيريرياكوف: ومن أين لى أن أعرف يا إيفان بترفتش؟ أنا لست رجلا

عمليا ولا أفهم شيئا. كان بوسعك أن تزيد مرتبك كما

يحلوك.

فوينيتسكى: لماذا لم أسرق؟ لماذا لا تحتقرونى كلكم لأننى لم أسرق؟

إذن لكان عدلا منكم، ولما كنت الآن شحاذا!

ماريا فاسيليفنا: (بصرامة) جان!

تيليجين: (منفعلا) فانيا، يا صديقى، لا داعى، لا داعى.. إننى

أرتعش.. لماذا تفسد العلاقة الطيبة؟ (يقبله) لا

داعى.

فوينيتسكى: خمسة وعشرون عاما وأنا محبوس مع هذه الأم، بين أربعة

جدران، كحيوان الخلد فى جحره.. كل أفكارنا ومشاعرنا

كانت لك وحدك. فى النهار كنا نتحدث عنك، عن

أعمالك.. ونفخر بك، ونذكر اسمك بالتبجيل. ونبدد

الليالى فى قراءة المجلات والكتب، التى أحقرها الآن
من أعماق قلبى!

تيليجين: لا داعى يا فانيا، لا داعى.. أنا لا أحتمل..

سيريرياكوف: (بغضب) لا أفهم ماذا تريد؟

فوينيتسكى: كنت بالنسبة لنا مخلوقا ساميا، ومقالاتك كنا نحفظها عن

ظهر قلب.. أما الآن فقد فتحت عينى! أرى كل شىء!

تكتب عن الفن دون أن تفهم شيئا فى الفن! كل أعمالك،

التى أحببتها لا تساوى خردة! أنت خدعتنا!

سيريرياكوف: يا سادة! أسكتوه أرجوكم! إننى ذاهب!

يلينا أندرييفنا: إيفان بتروفتش، أطالبك بالسكوت! أسمع؟

فوينيتسكى: لن أسكت! (يسد الطريق على سيريرياكوف) قف،

أنا لم أفرغ! أنت دمرت حياتى! أنا لم أعش، لم أعش!

بسببك أهدرت أفضل سنوات عمرى، بددتها! أنت

عدوى اللدود!

تيليجين: لا أستطيع، لا أستطيع.. سأذهب.. (يخرج فى انفعال

شديد).

سيريرياكوف: ماذا تريد منى؟ وبأى حق تخاطبنى بهذه اللهجة؟ أيها

التافه! إذا كانت الضيعة لك فخذها، لست محتاجا

إليها!

يلينا أندرييفنا: سأرحل فوراً من هذا الجحيم! (تصرخ) لا أستطيع أن

أحتمل أكثر!

فوينيتسكى: ضاعت حياتى! إننى موهوب، ذكى، شجاع.. لو
عشت حياة طبيعية لربما أصبحت مثل شوبنهاور أو
دوستويفسكى.. يا إلهى، ماذا أقول! إننى أجن.. أماه
يا للضياع! أماه!

ماريا فاسيليفنا: (بصرامة) اسمع كلام ألكسندر!
سونيا: (تحشو أمام المربية على ركبتيها وتلتصق بها) يا دادة!
يا دادة!

فوينيتسكى: أماه! ماذا أفعل؟ لا داعى، لا تقولى! أنا أعرف ما ينبغى
عمله! (لسيريرياكوف) سوف تذكرنى! (يخرج من
الباب الأوسط)

(ماريا فاسيليفنا تتبعه)

سيريرياكوف: ما هذا كله يا سادة؟ أبعادوا عنى هذا المجنون! لا أستطيع
أن أعمش معه تحت سقف واحد! يعيش هنا (يشير إلى
الباب الأوسط) بجوارى تقريبا.. فلينتقل إلى القرية، أو
إلى الجناح الملحق، أو أنتقل أنا من هنا، لكنى لا أستطيع
أن أبقى معه فى بيت واحد..

يلينا أندرييفنا: (لزوجها) سنرحل من هنا اليوم! أصدر التعليمات الآن
فورا!

سيريرياكوف: هذا التافه!

سونيا: (راكعة على ركبتيها، تلتفت إلى أبيها، تقول بعصبية،
من خلال الدموع) كن رحيمًا يا بابا! أنا وخالى فانيا جد

تعيسين! (تكتم القنوط) كن رحيما! رحيما! تذكر، عندما كنت أصغر سنا، كان خالي فانيا وجدتي يسهران الليالي في ترجمة. الكتب لك ونسخ أوراقك.. طوال الليالي، طوال الليالي! وعملت أنا وخالي فانيا دون أن نذوق طعم الراحة، كنا نخشى أن ننفق على أنفسنا كوبيكا واحدا، ونرسل لك كل النقود.. لم نكن عالة! ليس هذا ما أريد أن أقوله، ليس هذا، ولكن افهمنا يا بابا. كن رحيما!

يلينا أندرييفنا: (مضطربة، لزوجها) ألكسندر، أرجوك، تفاهم معه.. أتوسل إليك.

سيريرياكوف: حسنا، سأفاهم معه.. أنا لا أهتمه بأى شىء لست غاضبا منه، ولكن سلوكه، أقل ما يوصف به أنه غريب. طيب، سأذهب إليه (يخرج من الباب الأوسط)

يلينا أندرييفنا: كن لطيفا معه.. هدئه.. (تنصرف خلفه)

سونيا: (ملتصقة بمربيته) يا دادة! يا دادة!

مارينا: لا بأس يا بنيتى. سيتصايح الوز ثم يهدأ.. سيتصايح ثم يهدأ..

سونيا: يا دادة!

مارينا: (تمسح على رأسها) ترتعشين كأنك فى الصقيع! طيب، طيب يا مسكينة، الله رحيم. قليلا من شاي الزيزفون أو التوت البرى ويتهى هذا.. لا تحزنى يا مسكينة.. (تنظر إلى الباب الأوسط وتقول بغضب) انظر كيف هاجوا، ذكور الأوز، لتخطفكم الأبالسة!

(يسمع خلف المسرح صوت طلقة، ثم صرخة يلينا
أندرييفنا، سونيا تنتفض) عليكم اللعنة!
سيريرياكوف: (يندفع داخلا وهو يترنح من الفزع) أمسكوه! أمسكوه!
لقد جنّ!

(يلينا أندرييفنا وفوينيتسكى يتصارعان في الباب)
يلينا أندرييفنا: (تحاول انتزاع المسدس منه) هاته! قلت لك هاته!
فوينيتسكى: دعيني يا Hélène! دعيني! (يتملص منها فيدخل راكضا
وهو يبحث بعينه عن سيريرياكوف) أين هو؟ آه، ها هو
ذا! (يطلق النار عليه) خذ!
(صمت)

لم أصبه؟ أخطأت ثانية؟! بغضب آه، يا للشيطان،
يا للشيطان..، فليخطفه الشيطان.. (يقذف بالمسدس
على الأرض ويرتمى على المقعد في إعياء)
(سيريرياكوف مذهول. يلينا أندرييفنا تستند على الحائط، تشعر
بدوار)

يلينا أندرييفنا: خذوني من هنا! خذوني، اقتلونى، ولكن.. لا أستطيع
أن أبقى هنا، لا أستطيع!
فوينيتسكى: (في يأس) أوه، ما الذى أفعله! ما الذى أفعله!
سونيا: (بصوت خافت) يا دادة! يا دادة!
(ستار)

الفصل الرابع

(غرفة إيفان بتروفتش. هنا غرفة نومه وكذلك مكتب إدارة الضيعة بجوار النافذة طاولة كبيرة عليها دفاتر حسابات وأوراق مختلفة، طاولة مكتب عالية، خزانات، ميزان. طاولة أصغر لأستروف. على هذا الطاولة معدات رسم وألوان، وبالقرب منها حافظة أوراق. قفص به زرزور. على الجدار خريطة إفريقيا، يبدو لا حاجة لأحد إليها هنا. كنبه ضخمة، منجدة بمشمع. إلى اليسار باب يفضى إلى الغرف الداخلية. إلى اليمين باب يفضى إلى المدخل. بجوار الباب الأيمن فرشت ممسحة أقدام لكى لا يوسخ الفلاحون المكان بأقدامهم. الوقت مساء خريفى. يسود السكون. تيليجين ومارينا يجلسان متقابلين ويلفان خيوط الصوف)

تيليجين: أسرعى يا مارينا تيموفيفنا وإلا سينادونا الآن للتوديع.
أمروا بإحضار العربية.

مارينا: (تحاول اللف أسرع) بقى القليل.

تيليجين: يسافرون على خاركوف. سيعيشون هناك.

مارينا: هذا أفضل.

تيليجين: ذعروا.. يلينا أندرييفنا تقول: «لا أريد البقاء هنا ساعة واحدة.. فلنرحل، فلنرحل..» تقول: «فلنعش في خاركوف، وبعد أن نستقر، نرسل في طلب المتاع..» يسافرون بلا متاع. وإذن يا مارينا تيموفيفنا فليس مقدرا لهم أن يعيشوا هنا. ليس مقدرا.. قضاء وقدر.

مارينا: هذا أفضل؟ ظهرًا أثاروا ضجة، وأطلقوا النار، يا للعار!

تيليجين: نعم، موضوع جدير بريشة آيفازوفسكى^(١).

مارينا: ليت عيناى لم تريا.

(صمت)

سنعيش كما كنا نعيش من قبل. الشاى صباحا فى الثامنة، الغداء فى الواحدة، وفى المساء نجلس إلى العشاء. كل شىء بنظامه، مثل بقية البشر.. كما لدى المسيحيين (تتنهد) أستغفر الله، لم أذق الشعرية منذ زمن طويل.

تيليجين: نعم، من زمان لم نطبخ شعرية.

(صمت)

من زمان.. صباح اليوم يا مارينا تيموفيفنا، كنت مارا بالقرية، وإذا بالبقال يصيح بى: «إيه، أنت أيها العالة!» أوه، كم أحسست بالمرارة!

(١) إيفان آيفازوفسكى (١٨١٧-١٩٠٠) مصور روسى اشتهر برسم مناظر البحر والمعارك البحرية. المغرب.

مارينا: لا تهتم يا أخى. كلنا عالة على الرب. أنت، وسونيا، وإيفان بتروفتش، كلنا نعمل، لا أحد فينا يجلس بلا عمل... كلنا.. أين سونيا؟

تيليجين: فى البستان. طوال الوقت تتمشى مع الدكتور، تبحث عن إيفان بتروفتش. يخافان أن ينتحر.

مارينا: وأين مسدسه؟

تيليجين: (همسا) أنا خبأته فى القبو!

مارينا: (بسخرية) يا للذنوب!

(يدخل فوينيتسكى وأستروف قادمين من الفناء)

فوينيتسكى: دعنى. (لمارينا وتيليجين) اخرجوا من هنا، اتركاني وحدى ولو ساعة! أنا لا أطيق الحماية.

تيليجين: حالا، يا فانيا. (يخرج على أطراف أصابعه)

مارينا: ذكر وز: قا.. قا.. قا! (تجمع الصوف وتخرج)

فوينيتسكى: دعنى!

أستروف: بكل سرور، على أن أرحل عن هنا من زمان، ولكنى، أكرر، لن أرحل ما لم تعدلى ما أخذته منى.

فوينيتسكى: أنا لم آخذ منك شيئا.

أستروف: أحدثك بجدية، لا تعطلنى، على أن أرحل من فترة طويلة.

فوينيتسكى: أنا لم آخذ منك شيئا.

(يجلسان)

أسـتـروف: حقا؟ حسنا، سأنتظر قليلا، ثم سأضطر، مع الأسف،
إلى استخدام القوة. سنوثقك ونفتشك. أقول لك ذلك
بمنتهى الجدية.

فوينيتسكى: كما تشاء

(صمت)

يا لها من حماقة.. أطلقت النار مرتين فلم أصبه ولو مرة!
لن أغفر هذا لنفسى أبدا!

أسـتـروف: طالما رغبت فى إطلاق النار، كان الأولى أن تطلقه على
رأسك أنت.

فوينيتسكى: (يهز كتفيه) غريبة. شرعت فى القتل، ولكنهم لا يقبضون
علىّ، ولا يتدموننى للمحاكمة. إذن يعتبروننى مجنونا.
(يضحك ضحكا مغيظا) أنا المجنون، وليس أولئك
الذين يخفون تحت قشرة الأستاذ والعالم العلامة تفاهتهم
وبلاذتهم، وقسوة قلوبهم الخارقة. ليس المجانين أولئك
اللائى يتزوجن العجائز ثم يخدعنهم علانية. لقد رأيت،
رأيتك وأنت تعانقها!

أسـتـروف: نعم، عانقتها، أما أنت فمت بغيثك! (يخرج له لسانه)
فوينيتسكى: (ناظرا إلى الباب) كلا، المجنونة هى الأرض، التى
ما زالت تحملكم!

أسـتـروف: هذه حماقة.

فوينيتسكى: فليكن، أنا مجنون، معتوه، من حقى أن أنفوه بحماقات.

أستروف: لعبة قديمة. أنت لست مجنوناً، بل مجرد شخص غريب الأطوار. مهرج أخرج. من قبل كنت أعتبر كل شخص غريب الأطوار شخصاً مريضاً، غير طبيعي، أما الآن فأعتبر أن الحالة الطبيعية للإنسان أن يكون غريب الأطوار. أنت طبيعي تماماً.

فوينيتسكى: (يغطي وجهه بيديه) يا للخجل! يا للعار! لو تدرى كم أشعر بالخزي! هذا الإحساس الحاد بالخزي لا يمكن أن يقارن بأى ألم (بأسى) هذا فظيع! (ينحنى على الطاولة) ما العمل؟ ما العمل؟

أستروف: لا شيء

فوينيتسكى: أعطني أى شيء! أوه يا إلهي.. أنا فى السابعة والأربعين. لو افترضنا أننى سأعيش إلى الستين، إذن يبقى لى ثلاثة عشر عاماً. مدة طويلة! كيف سأعيش هذه الأعوام الثلاثة عشر؟ ماذا سأفعل؟ بِمَ املؤها؟ أوه، أتدرى.. (يعصر يد أستروف بتوتر) أتدرى، لو أمكن أن أعيش بقية حياتى بطريقة جديدة. أن تستيقظ ذات صباح صحو هادئ فتشعر أنك بدأت تعيش بطريقة جديدة، وكل الماضى قد نسى، تبدد كالدخان. (يكي) أن أبدأ حياة جديدة.. قل لى، كيف أبدأ.. مم أبدأ..؟

أستروف: (بأسى) إيه، تبا لك! عن أية حياة جديدة تتحدث! حالتنا، حالتك وحالتى، ميثوس منها.

فوينيتسكى: حقا؟

أستروف: أنا واثق من ذلك.

فوينيتسكى: أعطنى شيئاً ما.. (يشير إلى قلبه) هنا يحرقنى.

أستروف: (بصرخ بغضب) كفى! أولئك الذين سيأتون

بعدنا بمائة أو مائتى عام سوف يحرقوننا، لأننا عشنا

حياتنا بهذه الصورة الحمقاء، بهذه الفجاجة. وربما وجد

هؤلاء القادمون وسيلة لجعل الإنسان سعيداً، أما نحن..

ليس لديك أو لدى شىء سوى الأمل. الأمل بأن تزورنا

الرؤى عندما نهجع فى التابوت، بل وربما الرؤى السارة.

(متنهدا) نعم يا أخى. فى الناحية كلها لم يكن هناك سوى

شخصين محترمين مثقفين: أنا وأنت. ولكن خلال عشر

سنوات فقط أغرقتنا الحياة الضيقة الأفق، الحياة المزرية

فى أوحالها. سممت دماءنا بأبخرتها العفنة، فأصبحنا

مبتذلين مثل الآخرين. (بحيوية) ولكن دعك من محاولة

سرف نظرى. هات ما أخذته منى.

فوينيتسكى: لم آخذ منك شيئاً.

أستروف: بل أخذت من صيدلىتى المحمولة علبة مورفين.

(صمت)

اسمع، إذا كنت تريد حتماً أن تتحرر فاذهب إلى الغابة،

وأطلق على نفسك النار هناك. أما المورفين فهاته، وإلا

فستتشر الأقاويل والتلميحات، وقد يظن أحد أننى أنا

الذى أعطيته لك.. يكفينى أننى سأضطر إلى تشريح

جثتك.. أنظن ذلك ممتعاً؟

(تدخل سونيا)

فوينيتسكى: دعنى وشأنى.

أستروف: (لسونيا) صوفيا ألكسندروفنا، خالك أخذ من صيدلىتى
علبة مورفين ولا يريد إرجاعها. قولى له إن هذا.. ليس
من الحكمة عموما. ثم إنه لا وقت لدى. حان أن
أرحل.

سونيا: يا خالى فانيا، هل أخذت المورفين؟
(صمت)

أستروف: لقد أخذه. أنا واثق من ذلك.
سونيا: هاته. لماذا تخيفنا؟ (برقة) هات يا خالى فانيا! ربما كنت
أنا أتعس منك، لكننى لا أياس. إننى أصبر، وسوف
أصبر إلى أن تنتهى حياتى نهايتها الطبيعية.. فاصبر أنت
أيضا.

(صمت)

هاته! تقبل (يديه) يا خالى الحبيب، أيها الغالى، أيها العزيز،
هاته! (تبكى) أنت طيب، ستشفق علينا وستعطيه لنا.
اصبر يا خالى، اصبر!

فوينيتسكى: (يخرج العلبة من درج المكتب ويعطيها لأستروف) ها
هو، خذه! (لسونيا) ولكن ينبغى أن أعمل بسرعة،
أن أعمل شيئا ما بسرعة، وإلا فإننى لا أستطيع.. لا
أستطيع..

سونيا: نعم، نعم، سنعمل. ما إن نودعهم حتى نجلس لنعمل..
(تقلب الأوراق على المكتب بعصبية) أعمالنا أهملت
تماما.

أستروف: (يضع العلبة في الصيدلية ويربط الأحزمة) الآن يمكنني
أن أرحل.

يلينا أندرييفنا: (تدخل) إيفان بتروفتش، أنت هنا؟ سرحل الآن.
اذهب إلى ألكسندر، يريد أن يقول لك شيئا.

سونيا: اذهب، اذهب يا خالي فانيا. (تأبط ذراعه) هيا بنا. أنت
وبابا ينبغي أن تتصالحا. هذا ضرورى.

(تنصرف سونيا وفونيتسكى)

يلينا أندرييفنا: إننى راحلة (تمسك يدها لأستروف) وداعا.

أستروف: هكذا سريعا؟

يلينا أندرييفنا: العربى جاهزة.

أستروف: وداعا.

يلينا أندرييفنا: لقد وعدتنى اليوم أنك سترحل عن هنا.

أستروف: إننى أذكر سأرحل حالا.

(صمت)

فزعت؟ (يمسك بيدها) هل هذا مخيف هكذا؟

يلينا أندرييفنا: نعم.

أستروف: هلا بقيت، هه؟ غدا فى الغابة..

يلينا أندرييفنا: كلا.. انتهى الأمر.. إنها أنظر إليك بهذه المرأة لأن السفر

قد تقرر.. كل ما أرجوه منك شيء واحد: لتكن فكرتك
عني أفضل. أود أن تحترمني.

أستروف: إيه! (إشارة ضيق) ابقى هنا أرجوك. فلتعترف بأنه ليس
لديك ما تفعلينه في هذه الدنيا، ليس لديك أى هدف في
الحياة، ولن تجدى ما تشغلين به اهتمامك، وعاجلاً أم
آجلاً ستستسلمين للأحاسيس، هذا محتم. وإذن فمن
الأفضل ألا يكون ذلك في خاركوف، أو كورسك، بل
هنا، في أحضان الطبيعة.. جو شاعري على الأقل، حتى
الخريف جميل.. هنا يوجد غابة، ودور نصف مهدمة،
على ذوق تورجينيف..

يلينا اندرييفنا: كم أنت مضحك.. إنني غاضبة منك، ومع ذلك..
سوف أتذكرك بكل سرور. أنت إنسان طريف، فريد.
لن نلتقى بعد الآن أبداً، ولذلك فما الداعي لأن أخبئ؟
إنني قد همت بك قليلاً. حسناً، فلتتصافح ولنفترق
كأصدقاء. لا تذكرني بسوء.

أستروف: (بعد أن صافحها) نعم، فلتسافري.. (متفكراً) تبدين
إنساناً طيباً، عطوفاً، ومع ذلك يبدو وكأن هناك شيئاً
غريباً في جوهرك. ها أنت قد جئت إلى هنا مع زوجك،
فكان على كل من يعمل هنا، كل من ينقب، ويخلق شيئاً
ما، أن يهجروا أعمالهم ويشغلوا أنفسهم طوال الصيف
فقط بنقرس زوجك وبك. كلاهما - هو وأنت - نقلتما

إلينا جميعا عدوى فراغكما. أنا همت بك، ولم أفعل شيئا طوال شهر، وفي تلك الأثناء مرض الناس، وفي غاباتي ومشاتلى رعى الفلاحون مواشيهم.. وهكذا، فحيثما حللتها، أنت وزوجك، تحملان معكما الدمار.. إننى أمزح بالطبع، ولكن.. غريبة، إننى على يقين من أنك لو بقيت، فسيحل خراب هائل. ولهلكت أنا، وأنت أيضا.. ما كنت لتتجنبى البلاء. حسنا، سافرى

(^١) Finita la comedia!.

يلينا أندرييفنا: (تأخذ قلما من على مكتبه وتخفيه بسرعة) هذا القلم سأخذه للذكرى.

أسـتـروف: شىء غريب.. كنا معارف وفجأة، لسبب ما.. لن نلتقى بعد الآن أبدا.. هكذا حال الدنيا.. طالما نحن هنا وحدنا، وطالما لم يدخل الخال فانيا بعد بياقة أزهار اسمحى لى.. أن أقبلك.. قبله الوداع.. حسنا؟ (يقبلها فى خدها) طيب.. هذا عظيم.

يلينا أندرييفنا: أرجو لك كل خير. (تتلقت) ليكن ما يكون، مرة فى العمر! (تعانقة باندفاع، وعلى الفور يبتعد كل منهما عن الآخر بسرعة) ينبغى أن أرحل.

أسـتـروف: ارحلى بسرعة. إذا كانت العربى جاهزة فلترحلى.

يلينا أندرييفنا: يبدو أحدهم قادم

(١) انتهت التمثيلية (بالإيطالية).

(كلاهما يصيخان)

أستروف: Finita

(يدخل سيريرياكوف، وفوينيتسكى، وماريا فاسيليفنا ومعها كتاب، وتيليجين وسونيا)

سيريرياكوف: (لفوينيتسكى) فلتنزل اللعنة على رأس من يتذكر الماضي. بعد كل ما حدث، وفي هذه الساعات القليلة عانيت الكثير، وقلبت في رأسى الكثير، حتى ليخيل إلى أننى أستطيع كتابة بحث كامل كوصية للأحفاد عن كيف ينبغي أن نحيا. إننى أقبل اعتذارك بكل سرور، ومن جهتى أيضا أرجو المذرة. وداعا! (يتبادل القبل مع فوينيتسكى ثلاث مرات)

فوينيتسكى: سوف تحصل بانتظام على ما كنت تحصل عليه سابقا. كل شئ سيكون كما كان.

(يلينا أندرييفنا تعانق سونيا)

سيريرياكوف: (يقبل يد ماريا فاسيليفنا). maman...

ماريا فاسيليفنا: (تقبله) ألكسندر، تصور ثانية وأرسل لى صورتك. أنت تعلم كم أعزك.

تيليجين: الوداع يا صاحب المعالى! لا تنسونا!

سيريرياكوف: (بعد أن يقبل ابنته) الوداع.. الوداع جميعا! (يمد يده لأستروف) أشكركم على صحبتكم اللطيفة.. إننى أحترم طريقة تفكيرك، واهتماماتك، وطموحاتك، ولكن

اسمح لى كعجوز أن أضمن تحية الوداع ملحوظة واحدة
فقط: ينبغى القيام بعمل يا سادة! ينبغى القيام بعمل!
(انحناءة للجميع) تمنياتى بالتوفيق! (ينصرف، تتبعه
ماريا فاسيليفنا وسونيا)

فوينيتسكى: (يقبل يد يلينا أندرييفنا بقوة) الوداع.. ساحينى.. لن
نرى بعضنا أبدا.

يلينا أندرييفنا: (بتأثر) الوداع يا عزيزى (تقبله فى رأسه وتنصرف)
أستروف: (لتيليجين) قل لهم يا وفل بأن يحضروا لى العربة أنا
أيضا.

تيليجين: حاضر يا صديقى. (ينصرف)
(يبقى أستروف وفوينيتسكى فقط)

أستروف: (يجمع الألوان من على المكتب ويودعها الحقيبة) ماذا،
ألن تخرج لوداعهم؟

فوينيتسكى: فليرحلوا، أما أنا.. أنا لا أستطيع، صعب على. ينبغى
أن أشغل نفسى بشيء ما بسرعة.. أن أعمل، أن أعمل!
(يفتش فى الأوراق التى على الطاولة)

(صمت. تسمع أجراس)

أستروف: رحلوا. لا بد أن الأستاذ سعيد لن تغريه أبدا بالمجىء
إلى هنا مرة ثانية.

مارينا: (تدخل) رحلوا. (تجلس فى المقعد وتحوك الجورب)

سونيا: (تدخل) رحلوا. (تمسح عينيها) وفقهما الله. (لخالها)
حسنا يا خالي فانيا، هيا نعمل شيئا ما.

فوينيتسكى: إلى العمل، إلى العمل..

سونيا: من زمان، من زمان لم نجلس معا إلى هذه الطاولة (تشعل
المصباح على الطاولة) يبدو لا يوجد حبر.. (تأخذ المحبرة
وتذهب إلى الصوان فتملأها حبرا) أشعر بالحزن لأنهم
رحلوا.

ماريا فاسيليفنا: (تدخل ببطء) رحلوا! (تجلس وتنهمك في القراءة)

سونيا: (تجلس إلى المكتب وتقلب دفتر الحسابات) سنسجل
يا خالي فانيا قبل كل شيء كشوف الحسابات. أمورنا
مهملة جدا. اليوم أرسلوا ثانية يطلبون كشوف
الحسابات. اكتب. اكتب أنت كشفا، وسأكتب أنا
آخر..

فوينيتسكى: (يكتب) «كشف حساب.. للسيد..»

(كلاهما يكتبان في صمت)

مارينا: (تتشاءب) أنا نعسانة..

أستروف: يا للهدوء. الرياش تصر، صرّار الليل يئز. الجو دافئ،
مريح، لا أرغب في الرحيل عن هنا.

(تسمع أجراس الخيول)

هاهم قد أحضروا العربّة.. إذن لم يبق إلا أن أودعكم
يا أصدقائي، أودع مكتبي، ثم أنطلق! (يضع الخرائط
في الحافظة)

مارينا: وما الداعي للعجلة؟ ابق معنا.

أستروف: لا يمكن.

فوينيتسكى: (يكتب) «وبقى من الدين القديم روبلان وخمسة

وسبعون..»

(يدخل العامل)

العامل: ميخائيل لفوفتش، العربة جاهزة.

أستروف: سمعت. (يسلمه الصيدلية والحقيبة والحافظة) خذ هذا.

إياك أن تنسى الحافظة.

العامل: حاضر.

أستروف: حسنا.. (يتجه إليهم للتوديع)

سونيا: متى سنراك؟

أستروف: ليس قبل الصيف، فيما أعتقد. في الشتاء لا أظن.. بالطبع

لو حدث شيء أخبروني وسأتي (يشد على يديها)

أشكركم على الخبز، والملح، والعطف.. باختصار، على

كل شيء. (يتجه إلى المربية ويقبل رأسها)

وداعا يا عجوزى.

مارينا: أهكذا تسافر دون شاي؟

أستروف: لا أريد يا دادة.

مارينا: ربما تشرب فودكا؟

أستروف: (مترددا) يمكن..

(مارينا تنصرف)

(بعد صمت) حصانى بدأ يعرج لسبب ما. بالأمس

لاحظت ذلك عندما ساقه بتروشكا ليسقيه.

فوينيتسكى: ينبغي تغيير الحدودات.

أستروف: سأضطر أن أعرج على الحداد فى قرية روجد يستفينويه.

لا مفر. (يقترّب من خريطة إفريقيا ويتأملها) لا بد أن

الحر الآن شديد فى إفريقيا هذه، شىء فظيع!

فوينيتسكى: نعم، فى الغالب.

مارينا: (تعود حاملة صينية عليها قذح فودكا وقطعة خبز)

تفضل.

(أستروف يشرب الفودكا)

بالصحة يا ولدى. (تنحنى بشدة) ألا تمز بالخبز؟

أستروف: كلا، لا أريد.. ثم حظا سعيدا! (لمارينا) لا توصلىنى

يا دادة، لا داعى.

(ينصرف. سونيا تتبعه حاملة شمعة لتوصله، مارينا تجلس فى

مقعدها)

فوينيتسكى: (يكتب) «الثانى من فبراير، زيت نباتى عشرون رطلا..»

السادس عشر من فبراير، زيت نباتى مرة أخرى عشرون

رطلا.. شعير..»

(صمت. تسمع أجراس العربّة)

مارينا: رحل.

(صمت)

سونيا: (تعود، تضع الشمعة على الطاولة) رحل..

فوينيتسكى: (يحسب على العداد ويسجل) الجملة.. خمسة عشر..

خمسة وعشرون..

(سونيا تجلس وتكتب)

مارينا: (تتأهب) آه، استغفر الله..

(تيليجين يدخل على أطراف أصابعه، يجلس قرب الباب ويضبط الجيتار

بصوت خافت)

فوينيتسكى: (لسونيا وهو يمسد شعرها) كم أعانى يا بنيتى! آه لو

تدريين كم أعانى!

سونيا: ما العمل، علينا أن نعيش!

(صمت)

سوف نعيش يا خالى فانيا. سنعيش عددا عديدا من الأيام

والأمسيات الطويلة. وستحمل بصبر تلك المحن التى

ستبلونا بها الأقدار. سوف نكدح للآخرين الآن، وفى

شيخوختنا، دون أن نذوق طعم الراحة، وعندما يدنو

أجلنا سنموت مذعنين، وهناك، خلف التابوت، سنقول

إننا عانينا، إننا بكينا، إننا قاسينا المرارة، وسيشفق الله

علينا، وسرى يا خالى، يا خالى العزيز، حياة مشرقة،

رائعة، جميلة، وسنفرح، وننظر إلى بؤسنا الحالى بتأثر

وابتسامة، ونرتاح. إننى أومن يا خالى، أومن بحرارة

وقوة.. (تجثو أمامه على ركبتيها وتضع رأسها على يديه.

تقول بصوت مرهق) سنرتاح!

(تيليجين يعزف على الجيتار بصوت خافت)

سنرتاح! سنسمع ترانيم الملائكة، وسنرى السماء.
مرصعة بالماس، سنرى كيف تغرق كل شرور الدنيا، كل
آلامنا في بحر الرحمة، الذى سيغمر العالم كله، وستصبح
حياتنا هادئة، رقيقة، عذبة كالحنان. أنا أومن، أو من..
(تمسح له دموعه بالمنديل) يا خالى فانيا المسكين، أنت
تبكى.. (من خلال الدموع) أنت لم تعرف الفرح فى
حياتك، لكن مهلا، مهلا يا خالى فانيا.. سوف نرتاح
(تعانقه) سنرتاح!

(الحارس يدق)

(تيليجين يدندن بصوت خافت: ماريا فاسيليفنا تدون
ملاحظاتهما على هامش الكتيب، مارينا تحوك الجورب)
سوف نرتاح!

(الستار يهبط ببطء)

الشقيقات الثلاث دراما فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

بروزوروف أندريه سرجيفيتش	
نتاليا إيفانوفنا	خطيبته، ثم زوجته فيما بعد
أولجا	
ماشيا	شقيقاته
إيرينا	
كوليجين فيودور إيليتش	مدرس ثانوى، زوج ماشيا
فيرشنين ألكسندر	مقدم، قائد بطارية مدفعية
توزنباخ نيقولاى لفوفيتش	بارون، ملازم أول
سوليونى فاسيلى فاسيليفيتش	نقيب
تشيوبتيكين إيفان رومانوفيتش	طبيب عسكري
فيدوتيك ألكسى بتروفيتش	ملازم
رودى فلاديمير كارلوفيتش	ملازم
فيرابونت	حارس من إدارة مجلس الإقليم، عجوز
أنفيسا	مربية، عجوز فى الثمانين
- تدور الأحداث فى عاصمة إحدى المحافظات	

الفصل الأول

(في منزل آل بروزوروف غرفة جلوس بأعمدة، يرى خلفها صالة كبيرة. الوقت ظهر. الجو مشمس، مرح. في الصالة يعدون مائدة الإفطار. أوجا في فستان كحلي، الزى الرسمي لمدرسات المدارس الثانوية للبنات، طوال الوقت تصحح دفاتر التلميذات وهي واقفة وأثناء السير. ماشا في فستان أسود، جالسة تقرأ كتابا والقبعة على ركبتيها. إيرينا في فستان أبيض، تقف مستغرقة في التفكير)

أولجا: بابا مات منذ عام بالضبط في هذا اليوم، الخامس من مايو، في عيد شفيحتك يا إيرينا. كان الجو شديد البرودة، والثلج يسقط. بدالى أننى لن أحتمل، وأنت كنت راقدة، مغمى عليك، كالميتة. وها قد مر عام، وإذا نحن نتذكر ذلك بلا مشقة، وأنت في ثوب أبيض ووجهك متهلل. (الساعة تدق الثانية عشرة) وأنداك دقت الساعة مثلما الآن.

(صمت)

أذكر عندما حملوا بابا عزفت الموسيقى، وأطلقت النار
عندالمقابر. كان جنرالاً، قائد لواء، ومع ذلك كان عدد
المشييعين قليلاً. عموماً كانت الدنيا تمطر ساعتها، مطر
شديد، وثلج.

إيرينا: ما الداعي للتذكر!

(خلف الأعمدة، في الصلاة، بجوار المائدة، يظهر البارون توزنباخ
وتشيوتيكين وسوليوني)

أولجا: اليوم دافئ، يمكن إبقاء النوافذ مفتوحة، لكن البتولا لم
تزهري. بابا تولى قيادة اللواء وسافر بنا من موسكو منذ
إحدى عشرة سنة، وأنا أذكر جيداً، في أوائل مايو، في
مثل هذا الوقت، كان كل شيء في موسكو مزهراً، تغمره
الشمس، والدفء منتشر. مرت إحدى عشرة سنة
وما زلت أذكر كل شيء هناك، كأنما رحلنا أمس.
يا إلهي! استيقظت اليوم ورأيت الربيع، فتحركت الفرحة
في قلبي، وثقت بشدة للعودة إلى مسقط رأسي.

تشيوتيكين: لن يكون!

توزنباخ: بالطبع هراء.

(ماشاً مستغرقة في التفكير مع الكتاب تصفر لحن أغنية)

أولجا: لا تصفري يا ماشا. كيف يمكن!

(صمت)

لأنني أذهب إلى المدرسة كل يوم، ثم أعطى دروساً حتى

المساء لا يفارقنى الصداق، وتتأبى أفكار، كأنها هرمت
حقا. وبالفعل، فخلال هذه السنوات الأربع، منذ أن
عملت فى المدرسة وأنا أحس كيف تتسرب منى القوة
والشباب كل يوم قطرة قطرة. ولا ينمو ويتعزز إلا أمل
واحد..

إيرينا: الرحيل إلى موسكو. بيع البيت والخلاص من كل شىء
هنا، ثم إلى موسكو..

أولجا: نعم إلى موسكو وبسرعة
(تشيبيوتكين وتوزنباخ يضحكان)

إيرينا: أخونا سيصبح أستاذًا فى الغالب، ولن يبقى هنا على أى
حال. فقط ماشا المسكينة لديها ما يمنعها.

أولجا: ماشا سوف تأتى إلى موسكو كل سنة لقضاء الصيف.
(ماشا تصفر لحن الأغنية بصوت خافت)

إيرينا: إن شاء الله تسوى الأمور. (تنظر من النافذة) الجو جميل
اليوم. لا أدري لماذا أشعر بهذه البهجة! تذكرت فى
الصباح أن اليوم عيد شفيعتى فأحسست فجأة بالفرحة
وتذكرت الطفولة، عندما كانت ماما لا تزال حية. يا لها
من أفكار ساحرة هزتنى، يا لها من أفكار!

أولجا: أنت اليوم تتهللين، تبدين جميلة بشكل خارق. وماشا
أيضا جميلة. أندريه كان يمكن أن يكون جميلا لو لم يسمن
كثيرا، وهذا لا يناسبه. أما أنا فهزمت، ونحفت كثيرا،

ربما لأننى أغضب فى المدرسة من البنات. ها أنذا اليوم فى
إجازة، فى البيت، فلا أشعر بالصداع، وأحس أننى أصغر
مما كنت بالأمس. عمرى ثمان وعشرون سنة، لكن..
كل شىء حسن؛ من عند الله، لكن يبدو لى أننى لو كنت
متزوجة، أجلس فى البيت طول النهار، لكان أفضل.
(صمت)

ولأحببت زوجى.

توزنباخ: (لسوليونى) أى هراء تقول، مللت سماعك. (يدخل
غرفة الجلوس) نسيت أن أقول. سيزورك اليوم قائد
بطارتنا الجديد فيرشينين. (يجلس إلى البيانو)

أولجا: حسنا! سعيدة جدا.

إيرينا: أهو عجوز؟

توزنباخ: كلا، معقول. أقصى حد: أربعون، خمسة وأربعون.
(يعزف بصوت خافت) يبدو أنه فتى طيب. ليس غيبا..
هذا لا شك فيه. فقط كثير الكلام.

إيرينا: أهو طريف؟

توزنباخ: نعم، لا بأس به، فقط عنده زوجة وحماة وبتتان. كما أنه
متزوج للمرة الثانية. يقوم بالزيارات، وفى كل مكان
يقول إن عنده زوجة وبتتين. وهنا سيقول. زوجته على
ما يبدو شبه معتوهة، بصفيرة عذارى طويلة، لا تنفوه إلا
بأشياء متحذقة، تتفلسف، وكثيرا ما تحاول الانتحار،
ربما نكاية فى زوجها. لو كنت مكانه لهجرت زوجة
كهذه، ولكنه يحتملها، ويشكو فقط.

سوليوني: (داخلا من الصالة إلى غرفة الجلوس مع تشيويتيكين)
بيد واحدة أرفع بودا ونصف فقط، وبالاثنين خمسة
بودات، بل وستة. ومن هذا أستنتج أن شخصين هما
أقوى من شخص واحد ليس مرتين بل ثلاث، وحتى
أكثر.

تشيويتيكين: (يقرأ صحيفة أثناء سيره) في حالة سقوط الشعر.. درهمان
نفتالين على نصف زجاجة كحول.. يذوب ويستعمل
يوميا.. (يسجل في مفكرة) لنسجل! (لسوليوني) هكذا
كما قلت لك، تحشر السدادة في الزجاجة، ويمر عبرها
أنبوب زجاجي.. ثم تأخذ قبضة من أبسط أنواع الشبة،
العادية جدا..

إيرينا: إيفان رومانيتش، إيفان رومانيتش العزيز!

تشيويتيكين: نعم يا بنيتي، نعم يا حلوتي؟

إيرينا: خبرني لم أنا سعيدة هكذا اليوم؟ كأنها تحملني أشرعة،
وفوق رأسى سماء واسعة زرقاء وتحلق طيور كبيرة
بيضاء. لم هذا؟ لم؟

تشيويتيكين: (يقبل كلتا يديها، برقة) أنت طيري الأبيض..

إيرينا: عندما استيقظت اليوم، ثم نهضت واغتسلت، فجأة
أصبح يخيل إليّ، أن كل شيء واضح لي في هذا العالم،
وأنتى أعرف كيف ينبغي أن أعيش. يا إيفان رومانيتش
العزيز، أنا أعرف كل شيء. على الإنسان أن يعمل، أن

يكدح حتى العرق، أيا كان. وفي هذا وحده ينحصر معنى حياته وغايتها، سعادته وأفراحه. ما أجمل أن تكون عاملا، يستيقظ في الفجر ويكسر الأحجار في الشارع، أو راعيا، أو معلما يعلم الأطفال، أو سائق قطار.. يا إلهي، ليس إنسانا فحسب، بل الأفضل أن تصبح بغلا، أو مجرد حصان بشرط أن تعمل، من أن تكون امرأة شابة تستيقظ في الثانية عشرة، ثم تشرب القهوة في السرير، ثم ترتدى ثيابها ساعتين.. أوه، ما أفضح ذلك! أتحرق إلى العمل كما يتحرق المرء في يوم قائف إلى الماء. إذا لم أستيقظ مبكرا وأكدح، فلتتخل عن صداقتك لي يا إيفان رومانيتش.

تشيوتيكين: (برقة) سأتحلى، سأتحلى..

أولجا: بابا عودنا على الاستيقاظ في الساعة السابعة. والآن تستيقظ إيرينا في السابعة، وتستلقي في الفراش للتاسعة على الأقل، وهي تفكر في شيء ما. ووجهها جدى! (تضحك)

إيرينا: تعودت على رؤيتي فتاة صغيرة، ولذلك تستغرين عندما يكون وجهي جادا. أنا في العشرين!

توزنباخ: الحنين إلى العمل، أوه، يا إلهي، كم هو مفهوم لدى! أنا لم أعمل مرة في حياتي. ولدت في بطرسبرج، الباردة والفارغة، في أسرة لم تعرف العمل أبدا ولا أية هموم. أذكر عندما كنت أحضر إلى البيت من الفيلق، كان الخادم ينزع عني حذائي، وأنا أتدلل ساعتها، بينما تنظر أُمي إلىَّ بإجلال، وتدهش عندما ينظر إلىَّ الآخرون

بطريقة مغايرة. كانوا يصونوننى من العمل، لكن غالبا لم يتمكنوا من ذلك، غالبا! جاء وقت الشدة. شىء ضخم يزحف علينا جميعا، تتجمع عاصفة عفية شديدة، وهى تسير، وقد اقتربت منا، وعمّا قريب ستنفذ عن مجتمعنا الكسل، واللامبالاة، والتحيز ضد العمل، والملل العفن. أنا سوف أعمل، وبعد ما لا يزيد عن ٢٥-٣٠ سنة سيعمل كل إنسان. كل إنسان!

تشيوتيكين: أنا لن أعمل.

توزنباخ: أنت لست محسوبا.

سوليونى: بعد حوالى خمس وعشرين سنة لن تكون على قيد الحياة، والحمد لله. فبعد سنتين أو ثلاث ستموت بالسكتة، أو أفقد أعصابى فأضع رصاصة فى جبينك، يا ملاكى، (يخرج من جيبه قارورة عطر ويعطر صدره ويديه)

تشيوتيكين: (يضحك) حقا أنا لم أقم بأى عمل أبدا. منذ أن تخرجت من الجامعة لم أحرك ساكنا، حتى لم أقرأ كتابا واحدا، كنت أقرأ الصحف فقط.. (يخرج من جيبه جريدة أخرى) مثلا.. أعرف من الصحف أنه كان يوجد دوبرولوبوف مثلا، ولكن ماذا كتب، لا أدري^(١).. الله أعلم..

(تسمع دقات فى الأرضية من الطابق الأسفل)

(١) نيقولاى دوبرولوبوف (١٨٣٦ - ١٨٦١) أديب وناقد ومفكر من أقطاب الديمقراطيين الثوريين الروس. المغرب.

هكذا.. إنهم ينادوننى فى الأسفل، جاء إلى شخص ما.
سأتى حالا.. انتظرونى.. (ينصرف بعجلة وهو يمشط
لحيته)

إيرينا: لقد رتب هذا.

توزنباخ: نعم. خرج فى هيئة احتفالية، يبدو سيحضر لك هدية
الآن.

إيرينا: يا له من شىء مزعج!

أولجا: نعم، فظيع، دائما يرتكب الحماقات.

ماشاشا: بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، قد ثبتت فى جذعها
سلسلة من ذهب..^(١) (تنهض وهى تدندن).

أولجا: أنت اليوم مكتئبة يا ماشا

(ماشاشا ترتدى القبعة وهى تدندن)

إلى أين؟

ماشاشا: إلى البيت.

إيرينا: غريبة..

توزنباخ: تتركين الحفل!

ماشاشا: سيان.. سأتى فى المساء. وداعا يا عزيزتى.. (تقبل إيرينا)

تمنايتى لك مرة أخرى، بالصحة، بالسعادة. فى السابق
عندما كان بابا على قيد الحياة كان يأتينا دائما فى عيد
الشفيع ثلاثون أو أربعون ضابطا، ويعلو الصخب، أما

(١) مطلع قصيدة بوشكين «روسلان ولودميلا». المعرب.

اليوم فيحضر شخص ونصف، ويعم السكون كما في الصحراء.. سأذهب.. أنا اليوم معتلة المزاج، مكتئبة، فلا تنصتى إليّ. (تضحك من خلال الدموع) ستحدث فيما بعد، أما الآن فوداعا يا عزيزتي، سأذهب إلى مكان ما.

إيرينا: (باستياء) يا لك من..

أولجا: (باكية) أنا أفهمك يا ماشا.

سوليوني: إذا تفلسف رجل فذلك فلسفة، أو يعنى سفسطة، ولكن إذا تفلسفت امرأة، بل امرأتان فذلك يعنى: شذنى من إصبعى.

ماشاشا: ماذا تريد بذلك أن تقول أيها الرجل الرهيب جدا؟

سوليوني: لا شيء. من قبل أن يفتح فاه دهشة، هاجمه الدب ونهشه^(١)

(صمت)

ماشاشا: (لأولجا بغضب) كفى عن النواح!

(تدخل أنفيسا وفيرابونت حاملا تورتة)

أنفيسا: تعال هنا يا أبتاه، ادخل، قدماك نظيفتان. (لإيرينا) من مجلس الإقليم، من بروتوبوبوف، ميخائيل إيفانيتش.. كعكة.

إيرينا: شكرا. اشكركه. (تتناول التورتة).

(١) من أمثلة (الفلاح والدب) للأديب إيفان كريلوف (١٧٦٩ - ١٨٤٤) الذى اشتهر بالقصص الشعرية عن الحيوانات والطيور التى ضمنها نقدا للأوضاع القائمة وعبرا ومواعظ. المغرب.

فیرابونت: هه؟

ایرینا: (بصوت اعلی) اشکریه!

اولجا: یا دادا، أعطیه قطعه کعک. فیرابونت، اذهب، سيعطونک کعکا هناك.

فیرابونت: هه؟

أنفيسا: هيا يا فیرابونت سبیریدونیتش.. هيا (تخرج مع فیرابونت)

ماشاشا: لا أحب بروتوبوبوف هذا، میخائیل بوتابتش أو ایفانیتش. لا داعی لدعوته.

ایرینا: أنا لم أدعه.

ماشاشا: عظیم.

(یدخل تشیویتیکین ومن خلفه جندی یحمل سماورا فضیا، لفظ دهشة واستنکار)

اولجا: (تغطي وجهها بیدیها) سماور! هذا فظیع! (تخرج إلى الصلاة نحو الطاولة).

(ایرینا، توزنباخ وماشاشا یقولون فی صوت واحد)

ایرینا: ایفان رومانیتش، یا عزیزى، ماذا تفعل!

توزنباخ: (یضحك) ألم أقل لك.

ماشاشا: ایفان رومانیتش، هذا غیر معقول!

تشیویتیکین: یا عزیزاتی، یا جمیلاتی، لا أحد لدى غیرکن، أنتن عندی أغلی من أى شىء فی الدنيا. قریبا أبلغ الستین،

أنا عجوز، وحيد، عجوز بائس.. ليس فيّ أى شيء
طيب غير هذا الحب لكُنْ. ولولا أنتن لما كنت على قيد
الحياة من زمن طويل.. (إيرينا) يا بنيتي، يا عزيزتي،
أنا أعرفك منذ مولدك.. حملتك على يدي.. كنت أحب
المرحومة أملك..

إيرينا: ولكن لا داعي لهذه الهدايا الغالية!
تشيوتيكين: (من خلال الدموع، بغضب) هدايا غالية.. عيب
عليكن! (للجندي) احمل الساور إلى هناك (مقلدا)
هدايا غالية..

(الجندي يحمل الساور إلى الصالة)
أنفيسا: (مارة عبر غرفة الجلوس) يا بناتي، عقيد لا أعرفه، نزع
المعطف وقادم إلى هنا يا بناتي. أرينوشكا، كوني رقيقة،
مؤدبة.. (ذاهبة) آن أوان الإفطار من زمان.. يا إلهي.
توزنباخ: لا بد أنه فيرشينين.

(يدخل فيرشينين)
المقدم فيرشينين!
فيرشينين: (لماش وإيرينا) أتشرف بتقديم نفسي:
فيرشينين. سعيد جدا، جدا بزيارتكم أخيرا. كيف
أصبحتما! أوه!

إيرينا: تفضل بالجلوس. سعداء جدا.
فيرشينين: (بمرح) كم أنا سعيد، كم أنا سعيد! ولكن أنتن ثلاث

شقيقات. نعم، أذكر، ثلاث فتيات. لا أذكر الوجوه،
ولكن أذكر جيدا، ورأيت بعيني، أنه كان لدى أبيكن،
العقيد بروزوروف، ثلاث بنات صغيرات. ما أسرع
مرور الزمن! أوه، ما أسرع مرور الزمن!

توزنباخ: ألكسندر أجنا تيفيتش قادم من موسكو.

إيرينا: من موسكو؟ أنت من موسكو؟

فيرشينين: نعم، من هناك. المرحوم والدك كان قائد بطارية هناك،
وكنت أنا ضابطا في نفس اللواء. (لماشيا) وجهك أنت
أذكره قليلا، أظن.

ماشيا: أما أنا فلا أذكرك!

إيرينا: أوليا، أوليا! (تصبح نحو الصلاة) أوليا،

(أولجا تدخل من الصلاة إلى غرفة الجلوس)

المقدم فيرشينين، ظهر أنه من موسكو.

فيرشينين: إذن فأنت أولجا سرجيفنا، الكبرى.. وأنت ماريا..
وأنت إيرينا.. الصغرى..

أولجا: وأنت من موسكو؟

فيرشينين: نعم. درست في موسكو، وبدأت الخدمة في موسكو،
وخدمت هناك طويلا، وأخيرا عينت قائد بطارية هنا
فجئت إلى هنا كما ترين. أنا في الواقع لا أذكركن، أذكر
فقط أنك ثلاث شقيقات. والدكن بقي في ذاكرتي، لو
أغمض عيني أراه أمامي، كأنه حي. كنت أزورك في
موسكو..

أولجا: كنت أظن أنى أذكر الجميع، وفجأة..

فيرشينين: اسمى ألكسندر أجناتيفيتش..

إيرينا: ألكسندر أجناتيفيتش، أنت من موسكو.. يا للمفاجأة!

أولجا: نحن سننتقل إلى هناك.

إيرينا: نعتقد أننا فى الحريف سنكون هناك. إنها مدينتنا الحبيبة..

مسقط رأسنا.. ولدنا فى شارع ستاريا بسمانيا..

(تضحكان من الفرحة)

ماشيا: فجأة رأينا بلدنا. (بحوية) الآن تذكرت! أتذكرين

يا أوليا، كانوا يقولون عندنا: «الرائد العاشق». كنت

حينذاك ملازما، وكنت مغرما بفتاة ما، ولسبب ما كانوا

يغيظونك «رائدا»..

فيرشينين: (يضحك) نعم.. نعم.. الرائد العاشق.. هو كذلك..

ماشيا: كنت آنذاك تحمل شاربا فقط.. أوه، كم هرمت! (من

خلال الدموع) كم هرمت!

فيرشينين: نعم، عندما كانوا يسموننى الرائد العاشق كنت شابا

بعد، عاشقا. والآن لم أعد كذلك.

أولجا: ولكن ليس لديك شعرة شائبة واحدة بعد. لقد هرمت،

ولكنك لست عجوزا.

فيرشينين: ولكنى فى الثالثة والأربعين. من زمان تركتم موسكو؟

إيرينا: منذ إحدى عشرة سنة. ماشا، ما أغربك، لم تبكين.. (من

خلال الدموع) أنا أيضا سأبكى..

ماشـا: أنا لا بأس. وفي أى شارع كنت تسكن ؟

فيرشينين: فى ستاريا بسمانايا.

أولجـا: ونحن فى نفس الشارع..

فيرشينين: فى وقت ما كنت أسكن فى شارع نيميتسكايا. ومن

شارع نيميتسكايا كنت أسير إلى ثكنات كراسنبى. كان

فى الطريق جسر كئيب، وتحت الجسر تصخب المياه. كان

السائر وحده يصبح حزينا.

(صمت)

أما هنا فالنهر واسع، يا له من نهر غزير! نهر رائع!

أولجـا: نعم، ولكن الجو بارد. هنا برد وبعوض..

فيرشينين: ماذا تقولين! المناخ هنا مناخ سلافي، صحى، جيد.

الغابة والنهر.. وهنا أيضا أشجار بتولا. البتولا الرقيقة،

المتواضعة، أحبها أكثر من أى أشجار أخرى. الحياة هنا

جيدة. ولكن الشئ الغريب أن محطة السكة الحديدية على

بعد عشرين كيلومترا.. ولا أحد يعرف لماذا هكذا.

سوليونى: أنا أعرف لماذا هكذا.

(الجميع يتطلعون إليه)

لأنه لو كانت المحطة قريبة، لما كانت بعيدة، وإذا كانت

بعيدة، فهي إذن ليست قريبة.

(صمت محرج)

توزنباخ: فاسيلي فاسيليتش. يجب المزاح.

أولجا: الآن تذكرتك أنا أيضا. أذكرك.

فيرشينين: كنت أعرف والدتك.

تشيوتيكين: كانت طيبة، عليها الرحمة.

إيرينا: ماما مدفونة في موسكو.

أولجا: في مقبرة دير نوفو ديفيتشي..

ماشيا: تصور، بدأت أنسى ملاحظتها. ونحن أيضا لن يذكرنا

أحد. سينسوننا.

فيرشينين: نعم. سينسون. هذا قدرنا، ما باليد حيلة ما يبدو لنا

جديا، ذا وزن، مهما جدا، سوف ينسى مع الزمن أو

سيبدو غير هام.

(صمت)

والطريف أننا لا نستطيع الآن أبدا أن نعرف ما الذى

سوف يعد، فى الحقيقة، ساميا، هاما، وما الذى سيعد

تافها ومضحكا. ألم يعتبر اكتشاف كوبرنيك، أو

كولومبس مثلا، لا ضرورة له ومضحكا فى أول الأمر،

بينما بضع كلمات فارغة كتبها شخص غريب الأطوار،

بدت وكأنها الحقيقة؟ وقد يحدث بمرور الوقت أن تبدو

حياتنا الراهنة التى ألفناها تماما، غريبة، مزعجة، غبية،

غير طاهرة كما يجب، بل وربما خاطئة..

توزنباخ: من يدري؟ وربما وصفوا حياتنا بأنها سامية وتذكروها

باحترام. لم يعد هناك الآن تعذيب، ولا إعدامات، ولا

غزوات، ومع ذلك فما أكثر الآلام!

سوليونى: (بصوت رفيع) كت..كت..كت.. البارون يفضل أن تدعه يتفلسف على أن تطعمه خبزاً.

توزنباخ: فاسيلي فاسيليتش، أرجوك أن تدعنى وشأنى.. (يتنقل إلى مكان آخر ويجلس) هذا ممل فى النهاية.

سوليونى: (بصوت رفيع) كت..كت..كت..

توزنباخ: (لفيرشينين) الآلام التى تلاحظ الآن - وما أكثرها! - تشير مع ذلك إلى نوع من النهضة الأخلاقية التى حققها المجتمع..

فيرشينين: نعم، نعم، طبعاً.

تشيوتيكين: لقد قلت من توك يا بارون سيصفون حياتنا بأنها سامية. ولكن الناس مع ذلك واطئون.. (ينهض) انظروا كم أنا واطئ. لتعزيتى ينبغى أن يقال إن حياتى سامية، هذا مفهوم.

(عزف على الكمان خلف المسرح)

ماشأ: أندريه يعزف، شقيقنا.

إيرينا: إنه عالم، سيصبح أستاذاً فى الغالب. كان بابا عسكرياً، بينما اختار ابنه السلك العلمى.

ماشأ: حسب رغبة بابا

أولجا: اليوم غظناه. يبدو أنه عاشق قليلاً.

إيرينا: لإحدى الأنسات هنا. ستأتى اليوم، على الأرجح.

ماشأ: أوه، كيف تختار ثيابها! ليست المسألة فى قبح الثياب أو

عدم الموضة، بل شيء يثير الرثاء. تنورة غريبة، زاهية،
تميل إلى الصفرة، بهدايا سوقى مبتذل، وبلوزة حمراء.
وخداها مغسولان جدا، جدا! أندريه ليس عاشقا، أنا
لا أظن، فلديه مع ذلك ذوق، بل إنه هكذا، يغيظنا،
يتشاقى. سمعت بالأمس أنها ستتزوج بروتوبوف
رئيس مجلس إقليمنا. عظيم إذن.. (نحو الباب الجانبي)
أندريه، تعال هنا! يا عزيزى. دقيقة واحدة!

(يدخل أندريه)

أولجا: هذا أخى، أندريه سرجيتش.

فيرشينين: فيرشينين.

أندريه: بروزوروف. (يمسح العرق من وجهه) عينت هنا قائد
بطارية؟

أولجا: لك أن تتصور، ألكسندر أجناتيفيتش من موسكو.

أندريه: حقا؟ إذن أهنتك، شقيقتى لن يدعنك فى حالك.

فيرشينين: لقد أضجرت شقيقاتك بالفعل.

إيرينا: انظروا أى إطار صورة أهدانيه أندريه اليوم. (تريهم
الإطار) صنعه بنفسه.

فيرشينين: (ينظر إلى الإطار ولا يدرى ماذا يقول) نعم.. جيد..

إيرينا: وهذا الإطار، فوق البيانو، هو أيضا صنعه.

(أندريه يشيح بيده ويتبعد)

أولجا: أخونا عالم، ويعزف على الكمان، ويصنع من الخشب

شتى الأشياء، باختصار: سبع صنع. أندريه لا تذهب!

من عادته دائما أن يذهب. تعال هنا!

(ماشيا وإيرينا تضعان ذراعيه في أذرعهما وتسحبانه إلى الورا
ضاحكتين)

ماشيا: اذهب، اذهب!

أندريه: اتركاني، لو سمحتما.

ماشيا: كم أنت مضحك! كانوا يدعون ألكسندر أجناتيفيتش
في وقت ما الرائد العاشق، ولكنه لم يغضب أبدا.

فيرشينين: أبدا!

ماشيا: وأنا أريد أن أدعوك: العازف العاشق!

إيرينا: أو الأستاذ العاشق!..

أولجا: إنه عاشق! أندريوشا عاشق!

إيرينا: (تصفق) برافوا، برافو! أعد! أندريوشكا عاشق!

تشيوتيكين: (يقترّب من خلف أندريه ويمسك خصره بكلتا يديه)
للحب وحده قد أنجبنا أمنا الطبيعة! (يقهقه. لا يفارق
الصحيفة).

أندريه: طيب، كفاية.. (يمسح وجهه) لم أنم طول الليل،
والآن أشعر أنى منرفز، كما يقال. قرأت حتى الرابعة
ثم رقدت لكن فشلت في النوم. فكرت في هذا وذاك،
وإذا بالفجر المبكر، ثم هجمت الشمس على غرفتي.
أريد خلال الصيف، وأنا هنا، أن أترجم أحد الكتب
من الإنجليزية.

فيرشينين: وهل تقرأ بالإنجليزية؟

أندريه: نعم. والدنا، عليه الرحمة، اضطهدنا بالتريبة. إنه لشيء مضحك وأحق، ولكن ينبغي أن أعترف به.. فبعد وفاته أخذت ازداد وزنا حتى سمت في عام واحد، كأنها تخلص جسمي من الاضطهاد. بفضل والدنا أعرف أنا وشقيقتي اللغات الفرنسية والألمانية والإنجليزية، أما إيرينا فتعرف فوق ذلك الإيطالية. ولكن كم كلفنا ذلك!

ماشيا: أن تعرف ثلاث لغات.. ترف لا لزوم له في هذه المدينة. ليس حتى ترفا، بل زيادة لا لزوم لها، كالإصبع السادس. إننا نعرف أشياء زائدة كثيرة.

فيرشينين: ما هذا الكلام! (يضحك) تعرفن أشياء زائدة كثيرة! برأى أنه لا توجد مدينة مملدة وكثيرة لا يكون مطلوبا فيها الشخص الذكي المثقف. لنفرض أنه لا يوجد بين سكان هذه المدينة مائة الألف، المتخلفين والأفراط بالطبع، سوى ثلاثة أشخاص مثلكن. من المفهوم طبعاً أنكن لن تستطعن التغلب على الكتلة المختلفة المحيطة بكن. فخلال حياتكن سيكون عليكن شيئاً فشيئاً أن تراجعن وتذبن في الكتلة ذات مائة الألف، وستطغى عليكن الحياة، ومع ذلك فلن تحتفين، ولن تذهبن بلا أثر. بعدكن سيظهر مثلكن ربما ستة، وبعدهم

اثنا عشر، وهكذا دواليك، إلى أن يصبح أمثالكن، أخيراً، هم الأغلبية. بعد مائتين، أو ثلاثمائة سنة ستصبح الحياة على الأرض رائعة، مدهشة بشكل لا يُتصور. الإنسان بحاجة إلى مثل هذه الحياة، فإذا لم تكن الآن متوفرة، فعلية أن يتنبأ بها، أن ينتظرها، يحلم بها، ويستعد لها، ومن أجل هذا عليه أن يرى ويعرف أكثر مما رآه وعرفه جده وأبوه. (يضحك) وأنتن تشتكين من أنكن تعرفن أشياء زائدة كثيرة.

ماشـا: (تنزع قبعتهما) سأبقى للإفطار.

إيرينا: (متنهدة) في الحقيقة كان ينبغي تسجيل هذا..

(أندريه غير موجود، خرج خفية)

توزنباخ: تقول إن الحياة على الأرض بعد سنين طويلة ستكون رائعة، مدهشة. هذا صحيح. ولكن لكى تشارك فيها الآن، ولو من بعيد، ينبغي أن تستعد لها، ينبغي أن تعمل..

فيرشينين: (ناهضاً) نعم. أوه، ما أكثر الأزهار عندكم! (يطوف بنظره) والشقة بديعة. أغبطكم! أما أنا ففضيت حياتى فى شقق بكرسيين وكنبة واحدة وبمدافئ تنفث الدخان دائماً. فى حياتى كانت تنقصنى بالذات زهور كهذه.. (يفرك يديه) إيه! طيب، لا يهم!

توزنباخ: نعم، ينبغي أن تعمل. ربما تقول لنفسك: هذا الألمانى

يتحمس. ولكنى روسى، بشرى، بل ولا أتكلم الألمانية.
أبى أرثوذوكسى..

(صمت)

فيرشينين: (يذرع المسرح) إننى كثيرا ما أفكر: ماذا لو نستطيع أن
نبدأ الحياة من جديد، وبوعى؟ لو أن الحياة الأولى، التى
عشناها، كانت، كما يقال، مسودة، والحياة الثانية على
بياض! أظن أن كلا منا سيحاول قبل كل شئ ألا يكرر
نفسه، على الأقل سيحاول أن يخلق لنفسه ظروفا أخرى
للحياة، سيحاول أن يصنع لنفسه شقة كهذه بأزهار،
وبكمية كبيرة من الضوء.. أنا عندى زوجة، وبتان
صغيرتان، كما أن زوجتى سيدة مريضة وخلافه وخلافه،
ولو أنى بدأت الحياة من جديد لما تزوجت.. كلا، كلا!
(يدخل كوليجين فى زى المدرسين الرسمى)

كوليجين: أختى العزيزة اسمحى لى أن أهنتك بعيد شفيعتك،
وأتمنى لك بإخلاص، من صميم القلب، الصحة وكل
ما يمكن أن يتمناه المرء لفتاة فى عمرك. ولتسمحى لى
أن أهديك هذا الكتاب. (يقدم لها كتابا) تاريخ مدرستنا
خلال خمسين عاما، كتبه بنفسى. كتاب فارغ، كتب من
الملل. ومع ذلك أقرئه. مرحبا يا سادة! (لفيرشينين)
كوليجين، مدرس بالمدرسة المحلية. مستشار أهلى^(١).

(١) رتبة مدنية من الدرجة السابعة فى روسيا القيصرية كانت تعادل رتبة المقدم العسكرية.
المعرب.

(لإيرينا) ستجدين في هذا الكتاب قائمة أسماء كل
خريجي مدرستنا خلال الخمسين عاما الماضية. Feci
quod potui, faciant meliora potentes^(١) (يقبل
ماشأ).

إيرينا: ولكنك أهديتني كتابا مثله في عيد الفصح.
كوليجين: (يضحك) لا يمكن! في هذه الحالة أعيديه إليّ، أو
الأفضل أن تعطيه للعقيد. خذه يا عقيد. قد تقرأه في
يوم ما من الملل.

فيرشينين: أشكرك. (يهم بالذهاب) أنا سعيد للغاية بالتعرف..
أولجا: أنت ذاهب؟ كلا، كلا!

إيرينا: ستبقي عندنا للإفطار. من فضلك.
أولجا: أرجوك!

فيرشينين: (ينحنى) يبدو أنني جئت في عيد شفيعتك. أرجو
المعذرة، لم أكن أعرف، ولم أهتئك.. (يخرج مع أولجا
إلى الصلاة).

كوليجين: اليوم يا سادة يوم الأحد، يوم الراحة، فلنسترح إذن،
وسوف نمرح، كل حسبما يتفق وسنه ومكانته. ينبغي
رفع السجاجيد صيفا وحفظها حتى الشتاء.. بالبودرة
الفارسية أو بالنفثالين.. كان الرومان أصحاب لأنهم
كانوا يعرفون كيف يكدحون وكيف يستريحون. كان

(١) فعلت ما أستطيع، فليفعل أحسن من يقدر. (باللاتينية في الأصل).

عندهم mens sana in corpore sano^(١) كانت حياتهم
تسير حسب أشكال معروفة. مديرنا يقول: أهم شيء في
أى حياة هو شكلها.. ما يفقد: شكله ينتهى، وفي حياتنا
العادية نفس الأمر. (يمسك بخصر ماشا ضاحكا) ماشا
تجنبنى. زوجتى تجنبنى. وستائر النوافذ أيضا إلى حيث
السجاجيد.. أنا اليوم مرح، فى مزاج روحى ممتاز. ماشا،
في الساعة الرابعة اليوم سنجتمع عند المدير. ستقام نزهة
للمدرسين وعائلاتهم.

ماشـا: لن أذهب.

كوليجين: (محزونا) ماشا العزيزة، لماذا؟

ماشـا: فيما بعد نتكلم.. (بغضب) طيب، سأذهب، فقط دعنى،
أرجوك.. (تبتعد).

كوليجين: ثم نقضى المساء عند المدير. هذا الرجل، رغم حالته
المرضية، يسعى قبل كل شيء إلى أن يكون اجتماعيا.
شخصية رائعة، مشرقة، إنسان عظيم. بالأمس قال لى
بعد جلسة المجلس: «تعبت يا فيدور إيليتش، تعبت!»
(يتطلع إلى ساعة الحائط ثم إلى ساعته). ساعتكم متقدمة
سبع دقائق. نعم، تعبت، قال لى.

(خلف المسرح عزف على الكمان)

أولجـا: يا سادة لو تكرمتم، تفضلوا إلى الإفطار! الكعكة!

(١) العقل السليم فى الجسم السليم (باللاتينية فى الأصل).

كولييجين: آه، يا أولجا العزيزة، يا عزيزتى! بالأمس اشتغلت من الصباح حتى الحادية عشرة مساءً، تعبت، واليوم أشعر بالسعادة. (يخرج إلى الصلاة، إلى المائدة) يا عزيزتى..

تشيوتيكين: (يضع الصحيفة في جيبه ويمشط لحيته) كعكة؟ عظيم!

ماشـا: (لتشيوتيكين بصرامة) أحذرك، إياك أن تشرب اليوم، أسمع؟ الشرب مضر لك.

تشيوتيكين: لا! انتهى ذلك. منذ ستين لم أغرق في الشراب. (بفروغ صبر) إيه، سيدتى، أليس سيان!

ماشـا: ومع ذلك إياك أن تشرب. إياك. (بغضب ولكن بحيث لا يسمعها زوجها) يا للشيطان، مرة أخرى سنضجر طول المساء عند المدير!

توزنباخ: لو كنت مكانك لما ذهبت.. بكل بساطة.

تشيوتيكين: لا تذهبي يا روحى..

ماشـا: لا تذهبي، ما أسهل القول.. هذه الحياة لعينة، لا تطاق.. (تذهب إلى الصلاة).

تشيوتيكين: (يتبعها) لا تقولى!

سوليونى: (مارا إلى الصلاة) كت.. كت.. كت..

توزنباخ: كفى يا فاسيلي فاسيليتش. كفى!

سوليونى: كت.. كت.. كت..

كوليجين: (بمرح) في صحتك يا عقيد! أنا مدرس، ومن أهل البيت، زوج ماشا.. إنها طيبة، طيبة جدا..

فيرشينين: سأشرب من هذه الفودكا الداكنة.. (يشرب) في صحتك! (لأولجا) كم أشعر بالراحة عندكم!..

(يبقى في غرفة الجلوس إيرينا وتوزنباخ فقط)

إيرينا: ماشا معتلة المزاج اليوم. لقد تزوجت وهى فى الثامنة عشر، عندما كان يبدو لها أذكى رجل. والآن تغير الحال. إنه أطيب رجل ولكنه ليس أذكى رجل.

أولجا: (بفروغ صبر) أندريه، تعال إذن!

أندريه: (خلف المسرح) حالا. (يدخل ويتجه إلى المائدة).

توزنباخ: فيم تفكرين؟

إيرينا: هكذا. أنا لا أحب صاحبك سوليونى وأخشاه. إنه لا يتفوه إلا بالحماقات..

توزنباخ: إنه شخص غريب. أنا أرثى له، وأسخط عليه، ولكنى أرثى له أكثر. يخيل إلى أنه خجول.. عندما نكون أنا وهو وحدنا، يصبح إنسانا ذكيا جدا وودودا، أما فى المجتمع فهو إنسان فظ، من هواة المبارزات. لا تذهبى الآن، دعيهم يجلسون إلى المائدة. اسمحى لى أن أبقى بجوارك. فيم تفكرين؟

(صمت)

عمرك عشرون سنة، وأنا لم أبلغ بعد الثلاثين. كم سنة

بقيت لنا في المستقبل، صف طويل، طويل من الأيام
المليئة بحبى لك..

إيرينا: نيكولاى لفوفتش، لا تكلمنى عن الحب.
توزنباخ: (لا يصغى إليها) أنا أشعر بظماً جارف إلى الحياة، إلى
النضال، إلى العمل، وهذا الظماً قد امتزج في روحى
بحبى لك يا إيرينا، وأنت رائعة، كأنها عن عمد، والحياة
تبدو لى جد رائعة. فيم تفكرين؟

إيرينا: أنت تقول: حياة رائعة. نعم، وما العمل إذا كانت فقط
تبدو كذلك! حياتنا نحن الشقيقات الثلاث لم تكن
حتى الآن رائعة، لقد طغت علينا كالأعشاب الطفيلية..
دموعى تسيل.. لا داعى لهذا.. (تمسح وجهها بسرعة،
تبتسم) ينبغى أن نعمل، أن نعمل. إننا نشعر بالكآبة
وننظر إلى الحياة بهذا العبوس لأننا لا نعرف العمل.
لقد ولدنا من أناس يحتقرون العمل..

(تدخل نتاليا إيفانوفنا. فى فستان وردى وحزام أخضر)
نتاشا: بدأوا يتناولون الإفطار هناك.. لقد تأخرت.. (تنظر إلى
المرأة بسرعة وتسوى شعرها) يبدو أن التسريحة ليست
سيئة.. (وقد رأت إيرينا) إيرينا سر جيفنا العزيزة، تهانى!
(تقبلها بقوة قبله طويلة) عندكم ضيوف كثيرون، إننى
خجلة فى الحقيقة.. مرحبا يا بارون!

أولجا: (تدخل غرفة الجلوس) وها هي نتاليا إيفانوفنا. مرحبا يا عزيزتى.

(تبادلان القبلات)

نتاشا: أهنتكم. عندكم ضيوف كثيرون، إننى خجلة جدا..

أولجا: دعيك من هذا، لا أحد غريب. (بصوت خافت، بفزع) تضعين حزاما أخضر! يا عزيزتى، هذا ليس طيبا!

نتاشا: هل فى ذلك علامة شؤم؟

أولجا: كلا، ببساطة لا يليق.. ثم إنه غريب..

نتاشا: (بصوت باك) حقا؟ ولكنه ليس أخضر، بل أقرب إلى الداكن. (تمضى إلى الصالة فى أثر أولجا).

(فى الصالة يشرعون فى الإفطار. لا أحد فى غرفة الجلوس)

كولييجين: أتمنى لك يا إيرينا عريسا جيدا. آن لك أن تتزوجى.

تشيبيوتكين: نتاليا إيفانوفنا، ولك أتمنى عريسا.

كولييجين: نتاليا إيفانوفنا لديها بالفعل عريس.

ماشاشا: (تدق الشوكة على الطبق) سأشرب كأسى نبيذ! آه،

ما أروع الحياة، ليكن ما يكون!

كولييجين: درجة سلوكك اليوم تحت المتوسط.

فيرشينين: الشراب المتنوع لذيد. ما الذى نقعتموه؟

سوليونى: صراصير.

إيرينا: (بصوت باك) اخصى! اخصى! يا للقرف!..

أولجا: فى العشاء سنقدم ديكاً روميا محمرا وكعكة حلوة

بالتفاح. الحمد لله أنا اليوم فى البيت طول النهار، ومساء

فى البيت.. يا سادة، تعالوا فى المساء.

فيرشينين: اسمحى لى بالمجىء مساء!

إيرينا: تفضل.

نتاشا: لا تكليف عندهم.

تشيوتيكين: للحب وحده قد أنجبنا أمنا الطبيعة. (يضحك).

أندريه: (بغضب) كفى يا سادة! ألم تملوا هذا؟

(يدخل فيدوتيك ورودى بسلة أزهار كبيرة)

فيدوتيك: لقد بدأوا يفطرون.

رودى: (بصوت عال وبلشغة) يفطرون؟ نعم، بدأوا..

فيدوتيك: انتظر دقيقة! (يصور صورة) واحد!

انتظر قليلا.. (يصور صورة أخرى) اثنان! الآن

جاهز!

(يحملان السلة ويدخلان الصالة فيستقبلونهما بصخب)

رودى: (بصوت عال) تهانئ، وتمنياتى بكل الخير! الطقس اليوم

رائع، العظيمة كلها! طول الصباح تنزهت مع التلاميذ.

أنا أدرس الجمباز فى المدرسة..

فيدوتيك: يمكنك أن تتحركى يا إيرينا سر جيفنا، يمكنك! (يصور

صورة) أنت اليوم وسيمة. (يخرج من جيبه خذروفا)

ها هو، بالمناسبة، خذروف.. صوته مدهش..

إيرينا: ما أروع!

ماشاشا: بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، في جذعها قد ثبتت
سلسلة من ذهب.. قد ثبتت سلسلة من ذهب.. (بصوت
باك) لماذا أقول ذلك؟ منذ الصباح علقت بذاكرتي هذه
الجملة..

كولييجين: ثلاثة عشر حول المائدة!

رودی: (بصوت عال) أحقا يا سادة تهتمون بالخزعبلات؟
(ضحك)

كولييجين: إذا كان عدد الجالسين إلى المائدة ثلاثة عشر فمعناه وجود
عاشقين هنا. أصبح أنك يا إيفان رومانوفيتش، لا
قدر الله..

(ضحك)

تشيبيوتيكين: أنا خاطئ عجوز، ولكني لا أستطيع أن أفهم أبدا لماذا
خجلت نتاليا إيفانوفنا.

(ضحك عال. نتاشا تركض من الصالة إلى غرفة الجلوس أندريه
يتبعها)

أندريه: كفى، لا تلقى بالالا!.. انتظري.. مهلا، أرجوك..

نتاشا: أنا خجلة.. أنا لا أعرف ماذا يحدث لي، وهم يسخرون
منى.. مغادرتي للمائدة الآن عيب، ولكني لا أستطيع..
لا أستطيع.. (تغطي وجهها بيديها).

أندريه: يا عزيزتي أرجوك، أتوسل إليك، لا تقلقي. أؤكد لك
أنهم يمزحون، بنية صافية. يا عزيزتي، يا غاليتي، كلهم

أناس طيبون ودودون، يحبوننى ويحبونك. تعالى هنا إلى
النافذة، من هنا لن يرونا.. (يتلفت)

نتاشا: لم أعود على جو المجتمعات!..

أندريه: أوه، يا للشباب، يا للشباب البديع الرائع. يا غالىتى،
يا عزيزتى لا تقلقى هكذا!.. صدقيني.. كم أشعر
بالراحة، القلب عامر بالحب، والإعجاب.. أوه، لا
أحد يرانا! لا أحد! لماذا، لماذا أحببتك، متى أحببتك، أوه
لا أفهم شيئاً. يا غالىتى، يا عزيزتى، أيتها الطاهرة، كونى
زوجتى! إننى أحبك، أحبك.. كما لم أحب أبداً..

(قبلة)

(يدخل ضابطان، وإذ يريان الزوج الذى يتبادل القبل يتوقفان فى ذهول)

(ستار)

الفصل الثانى

ديكور الفصل الأول

(الوقت: الثامنة مساءً. فى الخارج، وراء المسرح، يسمع عزف خافت على الأكورديون. لا أضواء. تدخل نتاليا إيفانوفنا فى روب منزل، تحمل شمعة. تمشى ثم تتوقف عند الباب المؤدى إلى غرفة أندريه)

نتاشا: ماذا تفعل يا أندريوشا؟ تقرأ؟ لا شىء، أنا هكذا..
(تمضى وتفتح بابا آخر، تطل فيه ثم تغلقه) هل الضوء مشتعل؟..

أندريه: (يدخل وفى يده كتاب) ماذا حدث يا نتاشا؟
نتاشا: أنظر هل الضوء مشتعل.. الآن عيد المرافع، والخدم ليسوا فى وعيهم، لا بد من الحيلة، وإلا وقع شىء..
بالأمس مررت فى نصف الليل بغرفة الطعام فوجدت شمعة مشتعلة. من أشعلها، لم أستطع أن أتوصل إلى شىء. (تضع الشمعة) كم الساعة الآن؟

أندريه: (يتطلع إلى الساعة) الثامنة والربع.
نتاشا: أوجا وإيرينا لم تعودا بعد. تكدحان المسكيتان. أوجا فى

المجلس التربوى وإيرينا فى التليغراف.. (تتنهد). اليوم صباحا قلت لأختك: «حافظى على نفسك يا إيرينا يا عزيزتى» فلم تستمع إالىّ. تقول الثامنة والرابع؟ أنا خائفة، ابننا بوبيك مريض. لماذا جسمه بارد هكذا؟ بالأمس كان محموما واليوم بارد كله.. كم أنا خائفة!

أندريه: لا بأس يا نتاشا الصبى بخير.

نتاشا: ومع ذلك فليبق على نظام الغذاء الخاص. أنا خائفة. قالوا إن المتكرين سيأتون إلينا فى العاشرة مساء اليوم، الأفضل يا أندريوشا، ألا يأتوا.

أندريه: فى الحقيقة لا أعرف. ولكن سبق أن دعوهم.

نتاشا: استيقظ الصبى اليوم صباحا، ونظر إالىّ، ثم ابتسم فجأة، إذن فقد عرفنى. قلت له: بوبيك، يا جيدا. إذن يا أندريوشا سأخبرهم ألا يستقبلوا المتكرين.

أندريه: (بتردد) هذا يتوقف على شقيقتى. هن صاحبات البيت.

نتاشا: وهنّ أيضا سأخبرهن. إنهن طيبات.. (تذهب) أمرتهم أن يقدموا الزبادى فى العشاء. الدكتور يقول إن عليك أن تأكل الزبادى فقط، وإلا فلن ينقص وزنك. (تتوقف) بوبيك بارد. أنا خائفة، أظن برد عليه فى غرفته. ينبغى نقله إلى غرفة أخرى حتى حلول الدفء. غرفة إيرينا مثلا، مناسبة تماما للطفل. جافة، والشمس فيها طول

النهار. ينبغي التحدث معها، يمكنها مؤقتاً أن تسكن مع أولجا في غرفة واحدة.. فهي على العموم لا تبقى في البيت نهرا، تأتي للمبيت فقط..
(صمت)

أندريوشا، لماذا أنت. ساكت؟

أندريه: هكذا، أفكر.. ثم إنه لا شيء يقال..

نتاشا: نعم.. أردت أن أقول لك شيئا.. آه، نعم. جاء فيرابونت من مجلس الإقليم، يريدك.

أندريه: (يتشاءب) نأديه.

(نتاشا تخرج. أندريه ينحني على الشمعة التي نسيتهـا

ويقرأ كتابه. يدخل فيرابونت. في معطف بال مهترئ،

بياقة مرفوعة، أذناه معصوبتان)

مرحبا يا عزيزي. ما وراءك؟

فيرابونت: الرئيس أرسل كتابا وورقة لا أدري ما هي.. تفضل..

(يقدم له كتابا ومظروفا).

أندريه: شكرا. حسنا. ولماذا جئت متأخرا هكذا؟ فالساعة

تقارب التاسعة.

فيرابونت: هه؟

أندريه: (بصوت أعلى) أقول جئت متأخرا، الساعة تقارب

التاسعة.

فيرابونت: تمام يا سيدى. أنا جئت والدنيا ما زالت مضيئة، ولكن

لم يسمحوا الى بالدخول. قالوا السيد مشغول. طيب،
مشغول مشغول، لست مستعجلا (يظن أن أندريه يسأله
عن شيء ما) هه؟

أندريه: لا شيء (يتفحص الكتاب) غدا الجمعة، ليس يوم
حضور عندنا، ولكنى سأتى رغم ذلك.. سأهتم
بالموضوع. البيت ممل.
(صمت)

أيها الجد العزيز، ما أغرب تحولات الحياة، وكم نتحدثنا!
اليوم، بسبب الملل، بسبب الفراغ، تناولت هذا الكتاب..
المحاضرات الجامعية القديمة، فغلبنى الضحك..
يا إلهى، أنا سكرتير مجلس إقليمي، ذلك المجلس الذى
يرأسه بروتوبوبوف. أنا سكرتير، وغاية ما أستطيع أن
أؤمل فيه: أن أصبح عضوا فى مجلس الإقليم! أنا.. أصبح
عضوا بمجلس الإقليم المحلى، أنا.. الذى أحلم كل
ليلة بأنى أستاذ بجامعة موسكو، وعالم مشهور، تفخر
به أمنا روسيا!

فيرابونت: لا علم لى.. سمعى ثقيل..

أندريه: لو كنت تسمع جيدا ربما ما تحدثت إليك. أنا بحاجة
إلى الحديث مع أحد ما، ولكن زوجتى لا تفهمنى، أما
شقيقتى فأخشاهن لسبب ما، أخشى أن يضحكن منى
أو ينجلننى.. أنا لا أسكر، ولا أحب الحانات، ولكن كم

يطيب لى لو كنت الآن جالسا فى حانة تيستوف بموسكو،
أو حانة «موسكو الكبيرة» يا عزيزى.

فيرابونت: حكى أحد المقاولين فى المجلس من مدة، قال فى موسكو
أكل بعض التجار شطائر. ومنهم واحد أكل أربعين
شطيرة، فمات. إما أربعين وإما خمسين.. لا أذكر.

أندريه: تجلس فى موسكو، فى قاعة مطعم ضخمة، لا تعرف
أحدا ولا أحد يعرفك، وفى الوقت نفسه لا تشعر بنفسك
غريبا. أما هنا فتعرف الجميع والجميع يعرفونك، ولكنك
غريب، غريب.. غريب ووحيد.

فيرابونت: هه؟

(صمت)

والمقاول إياه قال أيضا، وربما يكذب، إنهم مدوا جبلا
عبر موسكو كلها.

أندريه: وما الداعى؟

فيرابونت: لا أعرف. المقاول قال.

أندريه: هراء. (يقرأ الكتاب) هل كنت فى موسكو؟

فيرابونت: (بعد فترة صمت) لم أكن. ربنا لم يكتب لى.

(صمت)

هل أذهب؟

أندريه: يمكنك أن تذهب. مع السلامة.

(فيرابونت يخرج)

مع السلامة. (يقرأ) تعال غدا صباحا وخذ الأوراق..

انصرف..

(صمت)

لقد ذهب.

(جرس)

نعم، يا لها من أمور.. (يتمطى وينصرف إلى غرفته على

مهل).

(خلف المسرح تغنى مربية مهددة طفلا. تدخل ماشا وفيرشينين. أثناء

حديثهما تشعل الخادم المصباح والشموع)

ماشـا: لا أعرف.

(صمت)

لا أعرف. طبعا العادة تعنى الكثير. بعد وفاة والدنا

مثلا، لم نستطع طويلا أن نتعود على أنه لم يعد لدينا

جنود مراسلة. وبخلاف العادة أظن أن ما يحركنى كذلك

هو الإنصاف. ربما ليس الأمر كذلك فى أماكن أخرى،

ولكن فى مدينتنا العسكريون هم أكثر الناس استقامة

ونبلا وتهديبا.

فيرشينين: إني عطشان، لو أشرب شايا.

ماشـا: (تتطلع إلى الساعة) فريبا سيقدمونه. لقد زوجونى

وأنا فى الثامنة عشرة، وكنت أخشى زوجى لأنه كان

مدرسا، وأنا لم أكد أخرج من المدرسة آنذاك. بدالى حينها

مثقفا جدا، ذكيا وهاما. لكن الموضوع الآن مختلف،
للأسف.

فيرشينين: هكذا.. نعم.

ماشاء: دعك من زوجي، فقد تعودت عليه، ولكن هناك بين
المدنيين عموما الكثير من الأشخاص الأفظاظ، القليلي
الذوق، غير المهذبين. إن الفظاظه تثيرني، تهينني،
وأتعذب عندما أرى الشخص غير حساس بما يكفي،
غير رقيق، غير مجامل. عندما يحدث أن أكون بين
المدرسين، زملاء زوجي، فإنني أتعذب فعلا.

فيرشينين: نعم.. ولكن يبدو لي أن كلا من المدني والعسكري، لا
فرق، كلاهما غير شيق، على الأقل في هذه المدينة لا فرق!
فلو استمعت إلى المثقف المحلي، المدني أم العسكري،
فستجدين أن زوجته قد أعيته، والبيت أعياه، والضيعة
أعيته، والخيول أعيته.. الشخص الروسي يتميز إلى
درجة كبيرة بنمط التفكير السامي، ولكن خبريني، لماذا
لا يبلغ في الحياة شأوا بعيدا؟ لماذا؟

ماشاء: لماذا؟

فيرشينين: لماذا أعياه الأطفال، أعيته زوجته؟ ولماذا أعياه هو الزوجة
والأطفال؟

ماشاء: أنت اليوم معتل المزاج قليلا.

فيرشينين: ربما. أنا اليوم لم أتغد، لم أذق شيئا منذ الصباح. ابنتي

مريضة قليلا، وعندما تمرض ابتئى يتولانى القلق،
ويعذبني ضميري لأن لديهما أما كهذه. آه لو رأيتها اليوم!
يا للتفاهة! بدأنا نتشاجر من الساعة صباحا، وفي التاسعة
صفقت الباب وخرجت.

(صمت)

أنا لا أتحدث عن ذلك أبدا، والغريب، أننى لا أشكو إلا
لك وحدك. (يقبل يدها) لا تغضبى منى. ليس عندى
أحد غيرك، أبدا، أبدا..

(صمت)

ماشأ: كم تصخب المدفأة. قبيل وفاة بابا بقليل أزت المدخنة.
هكذا بالضبط.

فيرشينين: أنت متطورة؟

ماشأ: نعم

فيرشينين: هذا غريب. (يقبل يدها) أنت امرأة عظيمة، رائعة.
عظيمة، رائعة! المكان مظلم، ولكنى أرى بريق
عينيك.

ماشأ: (تجلس على كرسى آخر) هنا أكثر إضاءة..

فيرشينين: أنا أحبك، أحبك، أحبك.. أحب عينيك، أحب
حركاتك، التى أراها فى الحلم.. امرأة عظيمة، رائعة!

ماشأ: (تضحك بصوت خافت) عندما تتحدث معى هكذا
لا أدرى لماذا أضحك، رغم أنى أشعر بالرهبة. لا تكرر

هذا أرجوك.. (بصوت خافت) وعموما تحدث، لا فرق
عندى.. (تغطي وجهها بيديها) لا فرق عندى. أحدهم
قادم. تحدث عن شيء آخر..

(إيرينا وتوزنباخ يدخلان عبر الصالة)

توزنباخ: اسم عائلتي ثلاثي. البارون توزنباخ.. كرونى..
آلتشاور، ولكنى روسى، أرثوذكسى، مثلك. لم يبق
لدى من الألمان إلا القليل، فقط الصبر، والعناد اللذان
أضجرك بهما. إننى أوصلك كل مساء.

إيرينا: كم أنا متعبة!

توزنباخ: وكل مساء سوف آتى إلى مكتب التليغراف وأوصلك
إلى البيت، سأظل آتى عشر سنوات، عشرين سنة، إلى
أن تطردينى.. (يرى ماشا وفيرشنين، يقول بفرح) أنتما؟
مرحبا.

إيرينا: ها أنذا أخيرا فى البيت (لماشا) جاءتنى منذ قليل سيدة
لترسل برقية إلى أخيها فى ساراتوف، بأن ابنها مات
اليوم، ولم تستطع أبدا أن تتذكر العنوان. فأرسلتها بدون
عنوان، فقط إلى ساراتوف. كانت تبكى. عاملتها بخشونة
دون سبب. قلت لها «ليس لدى وقت». ما أغبى ذلك.
اليوم سيأتى إلينا المتنكرون؟

ماشـا: نعم.

إيرينا: (تجلس فى مقعد فوتيل) أريد أن أرتاح. تعبت.

توزنباخ: (بابتسامه) عندما تعودين من العمل تبدين صغيرة
وتعيسة..

(صمت)

إيرينا: تعبت، كلا، أنا لا أحب التليغراف، لا أحبه
ماشاشا: أنت نحفت.. (تصفر) وصغرت، وأصبح وجهك يشبه
وجه صبي.

توزنباخ: هذا بفعل التسريحة.
إيرينا: ينبغي أن أجد وظيفة أخرى، هذه ليست لى. ما كنت
أتوق إليه، ما كنت أحلم به، هو بالذات ما ليس فيها.
عمل بلا شاعرية، بلا أفكار..

(دق على الأرض من الطابق الأسفل)

الدكتور يدق. (لتوزنباخ) دق له يا عزيزى. أنا لا أستطيع
متعبة..

(توزنباخ يدق على الأرض)

سيأتى الآن. ينبغي اتخاذ إجراء ما. بالأمس كان الدكتور
وشقيقنا أندريه فى النادي، وخسرا مرة أخرى. يقال إن
أندريه خسر مائتى روبل.

ماشاشا: (بلا مبالاة) وما العمل الآن!

إيرينا: منذ أسبوعين خسر، وفى ديسمبر خسر. لو أنه يخسر كل
شئ بسرعة، إذن فربما رحلنا عن هذه المدينة، يا إلهى،
يا ربى، أحلم بموسكو كل ليلة، أصبحت كالممسوسة.

(تضحك) سنتقل إلى هناك في يونيو، وبقي حتى يونيو..

فبراير، مارس، أبريل، مايو.. نصف سنة تقريبا!

ماشاشا: المهم ألا تعلم نتاشا بطريقة ما بالخسارة.

إيرينا: أعتقد أن هذا سيان لديها.

(تشيوتيكين، الذى نهض لتوه من السرير - كان يرتاح بعد الغداء -

يدخل الصالة ويمشط لحيته، ثم يجلس إلى الطاولة ويخرج صحيفة من

جيبه)

ماشاشا: ها قد جاء.. هل دفع إيجار الشقة؟

إيرينا: (تضحك) كلا. لم يدفع كوبيكا طوال ثمانية أشهر، يبدو

نسى.

ماشاشا: (تضحك) كم يجلس بعظمة!

(الجميع يضحكون. صمت)

إيرينا: مالك صامت يا ألكسندر أجناتيفيتش؟

فيرشينين: لا أدرى. أرغب فى شاي. نصف حياتى أعطى مقابل

كوب شاي! لم أذق شيئا منذ الصباح..

تشيوتيكين: إيرينا سرجيفنا!

إيرينا: ماذا تريد؟

تشيوتيكين: لو سمحت هنا! Venez ici^(١)

(إيرينا تذهب وتجلس إلى الطاولة)

أنا لا أستطيع بدونك.

(١) تعالى هنا (بالفرنسية فى الأصل).

(إيرينا توزع أوراق اللعب)

فيرشينين: حسنا، طالما لا يقدمون الشاي، هيا على الأقل نتفلسف.

توزنباخ: هيا. وعمّ؟

فيرشينين: عمّ؟ هيا نحلم.. مثلا بالحياة التي ستأتى بعدنا، بعد مائتين أو ثلاثمائة سنة.

توزنباخ: حسنا. بعدنا سوف يخلقون بالمناطيد، وستتغير السترات، وربما اكتشفوا الحاسة السادسة وطوروها، ولكن الحياة ستظل كما هي، حياة قاسية، مليئة بالأسرار وسعيدة. وحتى بعد ألف عام سوف يزفر الإنسان هكذا أيضا ويقول: «آه ما أصعب الحياة!»، وفي نفس الوقت، ومثلما الآن، سوف يخاف الموت ولا يتمناه.

فيرشينين: (بعد تفكير) كيف أوضح لك؟ أعتقد أن كل ما على الأرض ينبغي أن يتغير شيئا فشيئا، وهو يتغير بالفعل أمام أعيننا. وبعد مائتي سنة أو ثلاثمائة، أو حتى ألف - ليست العبرة بالمدة - ستحل حياة جديدة، سعيدة. ولن نشارك في هذه الحياة بالطبع، ولكننا من أجلها نعيش الآن، ونعمل، وحتى نتعذب، إننا نخلقها. وفي هذا وحده يكمن الغرض من وجودنا، بل وسعادتنا إذا شئتم.

(ماشأ تضحك بصوت خافت)

توزنباخ: ماذا بك؟

ماشاشا: لا أدري. اليوم أضحك طول النهار، منذ الصباح
فيرشينين: أنا تخرجت من حيث تخرجت أنت، ولم ألتحق
بالأكاديمية. أقرأ كثيرا، ولكنى لا أجيد اختيار الكتب
وأقرأ ربما غير المطلوب أبدا، ومع ذلك كلما تقدم بى
العمر ازدادت رغبة فى المعرفة. شعرى يشيب، وقد
أصبحت عجوزا تقريبا، ولكن ما أقل ما أعرفه، آه
ما أقله! ومع ذلك أعتقد أننى أعرف أهم شىء، الشىء
الحقيقى، وأعرفه جيدا. وكم أود أن أثبت لكم أنه لا
سعادة لنا، ولا ينبغى أن تكون، ولن تكون.. علينا فقط
أن نعمل ونعمل، أما السعادة فهى من نصيب الأجيال
القادمة البعيدة.

(صمت)

إن لم أكن أنا فخلف خلفى.

(فيدوتيك ورودى يظهران فى الصلاة. يجلسان ويغنيان بصوت خافت
وبمداعبة الجيتار)

توزنباخ: حسب كلامك لا يجب حتى أن نحلم بالسعادة! وإذا
كنت سعيدا!

فيرشينين: كلا.

توزنباخ: (يشيح بيديه ويضحك) يبدو أننا لا نفهم بعضنا البعض.
حسنا، كيف أقنعك؟

(ماشاشا تضحك بصوت خافت)

(ملوحا لها بإصبعه) اضحكى! (لفيرشينين) ليس بعد مائتى أو ثلاثمائة سنة، بل وبعد مليون سنة، ستبقى الحياة مثلما كانت. إنها لا تتغير، بل تبقى ثابتة، متبعة قوانينها الخاصة التى لا تعبأ أنت بها، أو التى على الأقل لن تعرفها أبدا. الطيور المهاجرة، اللقالتى مثلا، تطير وتطير، وأيا كانت الأفكار التى تراودها، سامية أم تافهة، فسوف تظل تطير وهى لا تعلم لماذا وإلى أين. إنها تطير، وسوف تطير، ومهما ظهر بينها من فلاسفة. فلتتفلسف كما تشاء، المهم أن تطير..

ماشأ: ولكن ما المغزى مع ذلك؟

توزنباخ: المغزى.. ها هو الثلج يسقط. فأى مغزى؟
(صمت)

ماشأ: أعتقد أن الإنسان ينبغى أن يكون مؤمنا، أو ينبغى أن يبحث عن عقيدة، وإلا فحياته فارغة، فارغة.. أن تعيش دون أن تدري لماذا تطير اللقالتى، ولماذا يولد الأطفال، ولماذا النجوم فى السماء.. إما أن تعرف لماذا تعيش، وإما فكل شىء تافه.

(صمت)

فيرشينين: من المؤسف مع ذلك أن الشباب ولى..

ماشأ: عند جوجول يقول أحدهم: الحياة فى هذه الدنيا مملة
يا سادة!

توزنباخ: أما أنا فأقول: مجادلتكم صعبة يا سادة! دعونى..

تشيوتيكين: (يقرأ الصحيفة) بلزك عقد قرانه في برديتشيف

(إيرينا تدندن بصوت خافت)

سأسجل هذا في المفكرة (يسجل) بلزك عقد قرانه في
برديتشيف. (يقرأ الصحيفة).

إيرينا: (توزع ورق اللعب، مستغرقة في التفكير) بلزك عقد
قرانه في برديتشيف^(١).

توزنباخ: نفذ السهم. أتدري يا ماريا سرجيفنا، أنا سأنتقاعد.
ماشأا: سمعت. ولا أرى في ذلك أى خير. أنا لا أحب
المدنيين.

توزنباخ: سيان.. (ينهض) أنا لست جميلا، فأى عسكري أنا؟
نعم، طبعاً، سيان على أى حال.. سوف أعمل. أعمل
ولو يوماً واحداً في حياتي، بحيث أعود إلى البيت مساءً
منهكا فأرتقى في الفراش وأنام على الفور. (يخرج إلى
الصالة) لا بد أن العمال ينامون نوما عميقاً!

فيدوتيك: (لإيرينا) اشتريت الآن في شارع موسكوفسكايا، من
متجر بيجيكوف أقلاماً ملونة لك. وهذه المبراة..

إيرينا: تعودت على معاملتي وكأني صغيرة، ولكني أصبحت
كبيرة.. (تأخذ الأقلام والمبراة بفرح) ما أروعها!

فيدوتيك: واشتريت لنفسى مطواة.. ها هي، انظري.. سكين،

(١) تزوج الكاتب الفرنسى المعروف أونوريه دى بلزك (١٧٩٩ - ١٨٥٠) في مدينة
برديتشيف البولندية (حالياً مدينة في أوكرانيا السوفيتية). المغرب.

وسكين آخر، وثالث. هذا للتنقيب في الأذن، وهذا مقص، وهذا لتنظيف الأظافر..

رودى: (بصوت عال) يا دكتور، كم سنك؟

تشيوتيكين: أنا؟ اثنان وثلاثون.

(ضحك)

فيدوتيك: سأريكم الآن سولتير آخر.. (يرتب السولتير)

(محضرون السماور. أنفيسا بجوار السماور. بعد قليل تأتي نتاشا وتسعى

أيضا بجوار المائدة. يأتي سوليوني ويحيى، ثم يجلس إلى المائدة)

فيرشينين: يا للريح!

ماشـا: نعم. مللت الشتاء. لقد نسيت حتى كيف يبدو

الصيف.

إيرينا: سترتب الأوراق سولتير، أرى ذلك. سننتقل إلى

موسكو.

فيدوتيك: كلا، لن تترتب. انظري، الثمانية جاءت فوق الدوه

البستوني. (يضحك) إذن لن تنتقلوا إلى موسكو.

تشيوتيكين: (يقرأ الصحيفة) تستيسيكار. الجدرى يتفشى في المدينة.

أنفيسا: (تقترب من ماشا) ماشا، اشربي الشاي يا بنيتي.

(لفيرشينين) تفضلوا يا صاحب السعادة.. اعذرني

يا سيدى، نسيت اسمكم..

ماشـا: هاتى هنا يا دادة. لن أذهب هناك.

إيرينا: يا دادة!

أنفيسا: حاضر!

نتاشا: (لسوليوني) الأطفال الرضع يفهمون جيدا. قلت له:
«مرحبا يا بوبيك، مرحبا يا عزيزي!» فنظر إلى نظرة
خاصة. أظن أنني أقول ذلك لأنني أمه، لا، كلا، أكد
لك! إنه طفل خارق.

سوليوني: لو كان هذا الطفل طفلي، لحمرته على المقلاة وأكلته.
(يسير بالكوب إلى غرفة الجلوس ويجلس في الركن).

نتاشا: (تغطي وجهها بيديها) يا لك من فظ، عديم التربية!
ماشاشا: سعيد من لا يلاحظ إن كان الوقت شتاء أم صيفا. يخيل
إلى أنني لو كنت في موسكو لما اهتممت بالجو..

فيرشينين: منذ أيام قرأت مذكرات أحد الوزراء الفرنسيين التي
كتبها في السجن. لقد حكم على الوزير بالسجن في قضية
بنما^(١)، بأى نشوة وإعجاب يتذكر الطيور التي يراها من
نافذة السجن والتي لم يكن يلاحظها من قبل، عندما كان
وزيرا. والآن، وبعد أن أطلق سراحه لم يعد بالطبع يلاحظ
الطيور. وهكذا، فلن تلاحظي موسكو عندما ستقيمين
فيها. ليس لدينا سعادة، ولا توجد، إننا فقط نتمناها.

توزنباخ: (يتناول علبة من على المائدة) وأين الحلوى؟
إيرينا: أكلها سوليوني.

(١) وزير الأشغال العامة بايو (١٨٤٣ - ١٩٠٥). حكم عليه بالسجن بعد اتهامه بتقاضي
رشوة كبيرة من إدارة الشركة التي كانت تقوم بشق قناة بنما. بعد خروجه من السجن
أصدر مذكراته بعنوان «مذكرات سجين». المغرب.

توزنباخ: كلاها؟

أنفيسا: (وهي تتقدم الشاي) لك رسالة يا سيدى.

فيرشينين: لى؟ (يتناول الرسالة) من ابتى. (يقرأ لنفسه) نعم،

بالطبع.. عفوا يا مارياسرجييفنا، أنا سأصرف بهدوء. لن

أشرب الشاي. (ينهض منفعلا) دائما هذه المشاكل..

ماشاشا: ماذا هناك؟ أليس سرا؟

فيرشينين: (بصوت خافت) زوجتى تناولت السم مرة أخرى.

ينبغى أن أذهب. سأمر خفية. كم هذا منفر. (يقبل يد

ماشاشا) يا عزيزتى، أيتها المرأة الطيبة، الرائعة.. سأمر من

هنا بهدوء.. (ينصرف).

أنفيسا: إلى أين هو؟ والشاي.. يا له من..

ماشاشا: (تغضب) كفى! كم أنت مزعجة.. (تسير بالفنجان إلى

الطاولة) أضجرتنى أيتها العجوز!

أنفيسا: ما الذى أغضبك؟ ماذا يا بنيتى؟

صوت أندريه: أنفيسا!

أنفيسا: (تقلده) أنفيسا! قاعد هناك.. (تخرج)

ماشاشا: (فى الصالة، بجوار الطاولة، بغضب) دعونى أجلس!

(تخلط الأوراق على الطاولة) احتلوا المكان بأوراقهم،

اشربوا الشاي!

إيرينا: أنت شريرة يا ماشاشا.

ماشاشا: ما دمت شريرة فلا تتحدثوا معى. لا تلمسونى!

تشيوتيكين: (ضحكا) لا تلمسوها، لا تلمسوها..

ماشاشا: أنت في الستين من عمرك بينما تتصرف كصبي وتهذى دائما بأشياء الشيطان يعلمها.

نتاشاشا: (تتنهد) ماشا العزيزة، ما الداعى لاستخدام هذه العبارات في الكلام؟ بهيئتك الرائعة، أقول لك بصراحة، كان يمكن أن تكونى فاتنة فى المجتمع الراقى، لو لا هذه الكلمات

Je vous prie, pardonnez moi, Marie, mais vous avez de manières un peu grossières.^(١)

توزنباخ: (كأنا ضحكه) أعطونى.. أعطونى.. هناك أظن كونياك.

نتاشاشا: Il parait, que mon بوبيك Déjà ne dort pas.^(٢)

استيقظ. إنه اليوم مريض قليلا. سأذهب إليه، عفوا..
(تخرج)

إيرينا: أين ذهب ألكسندر أجناتيتش؟

ماشاشا: إلى البيت. حدث لزوجته شىء غير عادى مرة أخرى.
توزنباخ: (يتجه إلى سوليونى، فى يده دورق كونياك) دائما تجلس وحدك، تفكر فى شىء ما، ولا أحد يفهم فيم تفكر.
حسنا، تعال نتصالح. هيا نشرب كونياكا.
(يشربان)

اليوم سأضطر إلى العزف على البيانو طوال الليل،
سأعزف فى الغالب أى هراء.. ليكون ما يكون!

(١) أرجو المعذرة يا ماريما ولكن لديك طريقة فظة قليلا. (بالفرنسية فى الأصل).

(٢) يبدو أن بوبيك ليس نائما. (بالفرنسية فى الأصل).

سوليوني: لماذا نتصالح؟ أنا لم أتشاجر معك
توزنباخ: إنك دائما تثير لدى شعورا وكأنها حدث بيننا شيء. ينبغي
أن أصارحك، إن لديك طبعاً غريباً.
سوليوني: (بلهجة إلقاء) أنا غريب، فمن ذا غير الغريب! لا تغضب
يا أليكو^(١)!
توزنباخ: وما دخل أليكو هنا..

(صمت)

سوليوني: عندما أكون مع شخص ما واحد، فلا بأس، أكون
كالآخرين. ولكنني في المجتمع كئيب، خجول و.. أتفوه
بشتي الهراء. ومع ذلك فأنا أشرف وأنبل من كثيرين،
كثيرين جداً. وأستطيع أن أثبت ذلك.
توزنباخ: أنا كثيراً ما أغضب منك، وأنت دائماً ما تتحرش بي
عندما نكون في مجتمع، ومع ذلك أميل إليك لسبب ما.
ليكن ما يكون، فلأسكر اليوم لنشرب!
سوليوني: لنشرب.

(يشربان)

ليس عندي أبداً أي شيء ضدك يا بارون. ولكن طبعي
كقطع ليرمتوف^(٢). (بصوت خافت) بل إنني أشبه

(١) أليكو - بطل قصيدة بوشكين «الفجر». المغرب.

(٢) ميخائيل ليرمتوف (١٨١٤ - ١٨٤١) شاعر روسي كبير يمتاز شعره بالوجدانية الحزينة والشفافية. له رواية «بطل من هذا الزمان». قتل في مبارزة. المغرب.

ليرمتوف قليلا.. كما يقولون.. (يستخرج من جيبه
قارورة عطر ويسكب على يديه).

توزنباخ: سأنتقاعد. كفى! خمس سنوات وأنا أفكر، وأخيرا قررت.
سوف أعمل.

سوليوني: لا تغضب يا أليكو.. فلتنسها، فلتنس أحلامك..
(أثناء حديثهما يدخل أندريه ومعه كتاب ويجلس في هدوء بجوار
الشمعة)

توزنباخ: سوف أعمل.
تشيبيوتكين: (متجها إلى غرفة الجلوس مع إيرينا) والأكل أيضا
كان قوقازيا حقيقيا: شوربة بصل، ثم طبق تشيخارتما
باللحم.

سوليوني: التشيريمشا ليست لحما على الإطلاق، بل نباتا مثل
البصل عندنا.

تشيبيوتكين: كلا يا ملاكى. التشيخارتما ليست بصلا، بل لحم ضأن
محمّر.

سوليوني: وأنا أقول لك التشيريمشا بصل.
تشيبيوتكين: وأنا أقول لك التشيخارتما ضأن.
سوليوني: وأنا أقول لك التشيريمشا بصل.
تشيبيوتكين: لماذا أتحادل معك! أنت لم تكن فى القوقاز أبدا ولم تذق
التشيخارتما.

سوليوني: لم أذقها لأنى لا أطيقها. فبعد أن تأكلها تفوح منك رائحة
الثوم تماما.

أندريه: (ضارعا) كفى يا سادة! أرجوكم!

توزنباخ: متى سيأتى المتكرون؟

إيرينا: وعدوا بالمجىء فى التاسعة، يعنى حالا.

توزنباخ: (يضم أندريه) يا مدخل بيتى ما أعجب^(١)..

أندريه: (يرقص ويغنى) يا مدخل من خشب القيقب..

تشيوتيكين: (يرقص) يا مدخل من خشب شبكى!

(ضحك)

توزنباخ: (يقبل أندريه) يا للشيطان، هيا نشرب. أندريوشا،

هيا نشرب نخب التآخى. وسأهذب معك يا أندريوشا

إلى موسكو، إلى الجامعة.

سوليونى: إلى أى جامعة؟ فى موسكو جامعتان.

أندريه: فى موسكو جامعة واحدة.

سوليونى: وأنا أقول لك جامعتان.

أندريه: فليكن حتى ثلاث. هذا أفضل.

سوليونى: فى موسكو جامعتان!

(زججرة وهسهسة استهجان)

فى موسكو جامعتان، جامعة قديمة وجامعة جديدة. أما

إذا كنت لا ترغب فى سماعى، إذا كانت كلماتى تستفزك

فبوسعى ألا أتكلم. بل حتى أستطيع الذهاب إلى غرفة

أخرى.. (يخرج عبر أحد الأبواب).

(١) أغنية شعبية روسية راقصة، سريعة الإيقاع. العرب.

توزنباح: برافوا، برافوا! (يضحك) ابدأوا يا سادة، أنا سأجلس
إلى البيانو! مضحك سوليوني هذا.. (يجلس إلى البيانو
ويعزف لحن فالس)

ماشاشا: (ترقص الفالس وحدها) البارون سكران، البارون
سكران، البارون سكران!
(تدخل نتاشا)

نتاشا: (لتشيوتيكين) إيفان رومانيتش! (تحدث مع
تشيوتيكين في أمر ما، ثم تخرج بهدوء).
(تشيوتيكين يلمس كتف توزنباخ ويهمس له بشيء ما).
إيرينا: ماذا هناك؟

تشيوتيكين: آن لنا أن نصرف. نترككم بخير.
توزنباخ: ليلة سعيدة. آن أن نصرف.
إيرينا: مهلا.. والمتنكرون؟

أندريه: (محرجا) المتنكرون لن يأتوا. الموضوع يا عزيزتي يعنى..
نتاشا تقول إن بوبيك مريض قليلا، ولذلك.. باختصار
أنا لا أعرف شيئا، وسيان عندي تماما.

إيرينا: (تمزكتفيها) بوبيك مريض!
ماشاشا: ليكن ما يكون! طالما يطردوننا فلنذهب. (لإيرينا) ليس
بوبيك المريض بل هي نفسها.. هكذا (تدق بإصبعها على
جبينها) الجلفة!

(أندريه ينصرف إلى غرفته عبر الباب الأيمن، تشيويتيكين يتبعه، في الصلاة يتبادلون عبارات الوداع)

فيدوتييك: يا للأسف! كنت آمل في قضاء السهرة هنا، لكن إذا كان الصبي مريضا، فطبعاً.. سأحضر له غدا لعبة..
رودى: (بصوت عال) أنا اليوم أخذت قسطي من النوم بعد الغداء خصيصاً، كنت أظن أنني سأرقص طول الليل.
الساعة الآن التاسعة فقط!

ماشاً: لنخرج إلى الشارع ونبحث الأمر. ونقرر ماذا نعمل.
(يُسمع: «وداعاً! نترككم في خير!» يتردد ضحك توزنباخ المرح. الجميع يخرجون. أنفيسا وخادمة تجمعان الأواني من على الطاولة وتطفئان الأضواء. يسمع غناء المربية. يدخل أندريه بهدوء مرتدياً المعطف والقبعة ومعه تشيويتيكين)

تشيويتيكين: لم ألق أن أتزوج لأن الحياة مرقت كالبرق. ثم إنى كنت أحب والدتك بجنون، وكانت متزوجة..

أندريه: لا داعي للزواج. لا داعي لأنه مل.
تشيويتيكين: هو كذلك حقاً، ولكن الوحدة. مهما تفلسفت فالوحدة شيء رهيب يا عزيزي.. رغم أنه في الحقيقة.. طبعاً..
سيان تماماً!

أندريه: هيا، فلنسرع.

تشيويتيكين: ولم العجلة؟ سنلحق.

أندريه: أخشى أن تستوقفنى زوجتى.

تشيويتيكنين: آه!

أندريه: اليوم لن ألعب، سأتفرج فقط. أشعر بوعكة.. ماذا أفعل

يا إيفان رومانيتش لضيق التنفس؟

تشيويتيكنين: لم تسألني! لا أذكر يا عزيزي. لا أعرف.

أندريه: تعال عن طريق المطبخ.

(يخرجان)

(جرس، ثم جرس آخر. تسمع أصوات وضحك)

إيرينا: (تدخل) ماذا هناك؟

أنفيسا: (همسا) المتنكرون!

(جرس)

إيرينا: قولي لهم يا دادة: لا أحد في المنزل. فليعدرونا.

(أنفيسا تخرج. إيرينا تذرع الغرفة مستغرقة في التفكير. تبدو منفعلة. يدخل

سوليوني)

سوليوني: (باستغراب) لا أحد.. وأين الآخرون؟

إيرينا: انصرفوا.

سوليوني: غريبة. وأنت وحدك هنا؟

إيرينا: وحدي.

(صمت)

وداعا.

سوليوني: لم يكن سلوكي منذ قريب متزنا ولا مهذبا. ولكن لست

كالآخرين، أنت سامية وطاهرة، وترين الحقيقة.. أنت

وحدك، لا أحد غيرك يستطيع أن يفهمنى. أنا أحبك،
أحبك بعمق، بلا حدود..

إيرينا: وداعا! انصرف.

سوليونى: لا أستطيع أن أحيأ بدونك. (يمضى خلفها) آه يا نعمتى!
(عبر الدموع) يا سعادتى! أيتها العينان الرائعتان
الساحرتان الفاخرتان، اللتان لم أر لهما مثيلا عند أى
امرأة أخرى..

إيرينا: (برود) كف عن هذا يا فاسيلي فاسيليتش!

سوليونى: أول مرة أبوح بحبى لك، وأشعر كأنها لست على الأرض،
بل على كوكب آخر. (يحك جبينه) حسنا، سيان. بالطبع
لن تغضب أحدا على الحب.. ولكن لا ينبغي أن يكون
لى غرماء سعداء.. لا ينبغي.. أقسم لك بكل المقدسات
إننى سأقتل غريمى.. أوه، يا ساحرتى!

(نتاشا تمر حاملة شمعة)

نتاشا: (تطل فى باب، ثم فى آخر، وتمر بجوار باب غرفة زوجها)
أندريه هنا. فليقرأ. عفووا يا فاسيلي فاسيليتش، لم أكن
أعرف أنك هنا، أنا فى ملابس البيت.

سوليونى: سيان عندى. وداعا! (يخرج).

نتاشا: أنت متعبة يا عزيزتى، يا فتاتى المسكينة! (تقبل إيرينا).
هلا نمت مبكرا.

إيرينا: بوبيك نائم؟

نتاشا: نائم. لكن نومه قلق. بالمناسبة يا عزيزتى، كنت أريد

أن أقول لك، ولكن تارة أنت غير موجودة، وتارة أنا
مشغولة.. أعتقد أن الجو في غرفة بوبيك الحالية بارد
ورطب عليه. وغرفتك ممتازة للطفل. يا عزيزتى،
يا حبيبتي، انتقل إلى غرفة أوليا!

إيرينا: (لا تفهم) إلى أين؟

(يسمع صوت عربة ترويكأ بأجراس تقترب من المنزل)

نتاشا: اسكنى مع أوليا في غرفة واحدة مؤقتا، وغرفتك نعطيها
لبوبيك. كم هو لطيف. اليوم قلت له: «بوبيك أنت لى،
لى!» بينما أخذ ينظر إلى بعينه الحلوتين.
(جرس)

يبدو أنها أوجأ. كم تتأخر!

(الخدام تقترب من نتاشا وتهمس فى أذنها)

بروتوبوبوف؟ يا له من غريب الأطوار. بروتوبوبوف
وصل. يدعونى لركوب الترويكأ معه. (تضحك) ما
أغرب هؤلاء الرجال..

(جرس)

أحدهم جاء. قد أركب معه لأتنزه لربع ساعة.. (للخدام)
قولى له حالا.

(جرس)

الجرس يدق.. إنها أوجأ على ما أعتقد. (تخرج)

(الخادم تنصرف ركضا. إيرينا تجلس مستغرقة في التفكير. يدخل كوليجين وأولجا، ومن خلفهما فيرشينين)

كوليجين: يا لها من مفاجأة. ألم يقولوا إنه ستكون عندهم سهرة. فيرشينين: غريبة، أنا ذهبت منذ وقت قريب، من نصف ساعة، وكانوا في انتظار المتكرين.

إيرينا: الجميع انصرفوا.

كوليجين: وماذا أيضا؟ إلى أين ذهبت؟ ولماذا ينتظر بروتوبوبوف تحت في الترويك؟ من ينتظر؟

إيرينا: لا توجه لى أسئلة.. أنا متعبة.

كوليجين: آه من هذه المتدلة..

أولجا: المجلس انتهى لتوه. تعذبت. رئيستنا مريضة، وأنا الآن أحل محلها. آه، صداع، رأسى.. (تجلس) بالأمس خسر أندريه مائتى روبل فى القمار.. المدينة كلها تتحدث عن ذلك..

كوليجين: نعم، وأنا تعبت فى المجلس. (يجلس)

فيرشينين: زوجتى قررت منذ قليل أن ترهبنى، كادت أن تنتحر سما. كل شىء انتهى بخير، وأنا سعيد، أرتاح الآن.. إذن علينا أن ننصرف؟ حسنا، اسمحوا لى أن أتمنى لكم كل خير. فيودور إبليتش، فلنذهب معا إلى مكان ما! أنا لا أستطيع أن أعود إلى المنزل، لا أستطيع أبدا.. لنذهب! كوليجين: أنا متعب. لن أذهب. (ينهض) متعب. هل ذهبت زوجتى إلى البيت؟

إيرينا: أعتقد.

كوليجين: (يقبل يد إيرينا) وداعا. غدا وبعد غد استراحة طول النهار. أتركك بخير! (يذهب) كم أرغب في شاي. كنت أمل في قضاء سهرة في صحبة لطيفة، ولكن يا Fallacem hominum spes! ^(١) مفعول به وعلامة تعجب..

فيرشينين: إذن سأذهب وحدي. (ينصرف مع كوليجين مصفرا).

أولجا: صداع، رأسى.. أندريه خسر.. المدينة كلها تتحدث.. سأذهب لأرقد. (تذهب) غدا إجازة.. أوه يا إلهي، ما أجمل ذلك! غدا إجازة، وبعد غد إجازة.. رأسى، صداع.. (تخرج).

إيرينا: (وحدها) كلهم ذهبوا، لم يبق أحد.

(في الخارج عزف أكورد يون، مربية تغني)

نتاشا: (في معطف وقبعة من الفراء تمر عبر الصالة. من خلفها الخادم) سأعود بعد نصف ساعة. سأركب قليلا. (تخرج).

إيرينا: (تبقى وحدها، تشعر بالوحشة) إلى موسكو! إلى موسكو، إلى موسكو!

(ستار)

(١) يا أملا إنسانيا وهما (باللاتينية في الأصل).

الفصل الثالث

(غرفة أولجا وإيرينا . سريران إلى اليمين واليسار يحجبهما ستاران. الساعة تدور في الثالثة ليلا. في الخارج يذق ناقوس الإنذار بسبب الحريق الذي شب من وقت طويل. واضح أنهم في المنزل لم يأووا بعد إلى النوم. ماشا راقدة على الكنبه، كالعادة في فستان أسود. تدخل أولجا وأنفيسا)

أنفيسا: هم جالسون الآن تحت السلم.. أقول لهم: «تفضلوا فوق، لا يمكن هكذا»، لكنهم سيكون. يقولون: «لا نعرف أين بابا، نخشى أن يكون احترق، لا قدر الله». ما هذا الكلام! وفي الحوش غيرهم.. وبدون ملابس أيضا.

أولجا: (تخرج من الدولاب ثيابا) خذى هذا الفستان الرمادى.. وهذا أيضا.. والبلوزة أيضا.. وهذه التنورة خذها يا دادة.. يا إلهى ما هذا! حارة كيرسانوف احترقت كلها فيما يبدو.. خذى هذا.. خذى هذا.. (تلقى إليها بملابس) المساكين آل فيرشنينين فزعوا.. كاد بيتهم أن يحترق. فليبيتوا عندنا.. لا تدعوهم يذهبون إلى منزلهم.. فيدوتيك المساكين احترق كل ما عنده، لم يبق شىء..

أنفيسا: هلا استدعيت فيرابونت يا أوليا، الحمل صعب على..
أولجا: (تدق الجرس) لن يسمع.. (في الباب) من هناك، تعال
هنا!

(تظهر في الباب المفتوح نافذة، حمراء من اللهب، تسمع
فرقة الإطفاء مارة بجوار البيت)
يا للفظاعة. كم سئمت هذا!

(يدخل فيرابونت)
خذ هذا، احمله إلى تحت.. أسفل السلم آنسات آل
كولوتيلين.. أعطه لهن. وهذا أيضا أعطه..
فيرابونت: حاضر. في سنة اثنتى عشرة موسكو احترقت أيضا. آه
يا ربى، يا إلهى! اندهش الفرنسيون^(١).

أولجا: اذهب، امش..
فيرابونت: حاضر. (ينصرف).

أولجا: يا دادة، يا عزيزتى، أعطيهم كل شىء.. لسنا بحاجة
إلى شىء، أعطيهم كل ما عندنا يا دادة.. أنا تعب، لا
أقوى على الوقوف.. لا تدعوا آل فيرشنين يعودون إلى
منزلهم.. فلتنم الفتاتان في غرفة الجلوس، وألكسندر
أجناتيفيتش تحت مع البارون.. وفيدوتيك أيضا مع
البارون، أو عندنا في الصالة.. الدكتور، للحظ، سكران،

(١) الإشارة إلى حريق موسكو أثناء الحرب الوطنية ضد الغزاة الفرنسيين عام ١٨١٢.
المغرب.

سكران جدا، ولا يمكن إرسال أحد عنده. وزوجة
فيرشينين أيضا في غرفة الجلوس.

أنفيسا: (بإرهاق) أوليا العزيزة، لا تطرديني! لا تطرديني!

أولجا: ما هذا الكلام الفارغ يا دادة. لا أحد يطردك.

أنفيسا: (تضع رأسها على صدر أولجا) يا حبيبتي، يا كنزى الغالى،

إننى أعمل، أنا أكدح.. إذا ضعفت سيقول الجميع:

اذهبي! فإلى أين أذهب؟ عمرى ثمانون.. الثانية والثمانون

الآن..

أولجا: اجلسي يا دادة.. لقد تعبتي يا مسكينة.. (تجلسها)

استريحى يا حبيبتي. كم أنت شاحبة!

(تدخل نتاشا)

نتاشا: يقولون هناك لا بد من الإسراع بإنشاء جمعية لمساعدة

منكوبى الحريق. ماذا؟ فكرة رائعة. وعموما ينبغي

مساعدة الفقراء، هذا واجب على الأغنياء. بوبيك

وصوفى ينامان وكأنهما لا يحدث شيء. عندنا خلق

كثيرون، البيت كله ملىء بالناس. الإنفلونزا منتشرة

الآن في المدينة، أخشى أن تنتقل العدوى إلى الأولاد.

أولجا: (لا تصغى إليها) من هذه الغرفة لا يرى الحريق، غرفة

هادئة..

نتاشا: نعم.. يبدو أننى مشعثة. (أمام المرأة) يقولون إننى سممت..

غير صحيح! أبدا ماشا نائمة، تعبتي، المسكينة.. (لأنفيسا

برود) إياك أن تجلسي في حضوري! قفى! امشى من هنا!

(أنفيسا تخرج. صمت)

لماذا تحتفظين بهذه العجوز، لست أفهم!

أولجـا: (مذهولة) عفوا، أنا أيضا لا أفهم..

نتاشا: لا داعي لوجودها هنا. إنها فلاحه، ينبغي أن تعيش في

الريف.. ما هذا التدليل! أنا أحب النظام في البيت! لا

ينبغي أن يوجد أشخاص زيادة. (تربت على خدها)

أنت متعبة، يا مسكينة! رئيستنا متعبة! عندما تكبر صوفي

وتدخل المدرسة سوف أخشاك.

أولجـا: لن أكون رئيسة.

نتاشا: سيختارونك يا أوليا. هذا مقرر.

أولجـا: سأرفض. لا أستطيع.. هذا فوق طاقتي..

(تشرب ماء) أنت الآن عاملت الدادة بفضاظة..

اعذريني، ولكني لا أستطيع أن أحتمل.. بل إن الدنيا

غامت أمام عيني..

نتاشا: (بانفعال) سامحيني يا أوليا، سامحيني.. أنا لم أقصد

الإساءة إليك.

(ماشأ تنهض وتأخذ الوسادة وتنصرف غاضبة)

أولجـا: افهمي يا عزيزتي.. ربما تكون تربيتنا غريبة، ولكني

لا أطيق هذا. هذه المعاملة تثقل علىّ، تمرضني.. إنني

أشعر بالخور!..

نتاشا: سامحيني، سامحيني.. (تقبلها).

أولجـا: كل فظاظه، مهها كانت تافهة، وكل كلمة تقال بغير لباقة،
تثيرنى..

نتاشا: أنا كثيرا ما أقول أشياء لا داعى لها، هذا صحيح،
ولكن ألا توافقينى يا عزيزتى، إنها يمكن أن تعيش
فى الريف.

أولجـا: إنها عندنا منذ ثلاثين سنة.

نتاشا: ولكنها الآن لا تقدر على العمل! إما أننى لا أفهمك،
وإما أنك لا تريد أن تفهمينى. إنها لا تقوى على
العمل، إنها تجلس أو تنام فقط.

أولجـا: دعيها تجلس.

نتاشا: (بدهشة) كيف دعيها تجلس؟ ولكنها من الخدم. (من
خلال الدموع) أنا لا أفهمك يا أوليا. أنا عندى دادة،
ومرضعة، وعندنا خادم وطاهية.. فما حاجتنا إلى هذه
العجوز؟ لأى غرض؟

(الناقوس يرق خلف المسرح)

أولجـا: هذه الليلة هربت عشر سنوات.

نتاشا: علينا أن نتفق يا أوليا، اتفاقا لا رجعة فيه.. أنت فى
المدرسة وأنا فى البيت، العلم لك، والشئون المنزلية لى.
وإذا قلت شيئا بخصوص الخدم فأنا أعرف ما أقوله.
أنا أعرف ما أقده.. و.. له.. غدا لا تكون هذه اللصة
العجوز هنا، هزم العجوز الشمطاء.. (تدق بقدميها)

هذه الشيطانة!.. إياك أن تجربني على إثارتى! إياك!
(تمالك نفسها فجأة) بجد، إذا لم تنتقل إلى تحت فسوف
نتساجر دائما. هذا فظيع.

(يدخل كوليجين)

كوليجين: أين ماشا؟ آنا لنا أن نعود إلى البيت. يقولون الحريق
ينتهى. (يتمطى) لم يحترق إلا حى واحد، رغم وجود
رياح، فى أول الأمر بدا وكأن المدينة كلها تحترق.
(يجلس) تعبت. يا أوليا العزيزة.. إننى كثيرا ما أفكر:
لولا ماشا لكنت تزوجتك يا أوليا. أنت لطيفة جدا..
تعبت (يصيح).

أولجا: ماذا؟

كوليجين: كأنها عن عمد، الدكتور عنده نوبة شراب، إنه سكران
جدا. كأنها عن عمد! (ينهض) ها هو قادم إلى هنا، أظن..
أتسمعين؟ نعم، إلى هنا.. (يضحك) يا له من رجل،
فعلا.. سأختبئ. (يتجه إلى الدولاب ويقف فى الركن)
ياله من عرييد.

أولجا: لم يشرب منذ سنتين، وها هو فجأة يغرق فى الشرب..
(تذهب مع نتاشا إلى عمق الغرفة).

(يدخل تشيبيوتكين. لا يترنح، يسير كالمفיק عبر الغرفة، ويتوقف ويتطلع.
ثم يتجه إلى المغسلة ويبدأ فى غسل يديه).

تشيبيوتكين: (عابسا) فليذهبوا جميعا إلى الشيطان.. جميعا.. يظنون

أننى طيب، أجد علاج شتى الأمراض، وأنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق، نسيت كل شيء، لا أذكر شيئاً، على الإطلاق.

(تخرج أولجا وناشا دون أن يلحظ)

فليذهبوا إلى الشيطان. فى الأربعاء الماضى عاجلت امرأة من زاسيبى فماتت. وأنا المذنب فى موتها. نعم.. كنت أعرف بعض الأشياء قبل حوالى خمس وعشرين سنة، أما الآن فلا أذكر شيئاً لا شيء.. فى رأسى خواء، وفى قلبى برودة. ربما لم أكن إنساناً، بل أتظاهر بأن لى يدين ورجلين.. ورأساً. ربما لم أكن موجوداً على الإطلاق، بل يخيل إلى أننى أسير، وأكل، وأنام. (يبكى) أوه لو لم أكن موجوداً! (يكف عن البكاء. يقول عابسا) يا للشيطان.. منذ يومين دار حديث فى النادى. تحدثوا عن شكسبير، فولتير.. أنا لم أقرأ لهما، لم أقرأ لهما شيئاً، ولكنى رسمت على وجهى ملامح المطلع. والآخرون أيضاً مثلى. يا للابتذال! يا للحقارة! وتلك المرأة التى تسببت فى موتها يوم الأربعاء تذكرتها.. تذكرت كل شيء، وأحسست فى روحى بالتشوه، بالقرف، بالوضاعة.. وأطلقت لنفسى العنان، وشربت..

(تدخل إيرينا وفيرشينين وتوزنباخ. توزنباخ يرتدى حلة مدنية جديدة وعصرية)

إيرينا: لنجلس هنا. لن يأتى إلى هنا أحد.

فيرشينين: لولا الجنود لا احترقت المدينة كلها. جدعان! (يفرك يديه
من المتعة) قوم ممتازون! آه ما أجدعهم!
كوليجين: (مقتربا منهم) كم الساعة يا سادة؟
توزنباخ: بدأت تدور في الرابعة. الفجر يلوح.
إيرينا: الجميع يجلسون في الصالة، ولا أحد ينصرف. وصاحبك
سوليوني هذا، جالس.. (لتشيبيوتيكين) هلا ذهبت
فنمت يا دكتور.
تشيبيوتيكين: لا بأس.. أشكرك (يمشط لحيته).
كوليجين: (ضاحكا) سكرت طينة يا إيفان رومانيتش! (يربت على
كتفه) شاطر! قال القدماء: in vino veritas^(١)
توزنباخ: الجميع يرجونني أن أنظم حفلة لصالح منكوبى
الحريق.
إيرينا: حسنا، ومن يستطيع...؟
توزنباخ: يمكن تنظيم الحفل لو هناك رغبة. ماريا سرجييفنا مثلا
تعزف على البيانو بروعة.
كوليجين: تعزف بروعة!
إيرينا: لقد نسيت ذلك. منذ ثلاثة أعوام لم تعزف.. أو ربما
أربعة.
توزنباخ: لا أحد في المدينة على الإطلاق يفهم الموسيقى، ولا

(١) الحقيقة في الخمر (باللاتينية في الأصل).

شخص واحد، ولكنى أنا أفهمها، وأؤكد لك بشرفي،
أن ماريا سرجييفنا تعزف بروعة، بموهبة تقريبا.
كولييجين: أنت محق يا بارون، إننى أحبها جدا، ماشا، إنها لطيفة.
توزنباخ: أن تجيد العزف بهذه العظمة، وفي الوقت نفسه تدرك أن
لا أحد يفهمك، لا أحد!

كولييجين: (يزفر) نعم.. ولكن هل من اللائق لها أن تشترك في
الحفل؟
(صمت)

إننى لا أعرف شيئا يا سادة. ربما كان ذلك طيبا. ينبغي
أن أعترف لكم بأن مديرنا رجل طيب، بل طيب جدا،
ذكى للغاية، ولكن لديه أفكارا كهذه.. بالطبع ليس هذا
شأنه، ومع ذلك، إذا شئتم فقد أتحدث معه.
(تشبيوتيكين يتناول ساعة من الخبز ويتأملها)

فيرشينين: توسخت تماما في الحريق، منظرى غريب.
(صمت)

بالأمس سمعت حديثا عابرا بأن لواءنا سينقل إلى مكان
بعيد. البعض يقول: إلى مملكة بولندا، والبعض الآخر:
إلى تشيتا.

توزنباخ: أنا أيضا سمعت. ماذا؟ إذن ستصبح المدينة خاوية
تماما.

إيرينا: ونحن سرحل!

تشيوتيكين: (تسقط منه الساعة فتتحطم) طارت شظايا!

(صمت. الجميع متضايقون محرجون)

كوليجين: (يجمع الشظايا) أتكسر مثل هذا الشيء الثمين، آه

يا إيفان رومانيتش، يا إيفان رومانيتش، سلوكك تستحق

عليه ناقص صفر!

إيرينا: إنها ساعة المرحومة أمي.

تشيوتيكين: ربما.. حسنا، ساعة ماما. ربما أنا لم أكرها، بل يبدو

فقط أنني كسرتها. ربما يبدو لنا فقط أننا موجودون،

بينما في الحقيقة لا وجود لنا. أنا لا أعرف شيئا، لا أحد

يعرف شيئا. (عند الباب) لماذا تنظرون؟ نتاشا على

علاقة غرامية مع بروتوبوبوف، وأنتم لا ترون.. أنتم

تجلسون هنا، ولا ترون شيئا، بينما نتاشا على علاقة

غرامية مع بروتوبوبوف.. (يغنى) هل ترغب أن تأكل

هذه البلحة..

(مخرج)

فيرشينين: نعم.. (يضحك) ما أغرب هذا في الحقيقة!

(صمت)

عندما بدأ الحريق أسرع ركضا إلى البيت. عندما

وصلت نظرت، فرأيت بيتنا سليما لم يصبه سوء، ولا يهدده

الخطر، ولكن بنتي تقفان عند العتبة، في ملابس النوم،

وأمهات ليست هناك، الناس متجمعون، وتركض الخيول

والكلاب، وعلى وجوه الفتاتين ارتسم القلق، الرعب،
التوسل، لا أدري ماذا. انقبض قلبي عندما رأيت هذه
الملامح. قلت لنفسى: يا إلهى، أى عذاب سيقدر لهما
الصغيرتين أن تعانيه خلال حياتهما الطويلة! التقطتهما
وركضت، وطوال الوقت كنت أفكر فى شىء واحد: أى
عذاب سيقدر لهما أن تعانيه فى هذه الدنيا!

(الناقوس يدق. صمت)

جئت إلى هنا فإذا أمهما هنا، أخذت تصرخ وتغضب.

(تدخل ماشا بالوسادة وتجلس على الكنبه)

عندما كانت ابتدأ واقفتين حافيتين، بملابس النوم فقط
على العتبة، والشارع أحمر من النار، والضجة رهيبه،
فكرت بأن شيئاً مثل هذا كان يحدث منذ سنوات طويلة
مضت، عندما يهجم الأعداء فجأة فينهبون ويحرقون..
وفى الحقيقة فأى فرق هناك بين ما يجرى الآن وما جرى
من قبل! وسوف يمر وقت قليل، حوالى مائتى أو ثلاثمائة
عام، وسينظرون إلى حياتنا الراهنة أيضا بمثل هذا الخوف
والسخرية، وسوف يبدو لهم كل ما لدينا الآن أخرق
وثقيلا، وغير مريح جدا وغريبا. أوه يا لها من حياة
ستكون فى الغالب، يا لها من حياة! (يضحك) عفوا،
مرة أخرى أتفلسف. اسمحوا لى أن أواصل يا سادة. إننى
أرغب بشدة فى التفلسف، عندى مزاج لذلك الآن.

(صمت)

كأنها الجميع نيام. وهكذا أقول: يالها من حياة ستكون!
يمكنكم فحسب أن تتصوروا.. أمثالكم في المدينة
الآن ثلاثة فقط، وفي الأجيال التالية سيكونون أكثر،
أكثر فأكثر، وسيأتي وقت يتغير فيه كل شيء حسبما
تريدون، وستكون الحياة كما تريدون، وبعد ذلك يتقدم
العهد حتى بكم، ويولد أناس آخرون، أفضل منكم..
(يضحك) عندى اليوم مزاج خاص. أرغب في العيش
بجنون.. (يغنى) كل الأعمار تطيع الحب، دفق حرك
نبض القلب^(١).. (يضحك)

ماشـا: ترام.. تم.. تم..

فيرشينين: ترام.. تم..

ماشـا: ترا.. را.. را؟

فيرشينين: ترا.. تا.. تا (يضحك)

(يدخل فيدوتيك)

فيدوتيك: (راقصا) احترقت، احترقت! لآخر فتلة!

(ضحك)

إيرينا: ما هذا المزاح. كل شيء احترق؟

فيدوتيك: (ضاحكا) لآخر فتلة. لم يبق شيء. والجيتار احترق،

والصور احترقت، وكل رسائل.. وأردت أن أهديك

مفكرة، احترقت هي أيضا.

(١) دور الأمير جريمين في أوبرا «يفجيني أنيجين» للموسيقار تشايكوفسكى. المغرب.

(يدخل سوليوني)

إيرينا: لا، أرجوك، اخرج يا فاسيلي فاسيليتش. ممنوع الدخول هنا.

سوليوني: ولماذا مسموح للبارون وممنوع لي؟

فيرشينين: بالفعل، ينبغي أن نذهب. كيف الحريق؟

سوليوني: يقال بدأ ينطفئ. كلا، ولكنني مستغرب جدا، لماذا

مسموح للبارون وممنوع لي؟ (يخرج قارورة عطر

ويسكب منها).

فيرشينين: ترام.. ترام.. تم.. تم.

ماشيا: ترام.. ترام.. تم.

فيرشينين: (يضحك. لسوليوني) لنذهب إلى الصالة.

سوليوني: حسنا، لنسجل هذا في المحضر لولا أخاف غضبة الأوز

والصياح، لقلت رأيي واستفضت في الإيضاح^(١)..

(ينظر إلى توزنباخ) كت.. كت.. كت..

(يخرج مع فيرشينين وفيدوتيك)

إيرينا: ملأ الغرفة دخانا سوليوني هذا.. (باستغراب) البارون

نائم! يا بارون! يا بارون!

توزنباخ: (يستيقظ) أنا تعبان فعلا.. مصنع الطوب.. لست أهذى

بل هذا واقع، فعما قريب سأذهب إلى مصنع الطوب

وأبدأ في العمل.. تحدثت في هذا الموضع. (لإيرينا بركة)

(١) استشهاد غير دقيق ببيت من حكاية «الأوز» للأديب الروسي إيفان كريلوف. العرب.

كم أنت شاحبة، رائعة، جذابة.. يخيل إلى أن شحوبك
يضيء الجو المظلم كالنور.. أنت حزينة، غير راضية عن
الحياة.. أوه، فلتأتى معى، لنعمل معا!

ماشـا: نيكولاى لفوفيتش، اخرج من هنا.
توزنباخ: (ضاحكا) أنت هنا؟ أنا لا أرى. (يقبل يد إيرينا) وداعا،
أنا راحل.. أنظر إليك الآن وأتذكرك فى زمن بعيد، فى
عيد شفيعتك، عندما كنت مفعمة بالحياة، مريحة،
تحدثين عن سعادة العمل.. وكم لاحت لى ساعتها
آفاق حياة سعيدة! فأين هى؟ (يقبل يدها) أرى الدموع
فى عينيك. اذهبي نامى، الفجر طلع.. سيبدأ الصباح..
لو كان مسموحا لى بأن أقدم حياتى فداءك!

ماشـا: نيكولاى لفوفيتش اخرج! كفى حقاً..

توزنباخ: أنا خارج.. (يخرج)

ماشـا: (ترقد) أنت نائم يا فيودور؟

كوليجين: هه؟

ماشـا: هلا عدت إلى البيت.

كوليجين: ماشا يا عزيزتى، ماشا يا حبيبتى..

إيرينا: إنها متعبة. دعها تستريح يا فيودور.

كوليجين: سأذهب حالا.. زوجتى طيبة، رائعة.. أحبك يا حبيبى
الوحيد..

ماشـا: (بغضب) Amo, amas amat, amamus, amatis, (١)

amant

كوليجين: (يضحك) حقا، إنها مدهشة. تزوجتك منذ سبع سنين،
بينما يخيل لى أننى تزوجتك بالأمس فقط أقسم بشرفى.
حقا أنت امرأة مدهشة. أنا مبسوط، أنا مبسوط، أنا
مبسوط!

ماشـا: سئمت، سئمت، سئمت.. (تنهض وتتحدث جالسة)
لا أستطيع أن أبعده عن تفكيرى.. شىء يثير السخط.
كالمسمار فى رأسى، لا أستطيع أن أسكت. أنا أقصد
أندريه.. رهن البيت فى البنك، واستولت زوجته على
المبلغ كله، ولكن البيت ليس ملكه وحده، بل ملكنا
الأربعة! عليه أن يعرف هذا، إذا كان رجلا شريفا.

كوليجين: دعيك من ذلك يا ماشا! ما حاجتك إليه؟ أندريوشا
مدين للجميع، ليكن، له الله.

ماشـا: هذا مثير للسخط على أى حال. (ترقد)

كوليجين: نحن لسنا فقراء. أنا أعمل، أذهب إلى المدرسة ثم أعطى
دروسا.. أنا رجل شريف. بسيط.. Omnia mea (٢)
mecum porto كما يقال.

ماشـا: لست بحاجة إلى شىء، ولكن الظلم يثيرنى.

(١) أحب، تحب، يحب، نحب، تحبون، يحبون. (باللاتينية فى الأصل).

(٢) كل ما أملكه أحمله معى. (باللاتينية فى الأصل).

(صمت)

اذهب يا فيودور.

كوليجين: (يقبلها) أنت متعبة، استريحى نصف ساعة، وسأجلس أنا هناك، سأنتظرك. نامى.. (يمضى) أنا مبسوط. أنا مبسوط، أنا مبسوط. (مخرج)

إيرينا: حقا، إلى أى حد تدهور أخونا أندريه، كم ذبل وهرم بجوار هذه المرأة! فى وقت ما كان يستعد لأن يصبح أستاذا، وبالأمس تباهى بأنه أصبح، أخيرا، عضوا بالمجلس المحلى. هو عضو المجلس وبرتوبوبوف رئيسه.. المدينة كلها تتحدث وتسخر، وهو الوحيد الذى لا يعرف ولا يرى شيئا.. وها قد أسرع الجميع إلى الحريق، أما هو فيجلس فى غرفته ولا يبالي بشىء.. فقط يعزف على الكمان. (بعصية) أوه، فظاعة، فظاعة! (تبكى) أنا لا أستطيع، لا أستطيع أن أحتمل أكثر!.. لا أستطيع، لا أستطيع!

(تدخل أوجا، تنظف المكان بجوار طاولتها)

(تتنحب بصوت عال) دعونى، دعونى! لم أعد أحتمل!

أوجا: (فزعة) ماذا، ماذا بك؟ يا عزيزتى!

إيرينا: (تتنحب) أين؟ أين؟ اين اختفى كل شىء؟ أين هو؟ يا إلهى، يا إلهى! أنا نسيت، نسيت كل شىء.. اختلط فى

ذهنى كل شىء.. لا أذكر كيف تكون نافذة بالإيطالية،
أو سقف.. أنسى كل شىء، كل يوم أنسى، بينما الحياة
تنقضى ولن تعود أبدا، أبدا، لن نرحل إلى موسكو أبدا..
أنا أرى أننا لن نرحل..

أولجا: يا عزيزتى، يا عزيزتى..

إيرينا: (تكتم انفعالها) أوه، كم أنا تعيسة.. لا أستطيع أن أعمل،
لن أعمل. كفى، كفى! كنت أعمل فى التليغراف، والآن
فى إدارة المدينة، وأكرهه، أحتقر كل عمل يكلفوننى به..
أنا فى الرابعة والعشرين، وأعمل من زمن طويل، وعقلى
جفّ، وأنا نحفت، وقبحت، وهرمت، ولا شىء، لا
شىء، لا متعة على الإطلاق، بينما الزمن يمضى، ويخيل
إلى طوال الوقت أننى أبتعد عن الحياة الحقيقية الرائعة،
أبتعد أكثر فأكثر، نحو هاوية ما. أنا يئست، يئست،
يئست! وكيف لا أزال حية، كيف لم أقتل نفسى إلى
الآن، لست أفهم..

أولجا: لا تبكى يا صغيرتى، لا تبكى.. إننى أتعذب.

إيرينا: أنا لا أبكى، لا أبكى.. كفى.. هكذا، انظرى، أنا لا
أبكى. كفى.. كفى!

أولجا: يا عزيزتى، أقول لك كأخت، كصديقة، إذا أردت

نصيحتى تزوجى البارون!

(إيرينا تبكى بصوت خافت)

إنك تحترمينه، وتقدرينه كثيرا.. صحيح أنه غير جميل، ولكنه مستقيم، طاهر.. الفتيات لا يتزوجن بدافع الحب، بل فقط أداء للواجب. أنا على الأقل أفكر هكذا، وسأتزوج دون حب لو عُرض عليّ. أيا كان الخاطب، سيان، سأتزوج، المهم أن يكون إنسانا مستقيما. بل حتى لو كان عجوزا..

إيرينا: كنت طوال الوقت أنتظر أن تنتقل إلى موسكو، وهناك سألقى فارس أحلامي الحقيقي، الذي كنت أحبه.. ولكن ظهر أن كل شيء هراء، هراء..

أولجا: (تضم شقيقتها) يا حبيبتي، يا شقيقتي الرائعة، أنا أفهم جيدا. عندما ترك البارون نيكولاى لفوفيتش الخدمة العسكرية وجاء إلينا فى ستره، بدا لى قبيحا إلى درجة، حتى إننى بكيت.. وسألنى: «ماذا يبكيك؟» فكيف أجيبه! ولكن لو قدر له الله أن يتزوجك، لكنت سعيدة. المسألة هنا مختلفة، مختلفة تماما.

(ناتاشا تمر عبر الخشبة فى صمت من الباب الأيمن إلى الأيسر، حاملة شمعة)

ماشيا: (تجلس) إنها تسير هكذا وكأنها هى التى أشعلت الحريق.

أولجا: أنت غبية يا ماشيا. أنت أغبى شخص فى عائلتنا. اعذرينى من فضلك.

ماشـا: أريد يا شقيقتي العزيزتين أن أعترف بذنبي. روجي
تتعذب. سأعترف لكما ولن أبوح لغيركما، أبدا.. لحظة
واحدة، سأقول. (بصوت خافت) إنه سرى أنا، ولكن
ينبغي أن تعرفا كل شيء.. لا أستطيع السكوت..

(صمت)

أنا أحبه، أحبه.. أحب هذا الرجل.. لقد رأيتماه لتوكما..
فليكن إذن. باختصار، أحب فيرشينين..
أولجـا: (تذهب إلى فراشها وراء الستار) دعيك من ذلك. سيان،
أنا لا أسمع.

ماشـا: وما العمل! (تمسك رأسها بيديها) بدالي أولا أنه غريب،
ثم أحببته.. أحببته بصوته، بكلماته، ببلاياه، بابتئيه..
أولجـا: (من وراء الستار) سيان، أنا لا أسمع. مهما قلت من
حماقات، فإنني لا أسمعها.

ماشـا: أوه، أنت غريبة يا أوليا. أحبه، إذن فهو قدرى. هكذا، إذن،
نصيبى.. وهو يجبنى.. هذا كله مرعب. نعم؟ عيب هذا؟
(تشد إيرينا من ذراعها وتضمها إليها) أوه يا عزيزتى..
كيف ستمضي حياتنا، ترى إلام مصيرنا.. عندما تقرئين
رواية ما يبدو لك ذلك كله قديما وجد مفهوم، وما إن
تحبين بنفسك حتى ترين أنه لا أحد يعرف شيئا، وعلى
كل واحد أن يقرر بنفسه.. يا شقيقتي العزيزتين.. ها قد

اعترفت لكما، والآن سأصمت.. سأصبح الآن مثل

مجنون جوجول.. صمتا.. صمتا^(١)..

(بدخل أندريه، وخلفه فيرابونت)

أندريه: (بغضب) ماذا تريد؟ أنا لا أفهم.

فيرابونت: (في الباب، بفروغ صبر) قلت يا أندريه سرجيش عشر مرات.

أندريه: أولاً أنا بالنسبة لك لست أندريه سرجيش، بل صاحب السعادة!

فيرابونت: رجال الإطفاء يا صاحب السعادة يرجون السماح لهم بالمرور من البستان للوصول إلى النهر. لأنهم يدورون يدورون حول المكان، تعذبوا تماماً!

أندريه: طيب. قل لهم طيب.

(فيرابونت يخرج)

أضجروني. أين أولجا؟

(أولجا تظهر من خلف الستار)

جئت أطلب منك مفتاح الدولاب، لقد فقدت مفتاحي. لديك مفتاح صغير.

(أولجا تناوله المفتاح في صمت. إيرينا تذهب إلى سريرها

وراء الستار. صمت)

(١) الإشارة إلى قصة جوجول «مذكرات مجنون» حيث تتردد عبارة: «لا بأس، لا بأس.. صمتا». المعرب.

يا له من حريق ضخمة! الآن بدأ يهدأ. يا للشيطان،
غاضني فيرابونت هذا فقلت له شيئاً أحق.. صاحب
السعادة..

(صمت)

مالك صامته يا أوليا؟

(صمت)

آن الأوان لأن تتركى عنك هذه الحماقات ولا تغضبى
هكذا، بلا سبب.. أنت هنا يا ماشا، وإيرينا هنا، هذا
رائع، فلتتصارع، مرة وإلى الأبد. ما الذى تأخذنه على؟
ماذا؟

أولجا: دعك من هذا يا أندريوشا. غدا نتصارع. (بقلق) يا لها
من ليلة مضنية!

أندريه: (مرتبك للغاية) اطمئنى. إننى أسألكن بكل برود
أعصاب: ما الذى تأخذنه على؟ تكلمن بصراحة.
(صوت فيرشينين: «ترام.. تم.. تم!»)

ماشاشا: (تنهض، بصوت عال) ترا.. تا.. تا! (لأولجا) وداعا
يا أوليا، فى رعاية الله. (تمضى إلى ماوراء الستار وتقبل
إيرينا) نامى مطمئنة.. وداعا يا أندريه. اذهب، إنهما
متعبتان.. غدا نتصارع.. (تنصرف)

أولجا: حقا يا أندريوشا، لتؤجله إلى الغد.. (تذهب إلى ركنها
وراء الستار) آن أن ننام.

أندريه: سأقول كلمتين وأنصرف. حالا.. أولا: أنتن تأخذن شيئا ما على نتاشا، زوجتي، وأنا ألاحظ ذلك منذ يوم الزفاف. لو أردتن أن تعرفن رأيي إن نتاشا إنسانة رائعة، شريفة، صريحة ونبيلة. هذا هو رأيي. إنني أحب زوجتي وأحترمها، أفهمهم، أحترمها، وأطالب الآخرين أيضا باحترامها. أكرر، إنها إنسانة شريفة، نبيلة، وكل ما تبدينه من عدم رضى، فاعذرني، هذا نزق..

(صمت)

وثانيا: يبدو وكأنكن غاضبات لأننى لم أصبح أستاذا، ولا أشتغل بالعلم. ولكنى أعمل فى المجلس المحلى، وأنا عضو إدارة، وأعتبر عملى هذا خدمة مقدسة وجيلية كخدمة العلم. إننى عضو إدارة المجلس المحلى، وأفخر بذلك، إذا أردتن أن تعرفن..

(صمت)

وثالثا.. مازالت معى الكمة. لقد رهنت البيت دون أن أستأذنكن.. أنا مخطئ فى ذلك، نعم، وأرجو المَعذرة. دفعتنى إلى ذلك الديون.. خمسة وثلاثون ألفا.. أنا لم أعد ألعب القمار، من زمان، ولكن أهم ما أستطيع أن أقوله تبريرا لموقفى هو أنكن، الفتيات، تحصلن على معاش، أما أنا فلم يكن عندى.. دخل، كما يقال..

(صمت)

كوليجين: (فى الباب) أليست ماشا هنا؟ (بقلق) أين هى إذن؟ هذا غريب.. (ينصرف)

أندريه: لا يسمع وننى. نتاشا إنسانة رائعة، شريفة (يذرع خشبة المسرح فى صمت، ثم يتوقف) عندما تزوجت، ظننت أننا سنكون سعداء.. الكل سعداء.. ولكن يا إلهى.. (بيكى) يا شقيقاتى العزيزات، يا شقيقاتى الغاليات، لا تصدقننى، لا تصدقن.. (يخرج)

كوليجين: (فى الباب، بقلق) أين ماشا؟ أليست ماشا هنا؟ شىء عجيب. (يخرج)

(الناقوس يدق الخشبة خاوية)

إيرينا: (خلف الستار) أوليا، من الذى يدق عل الأرضية؟
أولجا: الدكتور إيفان رومانيتش. إنه سكران.
إيرينا: يا لها من ليلة مزعجة!
(صمت)

أوليا! (تظل من وراء الستار) هل سمعت؟ اللواء سيأخذونه منا، ينقلونه إلى مكان بعيد.
أولجا: هذه مجرد إشاعات.
إيرينا: سنبقى وحدنا عندئذ.. أوليا!
أولجا: ماذا؟

إيرينا: يا عزيزتى، يا حبيبتى، إننى أحترم البارون، وأقدره، إنه شخص رائع، سأتزوجه، موافقة، لكن لنرحل إلى موسكو! أتوسل إليك، لنرحل! ليس فى الدنيا أفضل من موسكو! لنرحل يا أوليا، لنرحل!
(ستار)

الفصل الرابع

(بستان قديم ملحق بمنزل آل بروزوروف. ممر طويل من أشجار الشوح، يرى في نهايته نهر. في الضفة الأخرى من النهر غابة. إلى اليمين شرفة المنزل. هنا، على طاولة، زجاجات وأكواب. من الواضح أن الحاضرين قد شربوا شمبانيا لتوهم. الساعة الثانية عشرة ظهرًا. من الشارع يمر بعض المارة إلى النهر عبر البستان من حين لآخر. يمر بسرعة حوالى خمسة جنود. تشيبيوتيكين في مزاج منشرح لا يفارقه طوال هذا الفصل، يجلس في مقعد في البستان منتظرًا إلى حين يدعونه. يرتدى عمرة ويمسك بعضا. إيرينا، وكوليجين بوسام قلادة في عنقه، بلا شوارب؛ وتوزنباخ، يقفون في الشرفة ويودعون فيدوتيك ورودي اللذين يهبطان. الضابطان في زى السفر).

توزنباخ: (يتبادل القبلات مع فيدوتيك) أنت طيب، كم عشنا في وفاق. (يتبادل القبلات مع رودي) ثانية.. وداعا يا عزيزى!

إيرينا: إلى اللقاء!

فيدوتيك: ليس إلى اللقاء بل وداعا، لن نتقابل بعد أبدا!

كولييجين: من يدري! (يمسح عينيه، يبتسم) ها أنذا قد بكيت.

إيرينا: سنلتقى يوما ما.

فيدوتيك: بعد عشر أو خمس عشرة سنة؟ ولكننا حينذاك لن

نعرف بعضنا في الغالب، وستبادل التحية ببرود..

(يلتقط صورة) قفوا.. مرة ثانية، لآخر مرة.

رودي: (يضم توزنباخ) لن نلتقى بعد.. (يقبل يد إيرينا) شكرا

على كل شيء، على كل شيء!

فيدوتيك: (بأسى) انتظر!

توزنباخ: إن شاء الله نلتقى. اكتبنا لنا. اكتبنا ضروري.

رودي: (يلقي نظرة على البستان) وداعا يا أشجار!

(يصيح) هوب.. هوب!

(صمت)

وداعا يا صدى!

كولييجين: احذرا أن تتزوجا في بولندا.. الزوجة البولندية ستعانقك

وتقول «كوخاني»^(١)! (يضحك)

فيدوتيك: (ينظر إلى الساعة) بقى أقل من ساعة. من بطاريتنا لن

يستقل الصندل سوى سوليوني، أما نحن فسنذهب

مع وحدة الطابور. سترحل اليوم ثلاث بطاريات

فوجا، وغدا ثلاث أخرى، ثم يحل في المدينة الهدوء

والسكينة.

(١) حبيبي (بالبولونية).

توزنباخ: والملل الرهيب.

رودی: وأین ماريا سرجیئنا؟

کوليجين: ماشا فى البستان.

فیدوتیک: ینبغى أن نودعها.

رودی: وداعا، ینبغى أن أذهب وإلا بکیت.. (يعانق بسرعة

توزنباخ وکوليجين، یقبل يد إیرینا) قضینا هنا فترة

رائعة..

فیدوتیک: (لکوليجين) هذالك، للذكرى.. مفكرة بقلم.. سنذهب

من هنا إلى النهر..

(یبتعدان، یتلفتان)

رودی: (یصیح) هوب.. هوب!

کوليجين: (یصیح) وداعا!

(فى عمق المسرح یلتقى فیدوتیک ورودی بماشا ویودعانها. تنصرف

معهما).

إیرینا: ذهابا.. (تجلس على أسفل درجات الشرفة)

تشیووتیکين: نسیا أن یودعانى.

إیرینا: وأنت، لماذا سکت؟

تشیووتیکين: أنا أيضًا نسیت. على أى حال سأراهما قریبًا. غدا

أرحل. نعم.. بقى لددى يوم آخر. بعد عام سأحال إلى

التقاعد، عندئذ سأتى إلى هنا ثانية، وأقضى بقية عمرى

بجوارکم.. لم یبق لى حتى المعاش سوى سنة واحدة..

(يضع الصحيفة في جيبه، ويخرج أخرى) ساتى إليكم
هنا فأغير حياتى تغييراً جذرياً. سأصبح وديعاً.. مسالماً؛
مستقيماً..

إيرينا: أنت بحاجة إلى تغيير حياتك يا عزيزى. بطريقة ما.
تشيوتيكين: نعم. أشعر. (يغنى بصوت خافت) ترا.. را.. بومبيا..
أنتِ يا حلوة يا..

كوليجين: إيفان رومانيتش لا يمكن إصلاحه! لا يمكن!
تشيوتيكين: لو أتعلم على يدك. إذن لأمكن إصلاحى.
إيرينا: فيودور حلق شنبه. لا أطيق رؤيته!

كوليجين: وماذا؟

تشيوتيكين: كان بودى أن أقول لك ماذا تشبه سحتك الآن، لكنى
لا أستطيع.

كوليجين: فليكن! هذا متبع. هذا modus vivendi^(١) المدير
عندنا بلا شنب، وأنا أيضاً، ما إن أصبحت مفتشاً حتى
حلقتة. أنا مبسوط. بشنب أم بلا شنب فأنا مبسوط
بنفس الدرجة.. (يجلس)

(فى عمق المسرح أندريه يدفع عربة بها طفل نائم)

إيرينا: إيفان رومانيتش، يا عزيزى، أيها الحبيب، أنا قلقة
لللغاية. أنت كنت بالأمس فى المتزّه، خبرنى، ماذا
حدث هناك؟

(١) نمط الحياة المتبع (باللاتينية فى الأصل).

تشيوتيكين: ماذا حدث؟ لا شيء. شيء تافه. (يقرأ الجريدة)
سيان!

كوليجين: كما يقولون، فقد التقى سوليوني والبارون أمس في
المنتزه قرب المسرح..

توزنباخ: كفاك! حقا، ما هذا.. (يشيح بيده ويدخل إلى البيت)
كوليجين: قرب المسرح.. وأخذ سوليوني يتحرش بالبارون، فلم
يطلق البارون صبرا وقال له شيئا مهينا..
تشيوتيكين: لا أدري. هراء كل هذا.

كوليجين: يقال إن سوليوني يعشق إيرينا وإنه أصبح يمقت
البارون.. هذا مفهوم. إيرينا فتاة رائعة. إنها حتى تشبه
ماشاء، ومثلها متروية. لكن طبعك يا إيرينا ألطف. رغم
أن طبع ماشاء، عموما، هو أيضا جيد جدا، أنا أحبها،
ماشاء.

(في عمق البستان خلف المسرح تردد: «أو! أو! هوب.. هوب!»)
إيرينا: (تتفضل) طوال اليوم يفزعونني.
(صمت)

جهزت كل شيء، بعد الغداء أرسل حاجياتي.
سنعقد قرانا أنا والبارون غدا، وغدا أيضا نرحل إلى
مصنع الطوب، وبعد غد أكون في المدرسة، ستبدأ
حياة جديدة. فكيف ستكون؟ عندما أدت امتحان
المدرسات بكيث من الفرحة، من التأثر..
(صمت)

ستأتى الآن عربة لنقل الحاجيات..

كوليجين: هذا كله صحيح، ولكن لا يبدو جادا. مجرد أفكار،
والجدى فيه قليل. وعموما، أتمنى لك من صميم
قلبي.

تشيوتيكين: (بتأثر) يا رائعتى، يا حلوة.. يا غالىتى.. ابتعدت كثيرا،
من الصعب اللحاق بك. تخلفت أنا، مثل طير مهاجر
أدركته الشيوخوخة، فلا يقوى على الطيران. طيروا
يا أحبائى، طيروا فى رعاية الله!
(صمت)

عبثاً حلفت شنبك يا فيودور إيليتش.

كوليجين: كفاك! (يتنهد) اليوم سيرحل العسكريون، ويعود كل
شئ إلى سابق العهد. ومهما قيل، فإن ماشا امرأة
طيبة، شريفة، وأنا أحبها جدا، وأشكر قدرى. الأقدار
تختلف لدى الناس.. يعمل هنا فى الضرائب شخص
يدعى كوظيريف. كان يدرس معى، وفصلوه من
الصف الخامس فى المدرسة لأنه لم يستطع أبدا أن
يفهم ut consecutivum^(١). وهو الآن يعيش فى فقر
فظيع، ومريض، وعندما أقابله أقول له: «مرحبا يا
ut consecutivum فىقول: نعم، فعلا ut consecutivum..
ويسعل. أما أنا فالحظ يحالفنى طول حياتى، أنا سعيد،

(١) إحدى قواعد تركيب الجملة فى اللغة اللاتينية. المغرب.

بل حتى لدى وسام ستانسلاف من الطبقة الثانية، وأنا
نفسى أدرس الآن للآخرين هذه الـ ut consecutivum
طبعاً أنا رجل ذكى، أذكى من كثيرين، ولكن السعادة
ليست فى هذا..

(فى المنزل يعزفون على البيانو لحن «صلاة
العذراء»^(١))

إيرينا: فى مساء الغد لن أسمع «صلاة العذراء» هذه، ولن
التقى مع بروتوبوبوف..

(صمت. بروتوبوبوف جالس هناك فى غرفة الجلوس.
والיום أيضاً جاء..)

كوليجين: ألم تأت الرئيسة بعد؟

(فى عمق المسرح تمر ماشا بهدوء، تتجول)

إيرينا: كلا. أرسلنا فى طلبها. آه لو تدرى كم تصعب علىّ
الحياة هنا وحدى، بدون أوليا.. إنها تعيش فى
المدرسة. إنها رئيسة، طول النهار مشغولة بالعمل،
أما أنا فوحدى، أشعر بالملل، ولا عمل عندى،
وأمقت الغرفة التى أحيا فيها.. لقد قررت لنفسى:
إذا لم يقدر لى أن أنتقل إلى موسكو، فليكن. إذن
تلك مشيئة القدر. ما باليد حيلة.. كل شىء بإرادة
الله، هذا صحيح. نيكولاى لفوفيتش طلب يدي..

(١) معزوفة للموسيقارة البولندية بدار جيفسكايا - برانوفسكايا (١٨٣٨-١٨٦٢). المغرب.

حسنا. فكرت وقبلت. إنه إنسان طيب. طيب، إلى
درجة مدهشة.. فكأنما نبت لروحي جناحان فجأة،
داخلى المرح، وأحسست بخفة، فعاودتنى الرغبة
فى أن أعمل، وأعمل.. لكن بالأمس حدث شىء ما،
سرّ ما قد خيّم على..

تشيوتيكين: هراء..

نـشـا: (فى النافذة) الرئيسة!

كوليجين: الرئيسة وصلت. هيا بنا.

(يدخل البيت مع إيرينا)

تشيوتيكين: (يقرأ الصحيفة، ويدندن بصوت خافت) ترا.. را..

بومبيا.. أنتِ يا حلوة يا..

(ماشـا تقترب، فى العمق أندريه يدفع عربة أطفال)

ماشـا: جالس هنا، مرتاح..

تشيوتيكين: وماذا؟

ماشـا: (تجلس) لا شىء..

(صمت)

هل كنت تحب أمى؟

تشيوتيكين: جدا.

ماشـا: وهى، كانت تحبك؟

تشيوتيكين: (بعد صمت) لم أعد أذكر.

ماشـا: رجلى هنا؟ كانت طاهيتنا مارفا تتحدث عن زوجها
الشرطى هكذا: رجلى.. رجلى هنا؟
تشيبوتيكين: كلا بعد.

ماشـا: عندما تأخذ السعادة خطفا، قطعة قطعة، ثم بعد ذلك
تفقدوها، مثلى، تجد نفسك شيئا فشيئا قد أصبحت فظا،
حقودا (تشير إلى صدرها) هنا يغلى.. (تنظر إلى شقيقها
أندريه الذى يدفع عربة الأطفال) ها هو أندريه، شقيقنا..
ها هى الآمال الخائبة. آلاف الناس رفعوا الناقوس،
وأنفق عليه من الجهد والمال الكثير، وإذا به يسقط فجأة
ويتحطم. فجأة، بلا أى مقدمات. هكذا أندريه..

أندريه: متى يهدأون أخيرا فى هذا البيت. يا للضجة.
تشيبوتيكين: قريبا. (ينظر إلى ساعته ثم يملؤها. الساعة تدق) ساعتي
عتيقة، برنين.. البطارية الأولى والثانية والخامسة
سترحل فى الواحدة تماما.

(صمت)

وأنا غدا.

أندريه: نهائيا؟
تشيبوتيكين: لا أدرى. ربما أعود بعد عام. ولكن، الشيطان يعلم..
سيان..

(يسمع عزف على القيثارة والكمان آت من بعيد)

أندريه: ستصفر المدينة. كأنما سيضعون فى أذنيها سداة.

(صمت)

حدث شيء ما أمس بجوار المسرح. الجميع يتحدثون عنه، وأنا لا أعرف.

تشيبوتيكين: لا شيء. حماقات.. سوليوني أخذ يتحرش بالبارون، فأحقد هذا عليه وأهانته، وانتهى الأمر بأن اضطر سوليوني أن يدعو للمبارزة. (ينظر إلى ساعته) أعتقد حان الوقت.. فى الثانية عشرة والنصف، فى الغابة الأميرية، فى تلك التى ترى من هنا وراء النهر.. طيح.. طاخ (يضحك) سوليوني يظن نفسه ليرمتوف، بل ويكتب أشعارا. ولكن بعيدا عن المزاح، هذه هى المبارزة الثالثة له.

ماشأ: لمن؟

تشيبوتيكين: لسوليوني.

ماشأ: والبارون؟

تشيبوتيكين: ما له البارون؟

(صمت)

ماشأ: كل شيء اختلط فى رأسى.. ومع ذلك لا يجوز السماح

لهما. فهو قد يجرح البارون، أو حتى قد يقتله.

تشيبوتيكين: البارون إنسان طيب، ولكن بارونا أكثر أو بارونا أقل،

أليس سيان؟ ليكن! سيان!

(فى البستان صيحة: «آو! هوب.. هوب!»)

مهلاً. إنه سكفور تسوف يصيح، الشاهد. جالس فى القارب.

(صمت)

أندريه: أعتقد أن المشاركة فى المباراة وحضورها، حتى ولو كطبيب، عمل لا أخلاقى.

تشيوتيكين: هذا يبدو فقط.. لا شىء فى الدنيا، نحن غير موجودين، بل يبدو فقط أننا موجودون.. ثم أليس سيان!

ماشـا: هكذا طوال النهار يتحدثون، يتحدثون.. (تسير) نعيش فى جو لا تدرى فيه إلا والثلج يهطل فجأة، ثم إذا بهذه الأحاديث.. (تتوقف عن السير) لن أدخل المنزل، لا أستطيع دخوله.. عندما يحضر فيرشنين أخبرونى.. (تسير فى الممر) الطيور المهاجرة بدأت ترحل.. (تنظر إلى أعلى) بجع أو أوز.. أيتها العزيزات.. حبيبائى السعيدات..

(يخرج)

أندريه: سيخلو بيتنا. سيرحل الضباط، وسترحل أنت، شقيقتى ستزوج، وسأبقى وحدى فى المنزل.

تشيوتيكين: وزوجتك؟

(فيرابونت يدخل بأوراق)

أندريه: الزوجة هى الزوجة. إنها مستقيمة، شريفة ولنقل طيبة، ومع ذلك ففيها شىء يحط منها إلى مستوى حيوان تافه،

أعمى، خشن الملمس. إنها على أى حال ليست إنسانا.
أقول لك هذا باعتبارك صديقى، الشخص الوحيد الذى
أستطيع أن أفتح له قلبى. أنا أحب نتاشا، هذا صحيح،
ولكنها تبدو لى أحيانا مبتذلة إلى درجة مذهلة، وعندئذ
أرتبك، ولا أفهم لماذا وعلام أحبها هكذا، أو على
الأقل، كنت أحبها..

تشيوتيكين: (ينفض) إننى مسافر غدا يا أخى، وربما لن نلتقى
بعد أبدا، فإليك نصيحتى إذن. اسمع. البس القبعة،
وخذ العصا فى يدك وارحل.. ارحل وامش، امش ولا
تلتفت. وكلما ابتعدت كان هذا أفضل.

(سوليونى يمر فى عمق المسرح مع ضابطين. يرى تشيوتيكين
فيتجه إليه. الضابطان يواصلان سيرهما).

سوليونى: يا دكتور، حان الوقت! الساعة منتصف الواحدة (يحسب
أندريه)

تشيوتيكين: حالا. أضجرتمنى. جميعا. (لأندريه) لو سأل عنى
أحد يا أندريوشا، فقل إننى حالا.. (يتنهد) أوه،
أوه!

سوليونى: من قبل أن يفتح فاه دهشة هاجمه الدب ونهشه. (يسير
معه) ما لك تزرر أياها العجوز؟

تشيوتيكين: كفى!

سوليونى: كيف الصحة؟

تشيوتيكين: (بغضب) مثل المرأة القبيحة.

سوليوني: عبثا يقلق العجوز. لن أسمح لنفسى إلا بالقليل، فقط سأرديه كدجاجة برية. (يخرج قارورة عطر ويسكب منها على يديه) سكبت اليوم قارورة، ومع ذلك ما زالت رائحتها تفوح. من يدى تفوح رائحة جثة.

(صمت)

هكذا.. أتذكر هذه القصيدة؟ مضطربا يروم عاصفة،
كما لو أن فى العواصف الهدوء..

تشيوتيكين: نعم. من قبل أن يفتح فاه دهشة هاجمه الدب ونهشه.
(يخرج مع سوليوني)

(نسمع صيحات: «هوب.. هوب! آو». يدخل أندريه وفيرابونت)

فيرابونت: ألا توقعون الأوراق..

أندريه: (بعصبية) ابتعد عني! ابتعد! أرجوك! (يخرج دافعا
عربة الأطفال)

فيرابونت: ولكن الأوراق وجدت لكى يوقعوا عليها (يمضى إلى
عمق المسرح)

(تدخل إيرينا وتوزنباخ فى قبعة من القش، كوليجين يمر عبر المسرح
صائحا: «يا ماشا! آو!»)

توزنباخ: أظن أن هذا هو الشخص الوحيد فى المدينة الذى يسره
رحيل العسكريين.

إيرينا: هذا مفهوم.

(صمت)

ستخلو مدينتنا الآن.

توزنباخ: يا عزيزتى، سأعود حالا.

إيرينا: إلى أين؟

توزنباخ: عندى مشوار فى المدينة ثم.. سأودع الزملاء.

إيرينا: ليس صحيحا.. نيكولاى، لماذا أنت شارد الذهن

اليوم؟

(صمت)

ماذا حدث أمس عند المسرح؟

توزنباخ: (بحركة متعجلة) بعد ساعة سأعود، وسأكون ثانية

بجوارك. (يقبل يديها) يارائعتى.. (يتفرس فى وجهها)

خمس سنوات وأنا أحبك ولكنى لا أستطيع أن أعود،

وتبدلين لى أروع فأروع. يا لهذا الشعر الساحر البديع!

يا للعينين! سأحملك غدا من هنا، وسوف نعمل،

سنكون أغنياء، وتحقق أحلامى. ستكونين سعيدة.

شئ واحد فقط، شئ واحد: أنت لا تحبيننى!

إيرينا: لا سلطان لى على قلبى! سأكون زوجتك الوفية،

المطبعة، ولكن بلا حب، ما العمل! (تبكى) أنا لم

أحب فى حياتى ولا مرة. أوه، كم كنت أحلم بالحب،

أحلم من زمان، أياما وليالى، ولكن روحى كمعزف

ثمين مغلق ومفتاحه فقد.

(صمت)

نظراتك قلقة.

توزنباخ: أنا لم أتم طول الليل. ليس فى حياتى أى شىء رهيب
يمكن أن يخيفنى، فقط هذا المفتاح المفقود هو الذى
يمزق روحى ويؤرقنى. قولى لى شيئاً ما.
(صمت)

قولى لى شيئاً ما..
إيرينا: ماذا؟ ماذا أقول؟ كل ما حولنا غامض، الأشجار القديمة
تقف صامتة.. (تضع رأسها على صدره).

توزنباخ: قولى لى شيئاً ما.
إيرينا: ماذا؟ ماذا أقول؟ ماذا؟
توزنباخ: أى شىء
إيرينا: كفى! كفى!

(صمت)
توزنباخ: يا لها من أشياء تافهة، يا لها من تفاصيل حمقاء تكتسب
أحياناً أهمية فى الحياة، فجأة بلا سبب. وتسخر منها
كسابق العهد، وتعتبرها تافهة، ومع ذلك تسير وتشعر
أنه لا قدرة لك على التوقف. أوه، لن نتحدث عن هذا!
إننى أشعر بالمرح. كأنما لأول مرة فى حياتى أرى
أشجار الشوح والقيقب والبتولا هذه، وكل شىء ينظر
إلىّ بفضول وينتظر. يا لها من أشجار جميلة، وأى حياة
جميلة، فى الحقيقة، ينبغى أن تكون حولها!
(صيحة: «آو! هوب.. هوب»)

ينبغى أن أذهب، حان الوقت.. هذه شجرة جفت، ومع

ذلك فهي تتمايل فى الريح مع الأخريات. وكذلك
يبدو لى، أننى حتى لو مت، فسوف أظل أشارك فى
الحياة بشكل أو بآخر. وداعا يا حبيبتي.. (يقبل يديها).
أوراقك التى أعطيتها موجودة على مكتبى، تحت
التقويم.

إيرينا: سأذهب معك.

توزنباخ: (بقلق) كلا! كلا! (يذهب بسرعة، يتوقف فى الممر)
إيرينا!

إيرينا: ماذا؟

توزنباخ: (لا يدري ماذا يقول) أنا لم أشرب القهوة اليوم. قولى
لهم أن يعدوها.. (يخرج بسرعة).

(إيرينا تقف مستغرقة فى التفكير، ثم تذهب إلى عمق المسرح وتجلس
فى الأرجوحة. يدخل أندريه بعربة الأطفال. يظهر فيرابونت).

فيرابونت: أندريه سر جيتش، هذه ليست أوراقى، إنها أوراق
حكومية. أنا لم اخترعها.

أندريه: أوه، أين ماضى، إلى أين ذهب، عندما كنت شابا، مرحا،
ذكيا، عندما كانت أحلامى وأفكارى جميلة، عندما
كان الأمل يضىء حاضرى ومستقبلى؟ وما السبب فى
أننا، ما إن نبدأ الحياة، حتى نصبح مملين، باهتين، غير
ممتعين، كسولين لا مبالين، بلا فائدة، تعساء.. مدينتنا
تقوم منذ مائتى سنة، وفيها مائة ألف شخص، ولا أحد

منهم إلا ويشبه الآخرين، ولا متحمس واحد، لا فى الماضى ولا فى الحاضر، ولا عالم واحد، ولا مصور واحد، ولا شخصية شهيرة ولو قليلا يمكن أن تثير الحسد أو الرغبة الجارفة فى الاقتداء بها. فقط يأكلون، ويشربون، وينامون، ثم يموتون.. ويولد آخرون، وأيضًا يأكلون، ويشربون، وينامون، ولكى لا يتبدلوا من الملل ينوعون حياتهم بالأقاويل الدنيئة، وبالفودكا والقماروالمشاكسات، والزوجات يخنّ أزواجهن، والأزواج يكذبون، ويتظاهرون بأنهم لا يرون شيئًا ولا يسمعون شيئًا، والتأثير الوضع الطاغى يقهر الأطفال، ويطفئ فيهم الشرارة الإلهية، فيصبحون أمواتا بؤساء يشبهون بعضهم بعضا، مثل آبائهم وأمهاتهم...

(لفيرابونت بجفاء) ماذا تريد؟

فيرابونت: هه؟ توقيع الأوراق.

أندريه: كم أضجرتنى.

فيرابونت: (مقدما الأوراق) بواب مصلحة الضرائب قال منذ قليل.. إن البرد، كما يقول، وصل فى بطرسبرج إلى مائتى درجة تحت الصفر.

أندريه: الحاضر بغىض، ولكن عندما أفكر فى المستقبل فما أروع ذلك! أشعر بالخفة والرحابة.. ويشع النور فى البعيد، فأرى الحرية، أرى كيف نتحرر أنا وأولادى

من الفراغ، من الكفاس، من الأوز المحشو بالكرب،
من النوم بعد الغداء، من الطفيلية الدنيئة..
فيرابونت: ومات ألفا شخص كما يقول. والناس فزعوا جدا. إما
فى بطرسبرج أو فى موسكو، لا أذكر.
أندريه: (يستولى عليه شعور رقيق) يا شقيقاتى الغاليات،
يا شقيقاتى الرائعات! (من خلال الدموع) ماشا
يا أختاه..

نتاشا: (فى النافذة) من هنا يرفع صوته هكذا؟ أهو أنت
يا أندريوشا؟ ستوقظ صوفى
la Sophie est dormée déjà. Vous (تغضب) bruit,
êtes un ours.^(١) إذا كنت تريد أن تتحدث فلتعط
العربة بالطفل لشخص آخر. فيرابونت، خذ العربة
من السيد!

فيرابونت: حاضر. (يأخذ العربة).
أندريه: (مخرجاً) إننى أتحدث بصوت خافت.
نتاشا: (خلف النافذة تلاطف ابنها) بوبيك! بوبيك يا شقى!
بوبيك يا وحش!

أندريه: (ينظر فى الأوراق) حسنا، سأبحثها، وسأوقع ما هو
مطلوب، وأنت ستعود بها إلى الإدارة.. (يدخل البيت
وهو يقرأ الأوراق. فيرابونت يدفع العربة)

(١) لا تثر ضجة، فصوص نائمة. أنت دب. (بفرنسية غير سليمة).

نَاشَا: (خلف النافذة) بوبيك، ما اسم ماما يا بوبيك؟ يا حبيبي،
يا حبيبي! ومن هذه؟ هذه عمّتك أوليا. قل لعمّتك:
مرحبا يا أوليا!

(موسيقبان متجولان، رجل وفتاة، يعزفان على الكمان والقيثار. يخرج
من البيت فيرشينين وأولجا وأنفيسا، ويصغون في صمت نحو
دقيقة. تقترب منهم إيرينا).

أولجا: بستاننا مثل السوق، الكل يمر منه، مشيا وركوبا. يا دادة
أعطى هؤلاء العازفين شيئا..

أنفيسا: (تمنح العازفين) الله يسهل لكم يا أولادى. (العازفان
ينحنيان وينصرفان) ناس مساكين. من الشبع لن تعزف.
(لإيرينا) مرحبا يا إيريشا! (تقبلها) إيه يا بنتى، كيف
أصبحت أعيش! عيشة عظيمة! أسكن يا حبيبتي فى
المدرسة، فى شقة ميرى، مع أوليا.. هكذا قدّر الله
لى فى آخر العمر. أستغفر الله، لم أعش أبدا مثل
هذه العيشة.. شقة كبيرة، ميرى، وعندى غرفة كاملة،
وسرير. كله ميرى. أصحو فى الليل و.. ياربى، ياسيدتى
العدراء، لا أحد أسعد منى!

فيرشينين: (ينظر إلى الساعة) سنرحل الآن يا أولجا سرجيفنا.
على أن أذهب.
(صمت)

أتمنى لك كل خير... أين ماريا سرجيفنا؟

إيرينا: فى مكان ما فى الحديقة. سأذهب وأبحث عنها.

فيرشينين: لو تكرمت. أنا مستعجل.

أنفيسا: وأنا أيضًا سأبحث عنها. (تصيح) ماشنكا، آو!

(تمضى مع إيرينا إلى عمق البستان)

آو.. آو!

فيرشينين: لكل شىء نهاية. ها نحن نفترق. (ينظر إلى الساعة)

أقامت لنا المدينة ما يشبه مائدة الإفطار، وشربنا

شمبانيا، وألقى رئيس المدينة خطبة، وكنت أكل

وأسمع، لكن قلبى كان هنا، عندكم.. (يلقى نظرة على

البستان) تعودت عليكم.

أولجا: ترى هل ستتقابل ثانية فى يوم ما؟

فيرشينين: لا أظن

(صمت)

زوجتى وابتئى سيبقين هنا حوالى شهرين آخرين،

أرجوك إذا حدث شىء، أو احتجن إلى شىء..

أولجا: نعم نعم، طبعاً. اطمئن.

(صمت)

غدا لن يكون فى المدينة عسكرى واحد، وسيصبح

كل شىء ذكرى، وبالطبع ستمضى حياتنا على نحو

جديد..

(صمت)

كل شيء يجري على غير ما نريد. أنا لم أرد أن أكون
رئيسة، ومع ذلك صرت. وإذن فلن نذهب إلى
موسكو..

فيرشنين: طيب.. شكر الـكم على كل شيء. وعفوا إذا كان قد بدر
منى شيء.. لقد تكلمت كثيرا، كثيرا جدا، فلتغفروا لى
هذا أيضًا، ولا تذكرونى بسوء.

أولجا: (تمسح عينيها) ما لها ماشا لا تأتى ..

فيرشنين: ماذا أقول لك فى الوداع؟ عن أى شيء أتفلسف؟..
(يضحك) الحياة قاسية. إنها تبدو للكثيرين منا صماء
لا أمل فيها، إلا أنها، وينبغى أن نعترف، تصبح أوضح
وأرحم. وأعتقد أنه ليس ببعيد ذلك اليوم الذى ستصبح
فيه واضحة تماما. (ينظر إلى الساعة) حان الوقت، علىَّ
أن أذهب! فى السابق كانت البشرية مشغولة بالحروب،
تملاً كل كيائها بالحملات، والغزوات، والانتصارات،
أما الآن فقد اندثر كل ذلك، مخلفا وراءه مكانا ضخما
خاويا لا يوجد حتى الآن ما يملأه. والبشرية تبحث
بحماسة، وبالطبع ستجد. آه، لو فقط بسرعة!

(صمت)

أتدرين، لو أضيفت إلى حب العمل المعرفة، وإلى
المعرفة حب العمل. (ينظر إلى الساعة) ولكن علىَّ
أن أذهب..

أولجا: ها هي قادمة.

(تدخل ماشا)

فيرشينين: جئت أودع..

(أولجا تبتعد قليلا لكي لا تعوقهما عن الوداع)

ماشـا: (تحدق في وجهه) وداعا..

(قبلة طويلة)

أولجا: كفى، كفى..

(ماشـا تنتحب بقوة)

فيرشينين: اكتبى.. لا تنسينى! اتركنى.. آن الأوان.. يا أولجا

سرجيفنا، أمسكيها، آن لى أن أذهب.. حان الوقت..

تأخرت.. متأثرا يقبل يدى أولجا، ثم يضم ماشا ثانية

وينصرف بسرعة)

أولجا: كفى يا ماشا، كفى يا عزيزتى..

(يدخل كوليجين)

كوليجين: (خجلا) لا بأس، دعيها تبكى، دعيها.. ماشا عزيزتى،

ماشـا حبيبتى.. أنت زوجتى، وأنا سعيد، مهما كان

هناك.. أنا لا أشكو، ولا أوجه إليك أى لوم.. وها هي

أوليا شاهدة.. سنبدأ الحياة ثانية كما فى الماضى، ولن

أقول لك كلمة واحدة، ولا تلميح..

ماشـا: (تكتم النحيب) بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام،

فى جذعها سلسلة من الذهب.. فى جذعها سلسلة

من الذهب.. إننى أجن.. بلوطة خضراء.. عند شاطئ
الأحلام..

أولجا: أهدئى يا ماشا.. أهدئى.. أعطها ماء.

ماشاشا: أنا لم أعد أبكى..

كوليجين: لم تعد تبكى.. إنها طيبة..

(تسمع طلقة بعيدة مكتومة)

ماشاشا: بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، فى جذعها

سلسلة من الذهب.. قطة خضراء.. بلوطة خضراء..

أنا أخلط.. (تشرب ماء) حياة فاشلة.. لا أريد بعد

الآن شيئاً.. سأهدأ الآن.. سيان.. ما معنى عند شاطئ

الأحلام؟ لماذا تدور هذه الكلمة فى رأسى؟ أفكارى

مضطربة.

(تدخل إيرينا)

أولجا: اهدئى يا ماشا. نعم، شاطرة.. هيا إلى الغرفة.

ماشاشا: (بغضب) لن أذهب إلى هناك. (تتنحب ولكنها تتوقف

فورا) أنا لم أعد أدخل البيت، ولن أدخله..

إيرينا: هيا نجلس معا، ولو فى صمت. غدا أنا سأرحل..

(صمت)

كوليجين: بالأمس انتزعت من أحد الأولاد فى الصف الثالث

هذا الشارب واللحية.. (يضع الشارب واللحية) أشبه

مدرس اللغة الألمانية.. (يضحك) أليس كذلك؟

مضحكون هؤلاء الأولاد.

ماشاشا: حقا تشبه مدرسكم الألماني.

أولجا: (تضحك) نعم.

(ماشاشا تبكي)

إيرينا: كفاك يا ماشا!

كوليجين: أشبهه جدا..

(تدخل نتاشا)

نتاشا: (للخادم) ماذا؟ صوفى سيجلس معها بروتوبوبوف،

ميخائيل إيفانيتش، أما بويك فلينزفه أندريه سرجيتش

فى العربى. ما أكثر المشاغل مع الأولاد.. (لإيرينا)

سترحلين غدا يا إيرينا، يا للأسف. ابقى ولو أسبوعا

آخر. (ترى كوليجين فتصرخ. يضحك وينزع عنه

الشارب واللحية) كم أفزعتنى، أعوذ بالله! (لإيرينا)

أنا تعودت عليك، فهل تظنين أن فراقك سيكون سهلا

على؟ سأمر بنقل أندريه إلى غرفتك مع كمانه، فلميزك

هناك! وفى غرفته نسكر صوفى. إنها طفل ساحر،

بديع! يا لها من صبية! اليوم نظرت إلى بعينها وقالت

«ماما»!

كوليجين: طفلة رائعة، هذا صحيح.

نتاشا: إذن غدا سأبقى وحدى هنا (تتنهد) سأمر قبل كل شىء

بقطع أشجار الشوح فى الممر، ثم شجرة القيقب هذه.

إنها تبدو فى المساء رهيبة، قبيحة.. (لإيرينا) يا عزيزتى،
هذا الحزام لا يليق عليك أبدا.. هذه قلة ذوق. الأنسب
شئ ما فاتح. وهنا سأمّر بغرس زهور، زهور فى كل
مكان، وستكون رائحة.. (بصرامة) لماذا هنا شوكة
ملقاة على الأريكة، إنى أسألك؟ (تصيح) اخرس!

كوليجين: هاجت وماجت!

(خلف المسرح تعزف الموسيقى لحن مارش، الجميع ينصتون)

أولجا: يرحلون.

(يدخل تشيوتيكين)

ماشّا: رجالنا يرحلون. حسنا.. طريق السلامة! (لزوجها) لنعد
إلى البيت.. أين قبعتى وإزارى..

كوليجين: حملتها إلى البيت.. سأحضرها حالا. (يدخل
البيت)

أولجا: نعم، الآن يمكن أن نعود إلى بيوتنا. آن الأوان.

تشيوتيكين: أولجا سرجيفنا!

أولجا: ماذا؟

(صمت)

ماذا؟

تشيوتيكين: لا شئ.. لا أدرى كيف أخبرك.. (يهمس فى أذنها)

أولجا: (مرتاعة) لا يمكن!

تشيوتيكين: نعم.. يا لها من حكاية.. أنا تعبت، تعذبت، لا أريد أن

أتكلم بعد.. (بأسى) وعموما، فالأمر سيان!

ماشـا: ماذا حدث؟

أولـجا: (تضم إيرينا) يا له من يوم رهيب.. لا أدري كيف أخبرك
يا حبيبتى..

إيرينا: ماذا؟ قولوا بسرعة، ماذا؟ أتوسل إليكم! (تبكى)
تشيوتيكين: الآن، فى المباراة، قتل البارون.
إيرينا: كنت أعرف، كنت أعرف..

تشيوتيكين: (يجلس على الأريكة فى عمق المسرح) تعبت..
(يخرج الصحيفة من جيبه) فليكن قليلا.. (يدندن
بصوت خافت) ترا.. را.. بومبيا، أنت يا حلوة يا..
أليس سيان!

(الشقيقات الثلاث يقفن ملتصقات ببعضهن ببعض)

ماشـا: أوه، ما أجمل عزف الموسيقى! إنهم يرحلون عنا،
أحدهم رحل نهائياً، رحل إلى الأبد، وسنبقى وحدنا،
لكى نبدأ حياتنا من جديد. ينبغى أن نعيش..

إيرينا: (تضع رأسها على صدر أولجا) سيأتى عهد ويعرف
الجميع لأى غرض كان هذا كله، ولماذا هذه الآلام،
لن تكون هناك أسرار، أما الآن فينبغى أن نعيش.. ينبغى
أن نعمل، نعمل فقط! غدا سأذهب وحدى، سوف أعلم
فى المدرسة، وسأهب حياتى كلها لمن هم، ربما، فى
حاجة إليها. الآن خريف، وقريبا يأتى الشتاء ويغطى
الثلج الأرض، وأنا سوف أعمل، سوف أعمل..

أولـجا: (تضم شقيقتها) كم تعزف الموسيقى بمرح وحيوية،

فأرغب فى الحياة! أوه، يا إلهى! سيمر زمن ونرحل
نحن أيضا إلى الأبد، وسينسانا الناس، سينسون ملامحنا
وأصواتنا وكم كان عددنا، لكن آلامنا ستصبح أفراحا
لمن سيعيشون بعدنا، وستحل على الأرض المسرة
والسلام، وسيذكرون بالخير ويباركون أولئك الذين
يعيشون الآن. يا شقيقتى العزيزتين، حياتنا لم تنته بعد.
سوف نعيش! كم تعزف الموسيقى بمرح، بفرحة ويبدو
وكأنما بعد قليل سنعرف لماذا نعيش، لماذا نتعذب..
لو أننا ندرى، آه لو ندرى!

(يخفت عزف الموسيقى رويدا رويدا. كوليجين يأتى
مرحاً ومبتسماً وهو يحمل القبعة والإزار، أندريه يدفع
العربة وبوبيك جالس فيها).

تشيبوتيكين: (يدندن بصوت خافت) ترا.. را.. بومبيا، يا حلوة يا..

(يقرأ الصحيفة) سيان! سيان!

أولجا: لو أننا ندرى، لو أننا ندرى!

(ستار)

بستان الكرز
كوميديا فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

إقطاعية	رانيفسكايا لوبوف أندريفنا
ابتتها، ١٧ سنة	آنيا
ابتتها بالتبنى، ٢٤ سنة	فاريا
شقيق رانيفسكايا	جايف ليونيد أندرييفتش
تاجر	لوباخين ير مولاي أليكسييفتش
طالب	تروفيموف بيوتر سيرجييفتش
	سيمونوف - بيشيك بوريس
إقطاعى	بوريسوفتش
مربية أطفال	شارلوتا إيفانوفنا
	بيخودوف سيميون
وكيل أعمال	بانتيليفتش
خادمة (فتاة)	دونياشا
خادم عجوز، ٨٧ سنة	فيرس
خادم شاب	ياشا
	عابر سبيل
	ناظر محطة
	موظف برید
	ضیوف، خدم

- الأحداث تجرى فى ضیعة رانيفسكايا

الفصل الأول

(غرفة ما زالت إلى الآن تسمى غرفة الأطفال. أحد الأبواب يفضى إلى غرفة آنيا. الوقت فجر، قريبا ستشرق الشمس. شهر مايو قد حل، وأشجار الكرز مزهرة، إلا أن الجو فى البستان بارد، صقيع خفيف فى الصباح. نوافذ الغرفة مغلقة. تدخل دونياشا بشمعة ولوباخين بكتاب فى يده).

لوباخين: وصل القطار والحمد لله. كم الساعة؟

دونياشا: تقريبا الثانية (تطفى الشمعة) الدنيا نور.

لوباخين: وإذن فكم تأخر القطار؟ ساعتين على الأقل.

(يتشاءب وهو يتمطى) يالى من شاطر، أى حماقة

ارتكبت! جئت خصيصا إلى هنا لأستقبلهم فى المحطة،

وإذا بى أنعس.. نمت جالسا. شىء مؤسف.. أما كان

بوسعك أن توقظينى.

دونياشا: ظننتك رحلت. (تصيحx السمع) هاهم قادمون فيما

يبدو.

لوباخين: (مصيخا) كلا... فإلى أن يتسلموا الأمتعة، وغير ذلك

من الأمور..

(صمت)

لوبوف أندرييفنا أمضت فى الخارج خمس سنوات، فلا أدري كيف أصبحت الآن... إنها شخص طيب. شخص لطيف، بسيط. أذكر عندما كنت صبيا، فى حوالى الخامسة عشرة، ضربنى المرحوم أبى - وكان آنذاك صاحب دكان هنا فى القرية - ضربنى بقبضته فى وجهى، فتدفق الدم من أنفى.. جئت معه آنذاك لغرض ما إلى هذه الدار، وكان ثملا. وأذكر كأنما الآن كيف أخذتنى لوبوف أندرييفنا، وكانت ما تزال شابة، نحيفة للغاية، إلى حوض الغسيل هنا، فى هذه الغرفة نفسها، غرفة الأطفال. وقالت لى: «لا تبك أيها الفلاح الصغير، ستشفى قبل الزواج...».

(صمت)

الفلاح الصغير.. حقا كان أبى فلاحا، أما أنا فأرتدى صديريا أبيض، وحذاء أصفر. من خفير إلى أمير. إننى غنى، ونقودى كثيرة، ولكن إذا أمعنا التفكير ودققنا فأنا فلاح جلف.. (يقلب صفحات الكتاب) قرأت هذا الكتاب فلم أفهم شيئا. نعست وأنا أقرأ.

(صمت)

دونياشا: الكلاب لم تنم طول الليل، تشعر أن أسيادها قادمون.

لوباخين: مالك يا دونياشا هكذا..

دونياشا: يدای تر تعشان.. سيغمي علىّ.

لوباخين: يالك من رقيقة يا دونياشا. وتلبسين ثيابا كثياب
السيدة، وتسريحتك أيضا. لا يصح. ينبغي أن تذكرى
من أنت.

(يدخل ببيخودوف ومعه باقة زهر، يرتدى سترة وحذاء عاليا منظفا حتى
اللمعان يصدر عنه صرير قوى. عندما يدخل تسقط منه الباقة).
بيخودوف: (يرفع الباقة) البستاني أرسل هذا، قال ضعوها فى غرفة
الطعام (يعطى الباقة لدونياشا).

لوباخين: هاتى معك كفاسا^(١).

دونياشا: حاضر. (تنصرف).

بيخودوف: الصقيع الآن يهبط فى الصباح، ثلاث درجات تحت
الصفر، والكرز فى عز ازدهاره. لا أستطيع أن أحبذ
مناخنا. (يتنهد) لا أستطيع. مناخنا لا يمكن أن يعين
بالصورة المناسبة. اسمح لى يا يرمولاى أليكسييفتش
أن أضيف إلى القول بأنى اشتريت منذ ثلاثة أيام حذاء،
فإذا به، ودعنى أؤكد لك، يصر إلى درجة لا تحتمل.
فبم أدهنه؟

لوباخين: ابتعد، أضجرتنى.

بيخودوف: كل يوم تصيننى بلوى ما. ولكنى لا أتذمر، تعودت،
بل حتى أبتسم.

(١) الكفاس - مشروب شعبى يصنع من الخبز الأسود المخمر. المغرب.

(تدخل دونياشا وتقدم الكفاس للوباخين).

سأذهب (يصطدم بالكرسى فيسقط الكرسي) انظر..
(بلهجة ظافرة) رأييت، واعذرني على التعبير،
هذه الحالة بالمناسبة.. بل هذا ببساطة رائع!
(ينصرف).

دونياشا: أصارحك يا يرمولاى أليكسييفتش بأن يبيخودوف
عرض على الزواج.

لوباخين: آ!

دونياشا: لا أدري ما العمل.. إنه شخص طيب، ولكن أحيانا
يبدأ فى الكلام فلا تفهم منه شيئا.. كلام جميل، مؤثر،
لكن غير مفهوم. يخيل إلى أنه يعجبني. وهو يحبني
بجنون. إنه إنسان تعيس، كل يوم يحدث له شىء..
وهكذا يغيظونه هنا باسم: العشرون مصيبة..

لوباخين: (يصيح) هاهم قادمون فيما يبدو..

دونياشا: قادمون! ماذا جرى لى.. البرودة تشملنى كلى.

لوباخين: بالفعل قادمون. هيا نستقبلهم. ترى هل ستعرفنى؟ لم
نتقابل منذ خمس سنوات.

دونياشا: (منفعل) سأسقط الآن.. آه سأسقط!

(يسمع صوت عربتين تدلفان إلى المنزل. لوباخين ودونياشا ينصرفان
بسرعة. الخشبة خاوية. فى الغرف المجاورة تتصاعد ضجة. فيرس الذى
كان قد سافر لاستقبال لوبوف أندرييفنا يمر عبر الخشبة بعجلة، معتمدا

على عصاه، يرتدى كسوة خدم عتيقة الطراز وقبعة عالية يكلم نفسه بعبارات مبهمّة لا يمكن فهم كلمة واحدة منها. الضجة تتصاعد خلف الخشبة. صوت يقول: «هيا نمر من هنا..» لوبوف أندرييفنا وآنيا وشارلوتا إيفانوفنا معها كلب صغير بمقود، مرتديات ثياب السفر. فاريا فى معطف ومنديل رأس. جايف وسيميونوف بيشيك، ولوباخين ودونياشا ومعها صرة وشمسية، والخدم يحملون الأمتعة، الكل يمرون عبر الغرفة).

آنيا: فلنمر من هنا. أتذكرين يا ماما أية غرفة هذه؟

لوبوف أندرييفنا: (بفرحة، من خلال الدموع) غرفة الأطفال!

فاريّا: يا للبرد، يداى تجمدتا (للوبوف أندرييفنا) غرفتك، البيضاء والبنفسجية، ظلّتا كما كانت يا ماما.

لوبوف أندرييفنا: غرفة الأطفال، غرفتى الحبيبة، الرائعة.. كنت أنام هنا وأنا طفلة.. (تبكى) والآن أيضا أبدو كطفلة.. (تقبل أخاها وفاريا، ثم أخاها ثانية) أما فاريا فهى كما كانت من قبل، تشبه الراهبة. ودونياشا عرفتّها.. (تقبل دونياشا).

جايف: القطار تأخر ساعتين، هل رأيت؟ رأيت هذه الأمور؟

شارلوتا: (لبيشيك) كلبتى تأكل حتى الجوز.

بيشيك: (مندهشا) يا سلام!

(يخرج الجميع ما عدا آنيا ودونياشا).

دونياشا: كم انتظرناكم.. (تنزع عن آنيا المعطف والقبعة).

آنـيـا: لم أنم فى الطريق أربع ليال.. أشعر الآن ببرودة شديدة.

دونـيـاشـا: أنتم سافرتـم فى الصيام الكبير، وكان وقتها ثلج، صقيع، والآن؟ آه يا حبيبتى! (تضحك، تقبلها) كم انتظرك يا فرحتى، يا نور عيـنى.. سأخبرك الآن حالا، أنا لا أستطيع أن أنتظر دقيقة واحدة..

آنـيـا: (بفتور) شيئاً ما مرة أخرى..
دونـيـاشـا: وكيل الأعمال يبيخودوف بعد عيد الفصح عرض على الزواج.

آنـيـا: دائماً عن نفس الشئ.. (تسوى شعرها) ضيعت كل بنسى.. (مرهقة جداً، بل حتى تترنح)

دونـيـاشـا: لست أدري ما العمل. إنه يحبنى، كم يحبنى!
آنـيـا: (تنظر عبر باب غرفتها برقة) غرفتى، نوافذى، كأنى لم أرحل. أنا فى البيت! غدا صباحاً سأنهض فأركض إلى البستان.. آه لو أستطيع أن أنام! لم أنم طوال الطريق، وتملكنى القلق.

دونـيـاشـا: بيوتر سيرجيفتش جاء منذ ثلاثة أيام.

آنـيـا: (بفرحة) بيتيا!

دونـيـاشـا: ينام فى الحمَّام، وهناك يعيش. يقول: أخشى أن أضايحكم. (تنظر إلى ساعة جييها) ينبغى أن أوقفه، لكن فارفارا ميخايلوفنا منعنى، قالت لى: لا توقظه.

(تدخل فاريا وفى حزامها سلسلة مفاتيح)

فأريـا: القهوة يا دونياشا، بسرعة.. ماما تريد قهوة.

دونياشا: -نالا: (تخرج)

فأريـا: وصلتم والحمد لله. ها أنت في البيت ثانية. (تلاطفها)

حبيبتى جاءت! حسناىى جاءت!

آنـيـا: كم تعذبت!

فأريـا: أتصور ذلك!

آنـيـا: سافرت من هنا فى أسبوع الآلام، وكان الجو باردا.

وأخذت شارلوتا تتحدث طوال الطريق وتقدم ألعابا.

لا أدرى لماذا فرضت على شارلوتا..

فأريـا: لا يمكن أن تسافرى وحدك يا روى. فى السابعة

عشرة!

آنـيـا: وصلنا إلى باريس.. برد، وفرنسىتى فظة. ماما تسكن فى

الطابق الخامس. دخلت، فوجدت عندها فرنسيين لا

أعرفهم وسيدات وقس عجوز يمسك بكتاب، والدخان

يملاً الغرفة، والجو غير مريح. وفجأة أحسست بالرثاء

الشديد لماما، فضممت رأسها إلىّ، وأطبقت عليه يدي

ولم أستطع أن أتركه. وبعدها ظلت ماما تلاطفنى طويلا

وتبكى...

فأريـا: (من خلال الدموع) نعم، نعم..

آنـيـا: كانت قد باعت فيلتها قرب «متونا»، ولم يعد لديها

شىء، على الإطلاق. وأنا أيضًا لم يبق لدى كويك،

وصلنا بالكاد. ولكن ماما لا تفهم! إذا جلسنا في مقصف المحطة للغداء تطلب أغلى المأكولات، وتعطى بقشيشا لكل خادم روبلا. وشارلوتا أيضًا. وياشا أيضًا يطلب لنفسه طبقا، شيء فظيع. لدى ماما خادم، ياشا، جئنا به إلى هنا..

فاريّا: رأيته الوغد.

آنّيّا: حسنا، ماذا؟ هل سددتم فوائد الدين؟

فاريّا: من أين لنا.

آنّيّا: يا إلهي، يا إلهي..

فاريّا: في أغسطس ستباع الضيعة..

آنّيّا: يا إلهي...

لوباخين: (يطل من الباب ويخور) مو.. مو.. مو.. (ينصرف)

فاريّا: (من خلال الدموع) بودى لو ضربته فى سحتته...

(تتوعد بقبضتها)

آنّيّا: (تعانق فاريّا، تقول بصوت خافت) فاريّا، هل تقدم

لخطبتك؟ (فاريّا تهز رأسها سلبيًا) ولكنه يحبك.. لماذا

لا تتصارحان، ماذا تنتظران؟

فاريّا: أعتقد لن نتوصل إلى شيء. لديه أعمال كثيرة، عنده ما

يشغله عني.. لا يلقي إليّ بالاً، سامحه الله، رؤيته أمامي

كم تعذبني. الجميع يتحدثون عن زواجنا، الجميع

يهنتون، بينما ليس هناك شيء، كأنما حلم.. (بنبرة

أخرى) بروشك هذا يشبه النحلة.

آنيـا: (بحزن) ماما اشتريته. (تذهب إلى غرفتها، تقول بصوت
مرح، كالأطفال) في باريس طرت في المنطاد!
فاريـا: حبيتي جاءت! حسناي جاءت!

(دونياشا تعود بغلاية القهوة وتشرع في إعدادها)
(واقفة بجوار الباب) أدور يا حبيتي طول النهار في
البيت وأنا أعمل وأحلم. لو نزوجك من رجل غني، إذن
لاطمأن قلبي، ولذهبت إلى الدير ثم إلى كيف.. وإلى
موسكو، ولطفت بجميع الأماكن المقدسة.. لظلت
طوال الوقت أطوف وأطوف.. يا للجلال!..

آنيـا: الطيور تصدح في البستان. كم الساعة الآن؟
فاريـا: لعلها الثالثة. ينبغي أن تنامي يا حبيتي (تدخل غرفة
آنيا) يا للجلال!

(يدخل ياشا بحرام وحقيبة سفر)
ياشـا: (يسير عبر الخشبة، بلهجة مؤدبة) أيمكنني أن أمر من
هنا؟

دونياشـا: كم تغيرت يا ياشا في الخارج. يصعب التعرف
عليك.

ياشـا: إم.. ومن أنت؟
دونياشـا: عندما سافرت كنت أنا هكذا.. (تشير بيدها بارتفاع
عن الأرض) أنا دونياشا.. ابنة فيودور كوزودوف.
لا تذكرني!

ياشأا: إم.. يا للتفاحة! (يتلفت ثم يحضنها، تصرخ ويسقط

منها الطبق. ياشأا ينصرف بسرعة)

فأريأا: (فى الباب، بصوت ساخط) ماذا يحدث هنا؟

دونياشأا: (من خلال الدموع) كسرت الطبق..

فأريأا: هذا فأل حسن.

أنيا: (خارجة من غرفتها) يجب تنبيه ماما، بأن بيتيا هنا..

فأريأا: أنا أمرت بعدم إيقاظه.

أنيا: (بتفكير) منذ ست سنوات مات أبى، وبعد شهر غرق

فى النهر أخى جريشا، صبى لطيف فى السابعة. لم

تحتمل ماما فهربت، لاذت بالفرار.. (تتنفص) آه لو

تدرى كم أفهمها!

(صمت)

كان بيتيا تروفيموف يدرس لجريشا، وقد يذكرها به..

(يدخل فيرس، يرتدى سترة وصديريًا أبيض)

فيرس: (يتجه إلى غلاية القهوة، يقول مهمومًا) السيدة ستتناولها

هنا.. (يرتدى القفاز الأبيض) القهوة جاهزة؟ (يقول

لدونياشأا بصرامة) أنت! والكريمة؟

دونياشأا: آه يا إلهى!.. (تخرج بسرعة)

فيرس: (يسعى مهموما بجوار غلاية القهوة) يا لك من مغفلة..

(يدمدم لنفسه) جاؤوا من باريس... والسيد أيضًا ذهب

إلى باريس فى زمانه.. على الخيول.. (يضحك)

فأريـا: عم تتحدث يا فيرس؟

فـيرس: أى خدمة؟ (بفرح) سيدتى عادت! عشت حتى رأيتهـا!

الآن أستطيع أن أموت.. (يبكى من الفرحه)

(تدخل لوبوف أندرييفنا، وجايف، وسيميونوف - بيـشيك. سيميونوف -

بيـشيك يرتدى سترة من الجوخ الخفيف وسروالا فضفاضا. جايف أثناء

دخوله يصنع بيديه وجسمه حركات وكأنه يلعب البلياردو).

لوبوف أندرييفنا: كيف ذلك؟ دعنى أذكر.. الصفراء إلى الزاوية! دوبر

إلى الوسط!

جايف: اضرب فى الزاوية! فى وقت ما كنا ننام معا فى هذه

الغرفة يا أختاه، أما الآن فعندى واحد وخمسون عاما،

مهما بدا غريبا..

لوباخين: نعم، الزمن يمضى.

جايف: من؟

لوباخين: أقول الزمن يمضى.

جايف: هنا تفوح رائحة العطور الرخيصة.

أنـيـا: سأذهب لأنام. تصبحين على خير يا ماما. (تقبل

أمها)

لوبوف أندرييفنا: يا بنيتى الكتكوتة (تقبل يديها) أنت سعيدة بالعودة

لليـت؟ أنا لا أستطيع أن أهـدا.

أنـيـا: الوداع يا خالى.

جايـف: (يقبل وجهها ويديها) يحرسك الله. كم تشبهين أمك!

(لأخته) كنت يا لوبوف فى عمرها مثلها بالضبط.

(آنيا تمد يدها إلى لوباخين وبيشيك، ثم تخرج وتوصد الباب خلفها)

لوبوف أندرييفنا: إنها مرهقة جدا.

بيشيك: لابد أن الطريق طويل.

فاريـا: (إلى لوباخين وبيشيك) ماذا يا سادة؟ الساعة الثالثة،

آن أن تنصرفا.

لوبوف أندرييفنا: (تضحك) أنت مثلما كنت يا فاريـا (تضمها إليها

وتقبلها) سأفرغ من القهوة فننصرف جميعا.

(فيرس يضع وسادة تحت قدميها)

أشكرك يا عزيزى.. لقد تعودت على القهوة. أشربها

نهارا وليلا. أشكرك يا عجوزى. (تقبل فيرس)

فاريـا: سأرى هل أحضروا كل الأمتعة.. (تخرج)

لوبوف أندرييفنا: أحقا أنا الجالسة؟ (تضحك) أريد أن أقفز، أن أشيح

بيدى (تخفى وجهها بيديها) ربما كنت نائمة! يعلم

الله كم أحب الوطن، أحبه برقة، لم أستطع النظر من

العربة، كنت أبكى. (من خلال الدموع) لكن ينبغى أن

أشرب القهوة. شكرا يافيرس، شكرا يا عجوزى. كم

أنا سعيدة لأنك ما زلت حيا.

فيرس: أول أمس.

جايـف: إنه لا يسمع جيدا.

لوباخين: علىّ الآن، فى الخامسة صباحا، أن أسافر إلى خاركوف.
يا للأسف! وددت أن أستمع بصحبتك، بالحديث
معك.. أنت كما كنت رائعة.

بيشيك: (يتنفس بصعوبة) بل وازددت حسنا.. فى أزياء
باريسية.. فلتهلك عربتى، وعجلاتها الأربع..

لوباخين: أخوك، ليونيد أندرييفتش هذا، يقول عنى إننى جلف،
كولاك، ولكن ذلك سيان بالنسبة لى. فليقل. بودى
فقط أن تصدقنى كما فى السابق، أن تنظر إلى عيناك
المدهشتان المؤثرتان كما فى السابق. يا إلهى الرحيم!
لقد كان أبى عبدا عند جدك وأبيك، ولكنك، أنت
بالذات، صنعت الكثير من أجلى فى وقت ما، حتى
إننى نسيت كل شىء، وأصبحت أحبك كقريبة.. بل
أكثر من قريبة.

لوبوف أندرييفنا: لا أستطيع أن أبقى جالسة، لا أقوى.. (تقفز وتذرع
الغرفة فى إنفعال شديد) لن أتحمل هذه الفرحة..
اضحكوا منى فأنا حمقاء.. يا دولابى الغالى (تقبل
الدولاب) يا طاولتى.

جايف: فى غيابك ماتت الدادة.

لوبوف أندرييفنا: (تجلس وتشرب القهوة) نعم، عايتها الرحمة. علمت
من الرسائل.

جايف: وأنستاسى أيضًا مات. بتروشكا الأعور تركنى، وهو

الآن فى المدينة، يعيش عند رئيس الشرطة (يخرج من
جيبه علبة كراملة ويمص منها)

بيشيك: ابنتى داشنكا.. تبعث إليك بتحياتها..

لوباخين: بودى أن أقول لك شيئاً ساراً للغاية، مفرحاً (ينظر
إلى ساعته) سأسافر الآن، لا وقت للكلام.. طيب،
فى كلمتين أو ثلاث. أنت قد علمت بأن بستان
الكرز، بستانكم، سيباع سداداً للديون، وتحدد الثانى
والعشرون من أغسطس للمزاد ولكن لا تقلقى
يا عزيزتى، نامى مطمئنة، فهناك حل.. هاكم مشروعى
أرجو الانتباه! ضيعتك تقع على بعد عشرين كيلو متراً
فقط من المدينة، وبقرها مد خط سكك حديدية، ولو
قسم بستان الكرز والأراضى الواقعة على النهر إلى قطع
لبناء الفيلات، وأُجرت هذه القطع، فسوف تحصلين
على خمسة وعشرين ألفاً فى السنة على الأقل.

جايف: عفواً، هذا كلام فارغ!

لوبوف أندرييفنا: أنا لا أفهمك تماماً يا يرمولاى أليكسييفتش.

لوباخين: ستأخذون من المصطافين، أصحاب الفيلات، خمسة
وعشرين روبلاً على الأقل فى السنة مقابل عشر الهكتار،
ولو أعلنتم الآن فوراً فأقسم لكم بما تشاءون بأنه حتى
الخيريف لن يتبقى لديكم قطعة أرض واحدة، ستؤجر
كلها. وباختصار أهنئكم، لقد أنقذتم. الموقع رائع،
والنهر عميق. لكن بالطبع ينبغى تنظيف المكان قليلاً،

وتهذيبه.. مثلاً، يعنى، إزالة جميع المباني القديمة، وهذا المنزل، الذى لم يعد يصلح أبداً، تقطيع أشجار بستان الكرز القديم..

لوبوف أندرييفنا: تقطيع الأشجار؟ يا عزيزى، عفواً، إنك لا تفقه شيئاً. إذا كان هناك فى المحافظة كلها شىء طريف بل ورائع، فهو فقط بستان كرزنا.

لوباخين: الشىء الرائع الوحيد فى هذا البستان أنه كبير جداً فالكرز لا يثمر إلا مرة كل عامين. ثم إنه لا يمكن تصريفه، لا أحد يشتريه.

جايف: وفى «المعجم الموسوعى» ورد ذكر هذا البستان. لوباخين: (ينظر إلى ساعته) إذا لم نتوصل إلى شىء ولم نجد حلاً فى الثانى والعشرين من أغسطس سيباع بستان الكرز والضيعة فى المزاد. أقدموا إذن! لا يوجد حل آخر، أقسم لكم. لا يوجد، لا يوجد.

فيرس: فى الماضى، منذ حوالى أربعين أو خمسين سنة، كانوا يجففون الكرز، وينقعونه، ويخللونه، ويصنعون منه المربى وكانوا..

جايف: اسكت يا فيرس.

فيرس: وكانوا يرسلون الكرز المجفف بالعربات إلى موسكو وخاركوف. ما كان أكثر النقود! وكان الكرز المجفف آنذاك طرياً، ريان، حلواً، عطراً.. كانت لديهم طريقة آنذاك..

لوبوف أندرييفنا: وأين تلك الطريقة الآن؟

فـيـرس: نسوها. لا أحد يذكرها.

بيشيك: (للوبوف أندرييفنا) ماذا فى باريس؟ كيف الحال؟

أكلت ضفادع؟

لوبوف أندرييفنا: أكلت تماسيح.

بيشيك: يا سلام..

لوباخين: لم يكن يعيش فى الريف من قبل سوى السادة

والفلاحين، أما الآن فظهر المصطفون، أصحاب

الفيلات. جميع المدن حتى أصغرها، محاطة اليوم

بالفيلات. ويمكن القول إنه خلال عشرين سنة

سيكتاثر المصطفون بدرجة هائلة. المصطاف الآن

يشرب الشاي فقط فى الشرفة، ولكن ربما يحدث أن

يمارس الفلاحة فى عشر هكتاره، وعندئذ سيصبح

بستان كرزكم محظوظا، ثريا، فخما..

جـاـيـف: (باستياء) ما هذا الهراء!

(تدخل فاريا وياشا)

فـاـرـيـا: وصلت برقيتان لك يا ماما. (تجد المفتاح المناسب

وتفتح دولابا قديما برنين عال) هاهما.

لوبوف أندرييفنا: إنهما من باريس. (تمزق البرقيتين دون أن تقرأهما)

باريس انتهت..

جـاـيـف: أتعلمين يا لوبا كم عمر هذا الدولار؟

منذ أسبوع سحبت الدرج الأسفل فرأيت أرقاما

محفورة. صنع الدولار منذ مائة عام بالضبط. أرايت؟
هه؟ كان من الممكن الاحتفال بعيدة. إنه مادة غير حية
ولكنه، مهما كان، دولار كتب.

بيشيك: (بدهشة) مائة عام.. يا سلام!..

جايف: نعم هذه تحفة.. (يتلمس الدولار) أيها الدولار العزيز
الموقر! إننى أحيى وجودك، الذى كان موجهها منذ أكثر
من مائة عام إلى المثل المشرقة للخير والعدالة. إن
دعوتك الصامتة إلى العمل المثمر لم تضعف طوال
مائة عام، وهى تساند (من خلال الدموع) المهمة
والإيمان بمستقبل أفضل فى أجيال عائلتنا، وتربى
فيها مثل الخير والوعى الاجتماعى.

(صمت)

لوباخين: نعم..

لوبوف أندرييفنا: أنت لم تتغير يا لونيا.

جايف: (خجلاً بعض الشيء) من الكرة إلى اليمين إلى الزاوية!

اضرب فى الوسط!

لوباخين: (يتطلع إلى الساعة) حسناً، حان رحيلى.

ياشأ: (يقدم الدواء للوبوف أندرييفنا) ربما تتناولين الأقراص

الآن..

بيشيك: لا داعى لتناول الأدوية يا عزيزتى.. ليس منها ضرر

أو نفع.. هاتيها هنا، سيدتى الموقرة (يأخذ الأقراص

ويفرغها فى راحة يده، وينفخ فيها ثم يضعها فى فمه

ويبلعها بالكفاس) هكذا!

لوبوف أندرييفنا: (بفرع) أنت جنت!

بيشيك: تناولت كل الأقراص.

لوباخين: يالها من بلاعة!

(الجميع يضحكون)

فيرس: فى عيد القيامة كان عندنا، أكل نصف دلو خيار..

(يدمدم)

لوبوف أندرييفنا: عم يتحدث؟

فاريلا: منذ ثلاث سنوات وهو يمدم هكذا. لقد تعودنا.

ياشا: سن متأخرة!

(تمر عبر الخشبة شارلوتا إيفانوفنا فى فستان أبيض، نحيفة جدا، مشدودة،

بمنظار فى حزامها)

لوباخين: عفوا يا شارلوتا إيفانوفنا، لم أتمكن بعد من تحيتك

(يريد أن يقبل يدها)

شارلوتا: (تجذب يدها) إذا سمحت لك بتقيل يدي فسترغب

بعد ذلك فى تقيل كوعى، ثم كتفى..

لوباخين: أنا اليوم سيئ الحظ.

الجميع يضحكون

شارلوتا إيفانوفنا، أرينا نمرة!

لوبوف أندرييفنا: شارلوتا، أرينا نمرة!

شارلوتا: لاداعى. أريد أن أنام. (تنصرف)

لوباخين: أراكم بعد ثلاثة أسابيع. (يقبل يد لوبوف أندرييفنا)
إلى اللقاء، وداعا. حان الوقت! (لجأيف) إلى اللقاء.
(يتبادل القبلات مع بيشيك) إلى اللقاء. (يمد يده لفاريا
ثم لفيرس ثم لياشا) لا أرغب فى الرحيل. (للوبوف
أندرييفنا) إذا فكرت بخصوص الفيلات وقررت
أخبرينى، وسأحصل على قرض بحدود خمسين ألفا.
فكرى جديا.

فاريا: (بغضب) هلا رحلت فى النهاية!

لوباخين: راحل، راحل.. (ينصرف)

جأيف: جلف. لكن عفوا.. فاريا ستتزوج، إنه عريس فاريا
الغالى.

فاريا: لاداعى لهذا الكلام يا خالى.

لوبوف أندرييفنا: حسنا يا فاريا. سأكون سعيدة جدًا. إنه رجل طيب.

بيشيك: الحقية إنه رجل.. ذو مكانة.. وداشنيكا ابنتى تقول
أيضًا.. تقول أشياء كثيرة «يغط ويشخر ثم يفيق فى
التو» ومع ذلك يا سيدتى الموقرة أقرضينى.. سلفة.
مائتين وأربعين روبلا.. على أن أسدد غدا ديون
الرهونات.

فاريا: (بفرع) لا يوجد، لا يوجد!

لوبوف أندرييفنا: بالفعل ليس لدى نقود.

بيشيك: ستجدين (يضحك) أنا لا أفقد الأمل أبدا. ظننت أن كل شيء ضاع، إنني هلكت، وإذا بالسكة الحديدية تمر عبر أرضي و.. دفعوا لى. وهكذا ربما يحدث شيء آخر، إن لم يكن اليوم فغدا.. ربما تفوز داشنكا بمائتى ألف.. لديها ورقة يانصيب.

لوبوف أندرييفنا: القهوة شربناها، ويمكننا أن ننام.

فيرس: (ينظف جايغ بالفرشاة، يقول بوصاية) مرة ثانية لم تلبس السروال المناسب. آه، ماذا أفعل معك!

فاريلا: (بصوت خافت) آنيا نامت. (تفتح النافذة بحذر) أشرقت الشمس والجو غير بارد. انظري يا ماما، ما أروع هذه الأشجار! يا إلهى، والهواء! والزراير تشدو!

جايغ: (يفتح النافذة الأخرى) البستان كله أبيض. ألم تنسى يا لوبا؟ هذا الدرب الطويل يمتد مستقيما مستقيما، كأنه حزام مشدود، وفي الليالى المقمرة يلمع. أتذكرين؟ ألم تنسى؟

لوبوف أندرييفنا: (تنظر من النافذة إلى البستان) يا طفولتى، يا طهارتى! فى غرفة الأطفال هذه كنت أنام، وأنظر من هنا إلى البستان، والسعادة تستيقظ معى كل صباح، وكان آنذاك مثلما هو الآن تماما، لم يتغير شيء (تضحك من الفرحة) كله، كله أبيض! يا بستانى الحبيب! بعد الخريف المظلم المكفهر، والشتاء البارد عدت فتيا،

مفعماً بالسعادة ولم تهجرك ملائكة السماء.. لو أستطيع
أن ألقى عن صدرى وكتفى ذلك الحجر الثقيل، لو
أستطيع أن أنسى الماضى!

جايف: نعم، وسيباع البستان سداداً للديون، مهما بدا هذا
غريباً..

لوبوف أندرييفنا: انظروا، المرحومة أمى تسير فى البستان.. فى فستان
أبيض! (تضحك من الفرحة) إنها هى.
جايف: أين؟

فاريّا: ماما، ماذا بك!
لوبوف أندرييفنا: لا أحد، خيّل إلىّ. إلى اليمين، عند المنعطف المؤدى
إلى العريشة، انحنت شجرة بيضاء، تشبه امرأة..
(يدخل تروفيموف فى سترة طلابية بالية، يرتدى نظارة)
ياله من بستان رائع! كتل من الزهر الأبيض، والسماء
زرقاء..

تروفيموف: لوبوف أندرييفنا! (تلفت نحوه)
جئت لأحييك وسأصرف فوراً. (يقبل يدها بحرارة)
أمرونى أن أنتظر حتى الصباح، لكنى لم أطق صبراً..
(تنظر لوبوف أندرييفنا إليه بدهشة)

فاريّا: (من خلال الدموع) هذا بيتا تروفيموف..
تروفيموف: بيتا تروفيموف، المدرس السابق لابنك جريشا.. أحقا
تغيرتُ إلى هذه الدرجة؟

(لوبوف أندرييفنا تعانقه وتبكي بصمت)

جايف: (مرتبكا) كفى، كفى يا لوبا.

فاريّا: (تبكي) ألم أقل لك يا بيتيا أن تنتظر إلى الصباح.

لوبوف أندرييفنا: جريشا ولدى.. حبيبي.. جريشا.. ابني..

فاريّا: ما العمل يا ماما. مشيئة الله.

تروفيموف: (بصوت ناعم، من خلال الدموع) كفى، كفى..

لوبوف أندرييفنا: (تبكي بصوت خافت) مات ولدى.. غرق.. لماذا؟

لماذا يا صديقي. (بصوت أهدأ) آتيا نائمة هناك وأنا

أتحدث بصوت عال.. أثير ضجة.. حسنا يا بيتيا؟ لماذا

ساء حالك هكذا؟ لماذا هرمت؟

تروفيموف: فى القطار أطلقت على إحدى الفلاحات وصف: السيد

الباهت.

لوبوف أندرييفنا: كنت آنذاك صبيا صغيرا، طالبا لطيفا، والآن نسل

شعرك، ووضعت نظارة. أما تزال بعد طالبا؟ (تسير

نحو الباب)

تروفيموف: يبدو أننى سأظل طالبا أبديا.

لوبوف أندرييفنا: (تقبل أخاها، ثم فاريّا) حسنا، اذهبوا لتناموا.. أنت

أيضا هرمت يا ليونيد.

بيشيك: (يتبعها) وإذن آن أن نام.. آه من فقرسى اللعين. سأبيت

عندكم.. لوبوف أندرييفنا، يا روحى، لو يعنى صباح

الغد.. مائتين وأربعين روبلا..

جايف: ما زال يردد مواله.

بیشیک: مائتین وأربعین روبلا.. لتسدید فوائد الرهونات.

لوبوف أندریفنا: لیس عندی نقود یا عزیزى.

بیشیک: سآرده یا عزیزتى.. مبلغ تافه..

لوبوف أندریفنا: طیب، حسنا، لیونید سيعطیک.. أعطه یا لیونید.

جایف: فلیأخذ إن وجد.

لوبوف أندریفنا: وما العمل، أعطه.. إنه محتاج.. سیرده.

(لوبوف أندریفنا وتروفيموف وبیشیک وفیرس ینصرفون. یرقى جایف وفاریا ویاشا).

جایف: لم تنس أختى بعد تبذیر النقود (لیاشا) ابتعد یا حضرة، تفوح منك رائحة الدجاج.

یااشا: (بسخرية) وأنت یا لیونید أندرییفتش مازلت مثلما كنت.

جایف: من؟ (لفاریا) ماذا قال؟

فاریا: (لیاشا) أمك جاءت من القرية، منذ الأمس تجلس فى غرفة الخدم، تريد أن تراك..

یااشا: الله یسهل لها!

فاریا: یا للوقاحة!

یااشا: لم العجلة؟ تستطيع أن تأتى غداً (ینصرف)

فاریا: ماما مثلما كانت، لم تتغير أبدا. لو تُرکت على حریتها لوزعت كل شیء.

جایف: نعم..

(صمت)

إذا اقترح الكثير من الوسائل لعلاج مرض ما، فهذا
يعنى أن المرض لا شفاء منه. إننى أفكر، وأجهد عقلى،
وعندى الكثير من الوسائل الكثير جدا. وإذن، فعمليا،
ليس لدى ولا واحدة. لو أمكن الحصول على ميراث
من شخص ما، لو أمكن تزويج أنيا من رجل غنى جدا،
لو أمكن الذهاب إلى ياروسلاف لأجرب حظى مع
عمتى الكونتيسة. فعمتى غنية، غنية جدا.

فأريّا: (تبكى) لو يساعدنا الله.

جايّف: لا تنوحى. عمتى غنية جدا، لكنها لا تحبنا. فأولا:
تزوجت أختى من محام، من غير النبلاء..

(آنيا تظهر فى الباب)

تزوجت من رجل غير نبيل، ولم يكن سلوكها، يعنى،
يمكن وصفه بالعفة الشديدة. إنها إنسانة جيدة، طيبة،
رائعة، وأنا أحبها جدا، ولكن مهما بحثنا عن أعذار
مخففة، فلا بد من الاعتراف بأنها فاسدة. ويلوح هذا
فى أية حركة منها.

فأريّا: (هامسة) آنيا تقف فى الباب.

جايّف: من؟

(صمت)

عجيبة، عيني اليمنى أصابها شيء.. لم أعد أبصر جيدا.
يوم الخميس، عندما كنت فى محكمة الناحية..

(آنيا تدخل)

فاريـا: لماذا لا تنامين يا آنيا؟

آنيـا: لا أستطيع. عندي أرق.

جايـف: يا صغيرتي (يقبل وجه آنيا ويديها) يا بنيتي..

(من خلال الدموع) أنت لست ابنة أختي، أنت ملاكي،

أنت كل شيء بالنسبة لي. صدقيني، صدقيني..

آنيـا: إنني أصدقك يا خالي. الجميع يحبونك، يحترمونك..

ولكن الأفضل، يا خالي، أن تصمت، فقط تصمت. ماذا

كنت تقول منذ لحظة عن أمي، عن أختك؟ لأي غرض

تقول ذلك؟

جايـف: نعم، نعم.. (يغطي وجهه بيدها هي) حقا، هذا فظيع.

يا إلهي يا إلهي خلصني! واليوم ألقيت كلمة أمام

الدولاب.. يا للحماقة! لم أدرك أنها حماقة إلا عندما

فرغت.

فاريـا: حقا يا خالي، الأفضل أن تصمت. اصمت ولا شيء

أكثر.

آنيـا: إذا لزمتم الصمت ستشعر بالاطمئنان أكثر.

جايـف: سأصمت. (يقبل أيدي آنيا وفاريا) سأصمت.

فقط سأتحدث عن عمل. يوم الخميس كنت في

محكمة الناحية، حسنا، التقيت مجموعة من المعارف،

ودار الحديث في شتى الأمور، ويبدو أنه سيكون من

الممكن الحصول على سلفة بكميالات وتسديد
الفوائد للبنك.

فأرياً: لو يساعدنا الله!

جأيف: سأسافر يوم الثلاثاء مرة أخرى للتباحث. (لفأريا) لا
تنوحى. (لأنيا) ستتحدث أمك مع لوباخين. لن يرفض
طلبها بالطبع.. أما أنت فما إن تستريحى حتى تسافرى
إلى ياروسلاف، إلى الكونتيسة، جدتك. وهكذا
ستتحرك من ثلاث جهات، وعندئذ فالمسألة مضمونة.
سنسدد الفوائد، أنا واثق.. (يضع حبة كراملة فى فمه)
أقسم لكم بشرفى، بكل ما تريدون، لن تباع الضيعة!
(بانفعال) أقسم بسعادتى! ها هى يدى، ولتعتبرينى
وغدا بلا شرف لو سمحت بإجراء المزاد! أقسم بكل
كيانى!

آنـيا: (عاد إليها المزاج الهادئ، وهى سعيدة) كم أنت طيب
يا خالى، كم أنت ذكى! (تعانقه) أنا الآن مطمئنة! أنا
مطمئنة! أنا سعيدة!

(يدخل فيرس)

فـيرس: (بعتاب) يا ليونيد أندرييفتش، ألا تخاف الله! متى
ستنام؟

جأيف: حالا، حالا. اذهب أنت يا فيرس. لا بأس، سأنزع
ملابسى بنفسى. طيب يا بناتى، إلى النوم.. التفاصيل
غدا، أما الآن فاذهبا لتناما. (يقبل أنيا وفأريا) أنا من

جيل الثمانينيات.. لا يمتدحون هذه الفترة - ومع ذلك
أستطيع القول بأننى عانيت الكثير فى حياتى بسبب
المعتقدات - ليس صدفة أن الفلاحين يحبوننى. ينبغى
أن نعرف الفلاح! ينبغى أن نعرف من أية..

آنيا: عدت ثانية يا خالى!

فاريبا: اسكت يا خالى أرجوك.

فيرس: (بغضب) ليونيد أندرييفتش!

جايف: خلاص، خلاص.. ناموا. من الجنين إلى الوسط!
اضرب فى المليان.. (ينصرف، يتبعه فيرس بخطوات
قصيرة)

آنيا: أنا الآن مطمئنة. لا أرغب فى الذهاب إلى ياروسلاف،
أنا لا أحب جدتى، ولكنى مطمئنة. شكرا لخالى.
(تجلس).

فاريبا: ينبغى أن ننام. سأذهب. فى غيابك وقعت مشاحنة ففى
غرفة الخدم القديمة كما تعلمين يعيش الخدم الشيوخ
فقط يفيموشكا، وبوليا ويفستيجنى ثم كارب. وأخذوا
يسمحون لأفاقين ما بالمبيت عندهم، وسكت. ولكنى
سمعت أنهم أطلقوا إشاعة، بأننى أمرت بإطعامهم
حمصا فقط. من شدة بخلى يعنى.. كل هذا من فعل
يفستيجنى.. ليكن، قلت لنفسى، طالما هكذا، فمهلا.
ناديت يفستيجنى.. (تتشاءب) وجاءنى.. فقلت له: كيف

هذا يا يفستيجنى.. يا لك من أحمق.. (تنظر إلى آنيا)
آنيا!..

(صمت)

نامت!.. (تتأبط ذراع آنيا) لنذهب إلى الفراش.. هيا!..
(تسحبها) عصفورتى نامت! هيا بنا..

(تسيران)

(بعيدا وراء البستان يعزف راع على مزماره. تروفيموف يمر عبر الخشبة،
وإذ يرى فاريا وآنيا يتوقف).

فاريا: هس.. إنها نائمة.. هيا يا حبيبتي.

آنيا: (بصوت خافت، شبه حالمة) كم أنا متعبة.. ترن
الأجراس وترن. خالى.. الرقيق.. وماما وخالى..

فاريا: هيا يا حبيبتي، هيا.. (تنصرف إلى غرفة آنيا).

تروفيموف: (بتأثر) يا شمسى! يا ربيعى!

(ستار)

الفصل الثانى

(حقل . مصلى قديم متهالك مهجور منذ زمن بعيد بجواراه بئر، وأحجار كبيرة كانت فيما مضى، على ما يبدو، شواهد قبور، وأريكة قديمة. يبدو جزء من الطريق إلى ضيعة جايف. إلى اليمين تلوح أشجار حور باسقة مظلمة، ومن هناك يبدأ بستان الكرز. فى البعيد صف من أعمدة البرق، وبعيدا بعيدا، عند الأفق، تلوح بصورة مبهمه ملامح مدينة كبيرة، لا ترى إلا فى الجو الصحو جدا. قريبا ستغرب الشمس. شارلوتا وياشا ودونياشا جالسون على الأريكة. يبيخودوف يقف بجوارهم ويعزف على الجيتار. الجميع مستغرقون فى التفكير، وشارلوتا ترتدى «كسكتة» قديمة. تنزع بندقية الصيد عن كتفها وتسوى أبزيم الحزام).

شارلوتا: (بتفكير) ليس لدى بطاقة شخصية حقيقية، فلا أعرف كم عمرى، ويخيل لى دائما أننى شابة. عندما كنت صبية صغيرة كان أبى وأمى يطوفان بالأسواق ويقدمان عروضاً ممتازة. أما أنا فكنت ألعب Salto-Mortale^(١)

(١) القفزة المميتة (بالإيطالية)، قفزة بهلوانية جريئة. المغرب.

وغيرها من الألعاب. ولما مات بابا وماما أخذتني
سيدة ألمانية إليها وبدأت تعلمني. حسنا. ثم كبرت،
ثم بدأت أعمل مربية أطفال. ولكن من أين أنا، ومن
أنا.. لا أعرف.. من هم والداي، ربما لم يكن زواجهما
شرعيا.. لا أدري (تستخرج من جيبها خيارة وتأكل)
لا أدري شيئا.

(صمت).

كم أود أن أتحدث، لكن مع من.. ليس لدى أحد.
بييخودوف: (يعزف على الجيتار ويغني) «أنا لا أبالى بالحياة
وصخبها، لا فرق بين عداوة وهيام..» ما أجمل العزف
على المندولين!

دونياشا: هذا جيتار وليس مندولين. (تنظر في مرآة صغيرة وتضع
البودرة).

بييخودوف: للعاشق الولهان هذا ماندولين.. (يغني) «ما دام حبي
يستظل بحبها، وغرام قلبي يلتقي بغرام..».
(ياشا يرد عليه).

شارلوتا: ما أفضع غناء هؤلاء.. أف.. كعواء الذئاب.
دونياشا: (لياشا) بالفعل، يا لها من سعادة أن تسافر إلى
الخارج.

ياشا: نعم، طبعاً. لا يسعني إلا أن أوافقك (يتشاءب ثم يشعل
سيجاراً).

بييخودوف: معلوم. كل شيء فى الخارج تمام التمام من زمان.

ياشاشا: طبعاً.

بييخودوف: أنا شخص مثقف، أقرأ شتى الكتب الرائعة، لكنى لا أستطيع أبدا أن أحدد الاتجاه، وما الذى أريده فى الواقع، وهل أعيش أم أنتحر فى الواقع، ومع ذلك أحمل معى دائماً مسدساً.. ها هو.. (يريه المسدس).

شارلوتا: خلاص. أنا ذاهبة (تتقلد البندقية) أنت يا بييخودوف شخص ذكى جداً ورهيب جداً، لا بد أن النساء يحببنك بجنون. بررر! (تسير) هؤلاء الأذكىاء أغبياء كلهم، ولا يوجد من أتحدث معه.. وحدى، دائماً وحدى، وليس عندى أحد و.. من أنا، لماذا أنا، لا أحد يدرى (تنصرف على مهل).

بييخودوف: فى الواقع، ودون التطرق إلى جوانب أخرى، ينبغى أن أعرب عن نفسى، فأقول، بالمناسبة، إن القدر يعاملنى دون رحمة، كالعاصفة مع مركب صغير. وبافتراض أننى مخطئ، فلماذا إذن، استيقظت صباح اليوم، مثلاً، فإذا على صدرى عنكبوت رهيب الحجم.. بهذا القدر. (يشير بكلتا يديه). وكذلك، تأخذ الكفاس، لكى تشرب، فإذا بك تجد فيه شيئاً ما غير لائق إلى أقصى حد، صرصاراً مثلاً.

(صمت).

هل قرأت بوكل؟^(١)

(صمت).

أريد أن أزعجك يا أفدوتيا فيودوروفنا في كلمتين.

دونياشا: تكلم.

بييخودوف: بودى لوبقينا على أنفراد.. (يتنهد).

دونياشا: (بخجل) حسنا.. لكن أحضر لى أولا إزارى.. إنه

بجوار الدولاب.. الجو هنا رطب قليلا..

بييخودوف: حسنا.. سأحضره.. الآن أعرف ماذا أفعل بالمسدس..

(يتناول الجيتار وينصرف مداعبا الأوتار).

يـاشـا: هذا العشرون مصيبة! شخص غبى، فيما بيننا.

(يتشاءب).

دونياشا: قد ينتحر، لا قدر الله.

(صمت).

أصبحت قلقة، أنزعج دائما. أخذونى طفلة صغيرة لدى

السادة، نسيت حياة البسطاء وها هى يداى بيضاوان

بيضاوان، كيدى السيدة. أصبحت رقيقة، مهذبة، نبيلة،

أخاف كل شىء.. كم أخاف. لو خدعتنى يا ياشا، فلن

أعرف ماذا سيحدث لأعصابى.

يـاشـا: (يقبلها) يا للتفاحة! بالطبع على كل فتاة أن تحافظ على

نفسها، أنا لا أطيق الفتاة السيئة السلوك.

(١) هنرى توماس بوكل (١٨٢١-١٨٦٢) مؤرخ وعالم اجتماع إنجليزى. المغرب.

دونيأشا: أنا أحبيتك بعنف، أنت متعلم، تستطيع أن تتحدث فى
أى موضوع.

(صمت).

يأشا: (يتشاءب) نعم.. أنا رأى: إذا كانت الفتاة تحب أحدا،
فمعنى هذا أنها بلا أخلاق.
صمت.

ما ألد أن تدخن سيجارا فى الهواء الطلق.. (يصيح
السمع) أحدهم قادم.. إنهم السادة..
(دونيأشا تعانقه باندفاع).

عودى إلى البيت، كأنك كنت تستحمين فى النهر،
اذهبي من هذا الطريق، وإلا قابلك وظنوا أنى كنت
معك، فى موعد غرامى. أنا لا أطيق ذلك.
دونيأشا: (تسعل بصوت خافت) أصبت بصداع من السيجار..
(تنصرف).

(يأشا يبقى جالسا بجوار المصلى. تدخل لوبوف أندرييفنا. وجايف
ولوباخين).

لوباخين: ينبغي حسم الأمر، ليس هناك وقت. السؤال بسيط جدا.
هل توافقون على تأجير الأرض لإقامة الفيلات؟ أجيوا
بكلمة واحدة. نعم، لا؟ كلمة واحدة فقط!
لوبوف أندرييفنا: من الذى يدخن هنا هذه السيجارات الفظيعة..
(تجلس).

جايف ها قد مدوا السكة الحديدية فأصبح كل شىء سهلا

(يجلس) سافرنا إلى المدينة وأفطرنّا.. الصفراء إلى الوسط! بودى أن أذهب إلى البيت أولا، لألعب دورا..

لوبوف أندرييفنا: فى الوقت متسع.

لوباخين: كلمة واحدة فقط! (ضارعا) أعطونى ردا!.

جايـف: (متثابرا) من؟

لوبوف أندرييفنا: (تنظر فى حافظة نقودها) بالأمس كانت النقود كثيرة، واليوم قليلة للغاية. مسكينة فاريا، تطعم الجميع حساء اللبن توفيراً، ولا تقدم للخدم العجائز سوى الحمص، وأنا أبذر بلا معنى. (تسقط منها الحافظة، تبعثر النقود الذهبية) أوه: تبعثرت.. (تشعر بالأسى).

ياشـا: بعد إذنك، سأجمعها حالا.. (يجمع النقود).

لوبوف أندرييفنا: لو تكرمت يا ياشا. ما الذى جعلنى أسافر للإفطار.. ما أحقر مطعمكم بموسيقاه، والمفارش تفوح منها رائحة الصابون.. لماذا تفرط فى الشراب يا لونيا؟ لماذا تفرط فى الأكل؟ لماذا تفرط فى الكلام إلى هذا الحد؟ اليوم تحدثت فى المطعم مرة أخرى كثيرا وبلا مناسبة. عن السبعينيات، عن أدباء الانحطاط. ولمن؟ لخدم المطعم تحدث عن أدباء الانحطاط!.

لوباخين: نعم.

جايـف: (يشيح بيده) لا أمل فى إصلاحى، هذا واضح.. (لياشا بعصبية) ما هذا، ما لك تدور دوما أمام عينيّ..

ياشأا: (يضحك) لا أستطيع أن أسمع صوتك دون أن أضحك.

جايـف: (لأخته) إما أنا، وإما هو..

لوبوف أندرييفنا: اذهب، ياشأا، انصرف..

ياشأا: (يعطى الحافظة للوبوف أندرييفنا) سأذهب حالا.

(يمنع نفسه من الضحك بالكاد) حالا.. (ينصرف).

لوباخين: الثرى ديريجانوف ينوى شراء ضيعتكم. يقال إنه

سيحضر المزاد بنفسه..

لوبوف أندرييفنا: وأين سمعت ذلك؟

لوباخين: فى المدينة يتحدثون.

جايـف: العمة فى ياروسلاف وعدت بإرسال نقود، ولكن متى،

وكم، لا نعرف..

لوباخين: كم سترسل؟ مائة ألف؟ مائتى ألف؟

لوبوف أندرييفنا: لا.. عشرة أو خمسة عشر ألفا.. ولها الشكر.

لوباخين: عفوا يا سادة ولكنى لم أر بعد أناسا مستهترين، أناسا

غير عمليين، وغريبين مثلكم. يقال لكم بالروسية إن

ضيعتكم ستباع، وأنتم كأنما لا تفهمون.

لوبوف أندرييفنا: وماذا نفعل؟ علمنا، ما العمل؟

لوباخين: كل يوم أعلمكم. كل يوم أقول لكم نفس الشئ

لا بد من تأجير بستان الكرز والأرض لبناء الفيلات،

لا بد من القيام بذلك الآن، بسرعة، فالمزاد أوشك!

أفهموا! بمجرد أن تقررُوا قراراً نهائياً وبشكل قاطع
إقامة الفيلات ستمنحون أى مبلغ تريدون، وهكذا
فقد نجوتم.

لوبوف أندرييفنا: الفيلات، والمصطافون.. يا لها من وضاعة، عفوًا.
جايـف: أتفق معك تماماً.

لوباخين: إما سأنتحب، أو أصرخ، أو يغمى علىّ. لا أستطيع!
عذبتمونى! (لجايـف) أنت امرأة!
جايـف: من؟

لوباخين: امرأة! (يهم بالانصراف).
لوبوف أندرييفنا: (بجزع) كلا، لا تذهب ابق يا عزيزى. أرجوك. ربما
وجدنا حلاً ما!

لوباخين: عن أى حل تبحثين!
لوبوف أندرييفنا: لا تذهب أرجوك.. الجو معك أكثر مرحاً مع ذلك..
(صمت).

طوال الوقت أتوقع شيئاً ما كأنما سينهار السقف
علينا.

جايـف: (مستغرقاً فى التفكير) دوبليه إلى الزاوية.. كروازيه
إلى الوسط.

لوبوف أندرييفنا: ما أكثر ما ارتكبنا من ذنوب..
لوباخين: أية ذنوب عندك...

جايـف: (يضع حبة كراملة فى فمه) يقولون إننى بددت ثروتى كلها على الكراملة.. (يضحك).

لوبوف أندرييفنا: أوه، ذنوبى.. كنت دائماً أبذر النقود بتهور، كالمجنونة، وتزوجت من رجل لم يصنع سوى الديون فقط. مات زوجى من الشمبانيا، كان يشرب بفضاعة، ولتعاستى أحببت رجلاً آخر، وعاشرته، وفى هذا الوقت بالذات. كان ذلك أول عقاب - ضربة فى الرأس مباشرة - هنا، فى النهر.. غرق ابنى، فسافرت إلى الخارج، سافرت نهائياً لكى لا أعود أبداً، ولا أرى هذا النهر.. أغمضت عينيّ، وركضت، وأنا لا أعى شيئاً، وإذا به يتبعنى.. بلا رحمة، بفضاظة. اشتريت فيلا قرب متونا لأنه مريض هناك، وطوال ثلاث سنوات لم أذق الراحة نهارة أو ليلاً. عذبنى المريض، روى ذبلت.. وفى العام الماضى، عندما بيعت الفيلا سداداً للديون، سافرت إلى باريس، وهناك نهبنى، ثم هجرنى، وصاحب أخرى، فحاولت الانتحار.. يا للحماقة، يا للخزى.. وفجأة أحسست بالشوق إلى روسيا، إلى الوطن، إلى ابنتى.. (تمسح دموعها) يا إلهى، يا إلهى الرحمة، اغفر لى ذنوبى! لا تعاقبنى أكثر! (تخرج من جيبتها برقية) تسلمتها اليوم، من باريس.. يرجو الغفران، ويتوسل أن أعود.. (تمزق البرقية) هناك موسيقى تتردد فيما يبدو (تصيح السمع).

جايـف: إنها فرقتنا اليهودية الشهيرة. أذكرين أربع كمنجات، فلاوت وكونتراباس.

لوبوف أندرييفنا: أما زالت موجودة؟ لو أمكن دعوتها إلينا يوماً ما، لإقامة حفلة.

لوباخين: (يصيح السمع) لا أسمع شيئاً.. (يدندن بصوت خافت) «وبالنقود يُفرنس الألمان روسيا»، (يضحك) يا لها من مسرحية رأيتهـا أمس فى المسرح، مضحكة جداً.

لوبوف أندرييفنا: لا أظن أنها مضحكة أبداً. ليس لك أن ترى المسرحيات، بل أن تنظر إلى نفسك أكثر. أية حياة رمادية تعيشون أنتم جميعاً، وما أكثر ما تقولون من أشياء لا لزوم لها.

لوباخين: هذا صحيح. لا بد من القول صراحة، إن حياتنا حمقاء..

(صمت)

كان والدى فلاحاً، أبله، لم يكن يفقه شيئاً فلم يعلمنى، بل كان يضربنى كلما شرب، ودائماً بالعصا. وفى الواقع فأنا مثله مغفل وأبله. لم أتعلم شيئاً، وخطى فظيع، أكتب كالخنزير، حتى لأشعر بالخزى من الناس.

لوبوف أندرييفنا: أنت بحاجة إلى أن تتزوج يا صديقى.

لوباخين: نعم.. هذا صحيح.

لوبوف أندرييفنا: من فتاتنا فاريا. إنها بنت طيبة.

لوباخين: نعم.

لوبوف أندرييفنا: إنها من البسطاء، تعمل طول النهار، والمهم أنها تحبك.
ثم أنها تعجبك أنت أيضا من زمان.
لوباخين: طيب.. لا مانع عندي.. إنها فتاة طيبة.
(صمت)

جايـف: يعرضون علىّ وظيفة في البنك. بمرتب ستة آلاف في
السنة.. هل سمعتِ؟
لوبوف أندرييفنا: أين أنت وهذا. أجلس هنا..
(يدخل فيرس. أحضر المعطف).

فيـرس: (لجايـف) تفضل يا سيدي، ارتد المعطف، فالجو
رطب.

جايـف: (يرتدى المعطف) كم أضجرتني يا أخى.
فيـرس: دعك من هذا.. سافر صباحا دون أن يقول.
(يتفحصه).

لوبوف أندرييفنا: كم هرمت يا فيرس!
فيـرس: أى خدمة؟

لوباخين: تقول إنك هرمت جدا!
فيـرس: أعيش من زمان. عندما أرادوا أن يزوجونى لم يكن
أبوك قد ولد بعد.. (يضحك) وعندما ألغيت القنانة
كنت أنا وصيفا أول. ولم أوافق على إعتاقى، وبقيت
لدى السادة..

(صمت)

أذكر أن الجميع كانوا فرحين، ولكن لماذا، لا أحد يعرف.

لوباخين: كانت الأمور حسنة جدا في الماضي كانوا على الأقل يجلدون.

فيرس: (لم يسمع) وكيف لا. الفلاحون مع السادة، والسادة مع الفلاحين، أما الآن فتفرق كل شيء، لا تفهم شيئا.
جايف: أسكت يا فيرس. على أن أرحل غدا إلى المدينة.
وعدوني بتعريفى بجنرال، يمكن أن يقرض بكميالة.

لوباخين: لن تتوصل إلى شيء، ولن تسددوا الدين، أؤكد لكم.

لوبوف أندرييفنا: إنه يهذى. ليس هناك أى جنرالات.

(يدخل تروفيموف وآنيا وفاريا).

جايف: ها هم أبناؤنا قادمون.

آنيا: ها هي ماما.

لوبوف أندرييفنا: (برقة) تعالى، تعالى.. يا أحبائي.. (تضم آنيا وفاريا) آه
لو تعلمان كم أحبكما. اجلسا بجوارى. ها هنا.

(الجميع يجلسون).

لوباخين: طالبنا الخالد يسير دائما مع الأنسات.

تروفيموف: ليس هذا شأنك.

لوباخين: قريبا يبلغ الخمسين، ولا يزال بعد طالبا.

تروفيموف: كف عن مزاحك الأحمق.

لوباخين: يا لك من عجيب، لِمَ تغضب؟

تروفيموف: لا تتحرش بى.

لوباخين: (يضحك) فلتسمح لى أن أسألك، ما رأيك فى؟

تروفيموف: إننى أفكر هكذا يا يرمولاى أليكسييتش: أنت رجل غنى،

عما قريب ستصبح مليونيرا. وكما أن الوحش الكاسر

الذى يلتهم كل ما يصادفه فى طريقه، هو ضرورى فى

عملية التمثيل الغذائى، فأنت أيضا ضرورى.

(الجميع يضحكون).

فاريا: الأفضل يا بيتيا أن تحدثنا عن الكواكب.

لوبوف أندرييفنا: كلا، هيا نواصل حديث الأمس.

تروفيموف: عم تحدثنا؟

جايف: عن الإنسان الأبى.

تروفيموف: تحدثنا بالأمس طويلا، لكننا لم نتفق على شىء. فى

الإنسان الأبى، بمفهومكم، ثمة شىء غيبى. وربما كنتم

على حق من وجهة نظركم، ولكن لو تكلمنا ببساطة،

ودون حذلقات، فأى إباء هناك، وأى معنى له، إذا كان

الإنسان مركبا فسيولوجيا بطريقة سيئة، وإذا كان، فى

غالبية الساحقة فظا، غير ذكى، تعيسا للغاية. كفى

إعجابا بالنفس. ينبغى فقط أن نعمل.

جايف: ما الفائدة، سنموت.

تروفيموف: من يدري؟ ثم ما معنى «سنوات»؟ ربما كان لدى الإنسان مائة حاسة، وبالموت تموت فقط الحواس الخمس، المعروفة لنا، أما الخمس والتسعون الباقية، فتظل حية.

لوبوف أندرييفنا: كم أنت ذكى يا بيتيا!..

لوباخين: (بسخرية) جدا!

تروفيموف: البشرية تتقدم وهى تطور قواها. وكل ما هو صعب المنال الآن سيصبح فى وقت ما قريبا، مفهوما، ينبغى فقط أن نعمل، وأن نساعد بكل قوانا كل من يبحث عن الحقيقة. عندنا فى روسيا، حتى الآن، لا يعمل إلا القليلون جدا. أما الغالبية الساحقة من المثقفين الذين أعرفهم فلا يبحثون عن شىء، ولا يفعلون شيئا، وغير قادرين على العمل بعد. يسمون أنفسهم مثقفين ثم يخاطبون الخدم بـ «أنت»، ويعاملون الفلاحين معاملة الحيوانات، ويتعلمون بصورة سيئة، ولا يقرأون أى شىء بجدية، ولا يفعلون شيئا على الإطلاق، وعن العلم يتحدثون فقط، ولا يفهمون فى الفن إلا القليل. والجميع يبدوون جديين، وعلى وجوههم ملامح الصرامة، الجميع لا يتحدثون إلا عما هو هام ويتفلسفون، بينما على مرأى منهم جميعا يأكل العمال أسوأ طعام، وينامون دون وسائل، ثلاثين

أو أربعين شخصا فى الغرفة الواحدة، ومن حولهم البق، والعفونة، والرطوبة، والقذارة الأخلاقية.. ومن الواضح أن كل الأحاديث الجيدة عندنا لا تهدف إلا إلى صرف أنظارنا وأنظار الآخرين. أرونى أين هى دور الحضانة التى يفيضون فى الحديث عنها كثيرا، أين قاعات المطالعة؟ لا تجدها إلا فى الروايات فقط، أما فى الواقع فلا وجود لها. ليس هناك سوى القذارة والابتذال والهمجية.. أنا أخاف السحنات الجدية جدا ولا أحبها، أخاف الأحاديث الجدية. الأفضل أن نصمت!

لوباخين: أتدرى، أنا أستيقظ قبل الخامسة صباحا. وأعمل من الصباح إلى المساء، حسنا، ومعى دائما نقود، نقودى ونقود الآخرين، وأرى أى أناس من حولى. ينبغى فقط أن تبدأ بعمل ما حتى تدرك كم هم قليلون الأشخاص الشرفاء المستقيمون. وأحيانا، عندما ينتابنى الأرق، أفكر: «يا إلهى، لقد أعطيتنا غابات هائلة، وحقولا لا تحد، وآفاقا لا نهائية، ومن المفروض، ونحن نعيش هنا، أن نكون عمالقة بحق..»

لوبوف أندرييفنا: أنت بحاجة إلى عمالقة.. إنهم جيدون فى الحكايات فقط، أما فى الواقع فمخيفون.

(فى عمق خشبة المسرح يمر بيبخودوف وهو يعزف على الجيتار)

(بتفكير) يبيخودوف يسير..

آنـيـا: (بتفكير) يبيخودوف يسير..

جـايـف: الشمس غربت يا سادة.

تروفيموف: نعم.

جـايـف: (بصوت خافت، كأنما يلقي) أيتها الطبيعة الساحرة،

أنت تتوهجين ببريق خالد، رائعة ولا مبالية، أنت التي

نسميك أمانا، تجمعين بين الوجود والعدم، أنت تعيشين

وتدمرين..

فـاريـا: (بصوت ضارع) خالى!

آنـيـا: خالى، عدت ثانية!

تروفيموف: الأفضل أن تضرب الصفراء فى الوسط دوبليه.

جـايـف: قد سكّت، سكت.

(يجلس الجميع مستغرقين فى التفكير. سكون. لا تسمع إلا همهمة

فيرس الخافتة. فجأة يتردد صوت بعيد، كأنما من السماء، صوت

وتر تمزق، حزينا، متلاشيا).

لوبوف أندرييفنا: ما هذا؟

لوباخين: لا أدرى. يبدو أن سطلا وقع بعيدا فى المناجم. ولكن

فى مكان بعيدا جدا.

جـايـف: أو ربما كان طائرا ما.. مثل مالك الحزين.

تروفيموف: أو بومة..

لوبوف أندرييفنا: (تنفض) أحس بضيق، لست أدرى لماذا.

(صمت)

فـيـرس: قبيل المصيبة وقع مثل هذا.. صاحت بومة، وأز
السماور دون توقف.

جـاـيـف: قبيل أية مصيبة؟

فـيـرس: قبيل إلغاء القنانة.

(صمت)

لوبوف أندرييفنا: حسنا يا أصدقاء هيا بنا، المساء حل (لآتيا) أرى دموعا
فى عينيك.. ماذا بك يا بنيتى؟ (تضمها)

آنـيـا: هكذا يا ماما، لا شيء.

تروفيموف: أحدهما قادم.

(يظهر عابر سبيل فى عمرة بيضاء رثة، يرتدى معطفا، ثمل. قليلا)

عابر السبيل: اسمحوا لى أن أسألكم: هل أستطيع الذهاب من هنا
إلى المحطة مباشرة؟

جـاـيـف: نعم تستطيع. سر فى هذا الطريق.

عابر السبيل: أشكركم من صميم القلب (يسعل) الطقس رائع..

(يلقى) يا أخى، يا أخى المعذب.. اخرج إلى الفولجا..

أتسمع الأنين.. (لفاريا) مودموازيل، تصدقنى على

روسى جائع بثلاثين كوبيكا..

(فاريا تفزع فتصرخ)

لوباخين: (بغضب) قلة الذوق تبقى فى حدود الأدب!

لوبوف أندرييفنا: (بهلع) خذ.. هذا لك.. (تبحث فى حافظة النقود) ليس

هناك فضة.. سيان، خذ ذهباً..

عابر السبيل: أشكركم من صميم القلب! (ينصرف)
(ضحك)

فاريّا: (فزعة) أنا ذاهبة.. أنا ذاهبة.. آه يا ماما، الخدم لا يجدون
ما يأكلونه فى البيت، وأنت تعطينه ذهباً.
لوبوف أندرييفنا: ما العمل مع حمقاء مثلى! فى البيت سأعطيك كل ما
عندى. يرمولاي أليكسييتش، أقرضنى ثانية!..
لوباخين: حاضر.
لوبوف أندرييفنا: هيا يا سادة، حان الوقت. لقد خطبناك هنا تماماً
يا فاريّا، أهنتك.

فاريّا: (من خلال الدموع) لا يجوز المزاح بهذا يا أمّاه.
لوباخين: أوخميليا، أذهبى إلى الدير..
جايّف: يداى ترتعشان.. من زمان لم ألعب البلياردو.
لوباخين: أوخميليا، أيتها الحورية، اذكرينى فى صلواتك!^(١)
لوبوف أندرييفنا: هيا يا سادة. العشاء عما قريب.
فاريّا: كم أفرغنى. قلبى يدق بعنف.
لوباخين: أذكركم يا سادة.. فى الثانى والعشرين من أغسطس
سوف يباع بستان الكرز. فكروا فى ذلك!.. فكروا!
(ينصرف الجميع ما عدا تروفيموف وآنيا)
آنيّا: (ضاحكة) شكراً لعابر السبيل، أفرع فاريّا، فأصبحنا
وحدنا.

(١) لوباخين يستشهد بعبارات من مسرحية «هملت» لشكسبير، إلا أنه يحرف اسم «أوفيليا»
إلى «أوخميليا». العرب.

تروفيموف: فاريا تخشى أن نحب بعضنا بعضا، ولذلك لا تركنا وحدنا. إنها لا تستطيع بعقلها الضيق أن تفهم أننا أسمى من الحب. أن نتجنب تلك التوافه والأوهام التي تعوقنا عن أن نكون أحرارا وسعداء.. هذا هو هدف حياتنا ومغزاها. إلى الأمام! إننا نمضى دون هوادة إلى النجم الساطع الذى يضىء فى الأفق! إلى الأمام! لا تتخلفوا يا أصدقاء!

آنيّا: (تشيح بيديها) ما أروع كلماتك!
(صمت)

الجو هنا ساحر اليوم!

تروفيموف: نعم، الجو مذهش.

آنيّا: ماذا فعلت بى يا بيتيا حتى لم أعد أحب بستان الكرز كما فى السابق. كنت أحبه برقة، وكان يخيل إلىّ أنه لا يوجد فى الأرض مكان أفضل من بستاننا.

تروفيموف: روسيا كلها بستاننا. الأرض كبيرة ورائعة، وفيها الكثير من الأماكن الساحرة.

(صمت)

فكرى يا آنيّا.. جدك، وأبو جدك، وكل أسلافك كانوا إقطاعيين، يملكون النفوس الحية.. انظرى إلى البستان، ألا ترين مخلوقات بشرية تحديق فيك من كل شجرة كرز، من كل ورقة، من كل جذع، ألا تسمعين

أصواتهم.. إن تملك النفوس الحية هو الذى أفسدكم جميعا، من عاش قبلا، ومن يعيش الآن، حتى إنكم لا تلاحظون، لا أملك، ولا أنت، ولا خالك، أنكم تعيشون بالدين، على حساب الغير، على حساب أولئك الأشخاص الذين لا تسمحون لهم بتجاوز مدخل بيتكم.. لقد تخلفنا مائتى عام على الأقل، وليس لدينا بعد أى شىء على الإطلاق، ليس لدينا موقف واضح من الماضى، إننا نتفلسف فقط، ونشكو من الوحشة أو نشرب الفودكا. ولكن من الواضح تماما أنه لكى نبدأ الحياة فى الحاضر، علينا أولا أن نكفر عن ماضينا، أن نفرغ منه، ولن يمكن التكفير عنه إلا بالعذاب وحده، بالكد الفائق والمستمر فحسب. افهمى هذا يا أنيا.

آنيا: البيت الذى نسكنه لم يعد بيتنا من زمان، وسأرحل عنه، أعدك بذلك.

تروفيموف: إذا كانت مفاتيح الكرار لديك، ألقى بها فى البئر وارحلى. كونى حرة كالريح.

آنيا: (بإعجاب) ما أروع ما قلت!

تروفيموف: صدقيني يا أنيا، صدقيني! أنا لم أبلغ الثلاثين بعد، ما زلت شابا، ما زلت طالبا، ولكن كم قاسيت! كل شتاء أجوع، وأمراض، وأصبح مهموما، فقيرا كشحاذ و.. ما أكثر ما ألفت بى المقادير، وكم طفت بأماكن!

ولكن روحى ظلت دائما، فى كل لحظة ليلا ونهارا،
مفعمة بالهواجس الغامضة. إننى أشعر باقتراب السعادة
يا أنيا، ها أنذا أراها..

آنيا: (مستغرقة فى التفكير) طلع القمر.
(يسمع عزف يبيخودوف على الجيتار، نفس اللحن الحزين يطلع القمر.
فاريا تبحث عن أنيا قرب أشجار الحور وتنادى):
«آنيا، أين أنت؟»
تروفيموف: نعم، طلع القمر.
(صمت)

ها هى السعادة، ها هى تسير، تقترب أكثر فأكثر، إننى
أسمع خطواتها. فإذا لم نرها، لم نخبرها، لا يهم.
سيرها غيرنا!
(صوت فاريا: «آنيا، أين أنت؟»)

فاريا هذه مرة أخرى! (بغضب) يا للصفاقة!
آنيا: ما العمل؟ هيا بنا إلى النهر. المكان هناك لطيف.
تروفيموف: هيا بنا.
(يذهبان)

صوت فاريا: «آنيا! آنيا!»
(ستار)

الفصل الثالث

(غرفة جلوس يفصلها عن الصالة قوس. النجفة مضاءة. يسمع في المدخل عزف الفرقة اليهودية التي ورد ذكرها في الفصل الثاني. الوقت مساء. في الصالة يرقصون grand-rond. صوت سيميونوف - بيشيك «Promenade à une Paire!» يخرجون من الصالة إلى غرفة الجلوس أزواجا: الزوج الأول بيشيك وشارلوتا إيفانوفنا، الزوج الثاني تروفيموف ولوبوف أندرييفنا، الزوج الثالث آنيا مع موظف بريد، الزوج الرابع فاريا مع ناظر المحطة... إلخ. فاريا تبكى بصوت خافت، وتمسح دموعها أثناء الرقص. في الزوج الأخير دونياشا. يسرون عبر غرفة الجلوس، بيشيك يصيح: «Grand-rond, balancez!» و«Les cavaliers à genoux» et remerciez vos dames!^(١) فيرس مرتديا الفراك يحمل المياه المعدنية على صينية. يدخل غرفة الجلوس بيشيك وتروفيموف).

بيشيك: أنا ممتلئ الدم، أصبت بالسكتة مرتين، والرقص صعب عليّ، لكن، كما يقال، بين كلاب الصيد إذا

(١) أسماء حركات رقصة. grand-rond («الحلقة الكبيرة») بالفرنسية. المغرب.

لم تنبح فحرك ذيلك. إننى قوى كحصان. المرحوم
والدى، كان مازحا، عليه الرحمة، كان يدعى بخصوص
أصلنا أن سلالة سيميونوف ييشيك العريقة تنحدر،
حسبما قال، من ذلك الحصان الذى عينه كاليجولا
فى مجلس الشيوخ^(١)... (يجلس) لكن المصيبة أنى
مفلس! الكلب الجائع لا يحلم إلا باللحم.. (ينعس
ويشخر، ويستيقظ على الفور) وهكذا أنا.. لا أستطيع
أن أتكلم إلا عن النقود..

تروفيموف: بالفعل هناك فى هيئتك شىء حصانى.
بيشيك: لا بأس.. الحصان حيوان طيب.. الحصان يمكن
بيعه..

(يسمع صوت اللعب بالبلياردو فى الغرفة المجاورة. تظهر فاريا فى
الصالة تحت القوس)

تروفيموف: (يغيظها) مدام لوباخينا! مدام لوباخينا!..

فاريا: (بغضب) السيد الباهت!

تروفيموف: نعم، أنا سيد باهت، وأفخر بذلك!

فاريا: (بتفكير مرير) ها قد استأجروا العازفين، فمن أين ندفع
لهم؟ (تنصرف).

تروفيموف: (لبيشيك) لو أن المجهود الذى بذلته طوال حياتك
بحثا عن النقود لسدّد فوائد الديون، كرسته لشىء آخر،
لا استطعت غالبا فى نهاية الأمر أن تقلب الأرض.

(١) كاليجولا - إمبراطور رومانى (١٢-٤١ بعد الميلاد) اشتهر بقسوته وتبذيره. أراد أن
يظهر احتقاره لمجلس شيوخ روما فعين حصانه قنصلا. المغرب.

بيشيك: نيتشه.. من أعظم الفلاسفة وأشهرهم.. رجل جبار العقل.. يدعى فى مؤلفاته أنه يجوز صنع النقود المزيفة.

تروفيموف: وهل قرأت نيتشه؟

بيشيك: يعنى.. داشنكا أخبرتنى. أنا الآن فى وضع لا يبقى لى فيه إلا أن أزيّف النقود.. علىّ أن أسدد بعد غد ثلاثمائة وعشرة روبلات.. دبرت منها مائة وثلاثين.. (يتحسس جيوبه، يقول بقلق) النقود ضاعت! ضيعت النقود! (من خلال الدموع) أين النقود؟ (بفرح) ها هى، خلف البطانة.. أوه، لقد عرقت..

(تدخل لوبوف أندرييفنا وشارلوتا إيفانوفنا)

لوبوف أندرييفنا: (تدندن رقصة ليزجنكا)^(١) لماذا تأخر ليونيد إلى هذا الحد؟ ماذا يفعل فى المدينة؟ (لدونياشا) دونياشا، قدمى الشاى للعازفين..

تروفيموف: يبدو أن المزداد لم يتم فى الغالب.

لوبوف أندرييفنا: جاء الموسيقيون فى غير وقتهم والحفل أقمناه فى غير وقته.. لا بأس.. (تجلس وتدندن بصوت خافت).

شارلوتا: (تقدم لبشيك شدة أوراق لعب) خذ شدة الأوراق. اختر لنفسك ورقة سرا.

بيشيك: اخترت.

(١) رقصة قوقازية سريعة الإيقاع. المعرب.

شارلوتا: فط الشدة إذن. عظيم جدا. أعطاها لى يا سيدى العزيز
بيشيك. Ein, zwei, drei!^(١). والآن ابحت عنها فى
جيب سترتك..

بيشيك: (يستخرج الورقة من جيبه) الثمانية البستونى، بالضبط!
(مندهشا) يا سلام!.

شارلوتا: (تضع الشدة على راحتها، لتروفيموف) قل بسرعة، أية
ورقة فى الأعلى؟

تروفيموف: حسنا.. لنقل، البنت البستونى.

شارلوتا: بالضبط! (ليشيك) هه؟ أية ورقة فى الأعلى؟
بيشيك: الآس الكوبة.

شارلوتا: بالضبط! (تضرب على راحتها فتختفى شدة الأوراق)
ما أجمل الجو اليوم!

(يرد عليها صوت نسائي غامض، كأنما من تحت الأرض):

«أوه، نعم يا سيدتى، الطقس رائع».

ما أجملك يا مثالى الأعلى..

الصوت: «وأنت يا سيدتى أعجبتنى جدا».

ناظر المحطة: (مصفقا) السيدة المتكلمة من بطنها، برافوا!

بيشيك: (مندهشا) يا سلام! شارلوتا إيفانوفنا الساحرة.. أنا
وقعت فى حبك..

شارلوتا: وقعت فى حبي؟ (تهز كتفها) وهل أنت قادر

(١) واحد، اثنان، ثلاثة - بالألمانية فى الأصل.

على الحب؟ (١)Guter Mensch, aber schlechter

Musikant

تروفيوموف: (يربت على كتف بيشيك) يا لك من حصان..
شارلوتا: أرجو الانتباه، نمرة أخرى (تناول حراما من على
الكرسى) ها هو حرام جيد جدا، أريد أن أبيع..
(تنفضه) ألا يرغب أحدكم أن يشتريه؟

بيشيك: (مندهشا) يا سلام!
شارلوتا: Ein, zwei, drei! (ترفع الحرام المدلى بسرعة. خلف
الحرام تقف أنيا. تحى بانحناءة، وتجرى نحو أمها
فتعانقها ثم تعود إلى الصلاة ركضا يصاحبها إعجاب
الجميع).

لوبوف أندرييفنا: (مصفقة) برافو، برافوا!..
شارلوتا: ونمرة أخرى Ein, zwei, drei! (ترفع الحرام. خلف
الحرام تقف فاريا وهي تحى بانحناءة).

بيشيك: (مندهشا) يا سلام!
شارلوتا: خلاص! (تلقى بالحرام على بيشيك، وتحى بانحناءة،
وتركض إلى الصلاة).

بيشيك: (يسرع وراءها) العفريته... رأيتم؟ رأيتم؟ (يخرج).
لوبوف أندرييفنا: ليونيد لم يعد للآن. ما الذى يفعله فى المدينة كل هذه
المدة، لا أفهم! لقد انتهى كل شىء هناك، والضيعة
بيعت. أو لم يجر المزاد، فلماذا يجعلنى أتخبط فى
الجهل طول هذه المدة!

(١) رجل طيب ولكن موسيقار سيء. (بالألمانية فى الأصل).

فأريـا: (تحاول طمأننتها) خالى اشتراها، أنا واثقة.

تروفيـموف: (باستهزاء) نعم.

فأريـا: الجدة أرسلت له توكيلا ليشتري باسمها مع تحويل الديون إليها. فعلت هذا من أجل آنيا. وأنا واثقة، إن شاء الله، خالى سيشتري الضيعة.

لوبوف أندرييفنا: الجدة فى ياروسلاف أرسلت خمسة عشر ألفا لشراء الضيعة باسمها، فهى لا تثق بنا، ولكن هذا المبلغ لا يكفى حتى لسداد الفوائد. (تغطى وجهها بيديها) مصيرى يتقرر اليوم، مصيرى...

تروفيـموف: (يغيط فأريا) مدام لوباخينا!

فأريـا: (بغضب) الطالب الأبدى! طردوك مرتين من الجامعة.

لوبوف أندرييفنا: مالك تغضبين يا فأريا؟ لأنه يغيطك بلوباخين، وماذا فى ذلك؟ إذا شئت تزوجيه، إنه شخص طيب، طريف، وإذا لم تشائى لا تتزوجيه لا أحد يرغمك ياروحى...

فأريـا: أنا أنظر إلى هذه المسألة بجدية يا ماما، وإذا شئت الصراحة. إنه رجل طيب، يعجبنى.

لوبوف أندرييفنا: إذن تزوجيه. فيم الانتظار، لست أفهم!

فأريـا: ماما، لا يمكن أن أقدم أنا لخطبته. منذ سنتين والجميع يحدثوننى عنه، الجميع ولكنه إما يسكت وإما يمزح. أنا

فاهمة، إنه يجمع الثروة، مشغول بعملة عني، لا وقت عنده. آه لو معي نقود، ولو قليلا، ولو مائة روبل، لتركت كل شيء ورحلت بعيدا. لدخلت الدير.

تروفيموف: يا للجلال!

فأريّا: (لتروفيموف) على الطالب أن يكون ذكيا! (بنبرة ناعمة، وهي تبكي) كم أصبحت قبيحا يا بيتيا، كم هرمت! (للوبوف أندرييفنا، وقد كفت عن البكاء) لكني لا أستطيع البقاء بلا عمل يا ماما.. يلزمني في كل لحظة أن أعمل شيئا ما.

(يدخل ياشا)

ياشّا: (لا يكاد يقوى على كتم ضحكه) يبيخودوف كسر عصا البلياردو!.. (ينصرف).

فأريّا: ولماذا يبيخودوف هنا؟ من سمح له بلعب البلياردو؟ لا أفهم هؤلاء الناس.. (تنصرف).

لوبوف أندرييفنا: لا تغظها يا بيتيا، ألا ترى، يكفيها ما هي فيه من همّ. تروفيموف: إنها مجتهدة جدا، تحشر أنفها فيما لا يخصها. طوال الصيف لم تتركنا لحظة، لا أنا ولا آنيا، كانت تخشى أن تنشأ بيننا علاقة غرامية. ماشأنها؟ ثم إنه لم ييدر مني شيء، إنني جد بعيد عن الابتذال. نحن أسمى من الحب!

لوبوف أندرييفنا: أما أنا، فالظاهر، أدنى من الحب. (في قلق شديد) لماذا

تأخر ليونيد؟ لو أعرف فقط هل بيعت الضيعة أم لا؟
المصيبة تبدو لي غير محتملة إلى درجة أنني لا أعرف
حتى كيف أفكر، عقلى يتشتت.. قد أصرخ الآن.. قد
أرتكب حماقة. أنقذنى يا بيتيا. قل شيئاً، قل..

تروفيموف: أليس سيان أن بيعت الضيعة اليوم أو لم تبع؟ لقد انتهى
أمرها من زمان، ولا عودة إلى الوراء، اندثر الدرب.
اطمئنى يا عزيزتى. لا داعى. لا داعى لأن تخذعى
نفسك، ينبغى، ولو مرة فى العمر، أن تواجهى الحقيقة
مباشرة.

لوبوف أندرييفنا: أية حقيقة؟ أنت ترى أين الحقيقة وأين الكذب ولكنى
لا أرى شيئاً، كأنما فقدت بصرى. أنت تحل جميع
المشاكل الهامة بجرأة، ولكن قل لى يا عزيزى، ألا
يرجع ذلك إلى كونك شاباً، وإلى أنك لم تعان مشكلة
من مشاكلك هذه؟ أنت تتطلع إلى الأمام بجرأة، أفلا
يرجع ذلك إلى أنك لا ترى ولا تتوقع أى شىء رهيب،
إذ إن الحياة ما زالت خافية عن عينيك الشابتين؟ أنت
أجراً، وأشرف، وأعمق منا، ولكن أعمق النظر، كن
سمحاً ولو قدر أنملة وأشفق علىّ. أنا ولدت هنا، وهنا
عاش أبى وأمى، وجدى، أنا أحب هذا البيت، وبدون
بستان الكرز لا أفهم معنى لحياتى وإذا كان لا بد من
بيع البستان، فلتبيعونى معه.. (تعانق تروفيموف وتقبله

فى جبينه) وابنى غرق هنا.. (تبكى) أشفق علىّ، أيها
الرجل الطيب الخيرّ.

تروفيموف: أنت تعلمين، أنا متعاطف من كل قلبى.

لوبوف أندرييفنا: لكن ينبغى قول هذا بصورة أخرى.. (تخرج منديلها
فتسقط برقية على الأرض) كم أشعر اليوم بانقباض
نفسى، أنت لا تستطيع أن تتصور. هنا بالنسبة لى
صخب، وروحى ترتجف من كل صوت، بدنى كله
يرتجف، لكنى لا أستطيع الذهاب إلى غرفتى، أخاف
من البقاء وحدى فى السكون. لا تقس فى حكمك
علىّ يا بيتيا.. إننى أحبك كابنى. وكان من الممكن
أن أزوجك آنيا بكل سرور، أقسم لك، ولكن ينبغى
يا عزيزى أن تدرس، ينبغى أن تنهى الجامعة. إنك لا
تفعل شيئاً، والمقادير تلقى بك من مكان إلى آخر، ما
أغرب هذا.. أليس كذلك؟ نعم؟ ثم ينبغى أن تفعل
شيئاً بلحيتك، لكى تنمو بصورة ما.. (تضحك) أنت
مضحك!

تروفيموف: (يرفع البرقية) أنا لا أريد أن أكون جميلاً.

لوبوف أندرييفنا: هذه برقية من باريس. كل يوم تصلنى برقيات. أمس،
واليوم. هذا الرجل المتوحش مرض ثانية، ساءت حالته
ثانية.. يرجو أن أسامحه، يتوسل أن أذهب إليه، وفى
الحقيقة كان ينبغى علىّ أن أسافر إلى باريس، لكى

أكون بجواره. إن وجهك صارم يا بيتيا، ولكن ما العمل
يا عزيزي، ماذا أفعل، إنه مريض، وحيد، تعيس، فمن
سيعنى به هناك؟، من يحميه من الأخطاء؟، من يقدم له
الدواء فى أوانه؟ وما فائدة الكتمان أو السكوت، إننى
أحبه، هذا واضح. أحبه، أحبه.. إنه حجر فى عنقى،
يشدنى معه إلى القاع، ولكنى أحب هذا الحجر، ولا
أقوى على العيش بدونه. (تضغط على يد تروفيموف)
لا تسئى بى الظن يا بيتيا، لا تقل لى شيئا، لا تقل..
تروفيموف: (من خلال الدموع) اغفرى لى صراحتى، بالله عليك،
ولكنه نهبك!

لوبوف أندرييفنا: كلا، كلا، لا تتكلم هكذا.. (تسد أذنيها).
تروفيموف: ولكنه وغد، أنت وحدك لا تعرفين هذا! وغد حقير،
تافه..

لوبوف أندرييفنا: (مغضبة ولكن بضبط أعصاب) سنك ست وعشرون
أو سبع وعشرون سنة، وما زلت تلميذا فى السنة
الثانية!

تروفيموف: فليكن!
لوبوف أندرييفنا: ينبغى أن تكون رجلا، فى سنك ينبغى أن تفهم من
يحب. وينبغى أن تحب بنفسك.. ينبغى أن تعشق!
(بغضب) نعم، نعم! وليس فى روحك طهارة بل تظاهر
تافه بالطهر. أنت غريب، مضحك، مسخ..

تروفيموف: (مرتاعا) ماذا تقول!

لوبوف أندرييفنا: «أنا أسمى من الحب!» لست أسمى من الحب بل أنت ببساطة، كما يقول فيرس، مغفل. شاب فى سنك وليس لديه عشيقة!..

تروفيموف: (مرتاعا) هذا فظيع! ماذا تقول؟!

(يسير بسرعة إلى الصالة وقد وضع رأسه بين يديه) هذا فظيع... لا أستطيع، سأرحل.. (ينصرف ويعود فورا) كل شيء انتهى بيننا! (ينصرف إلى المدخل).

لوبوف أندرييفنا: (تصرخ فى أثره) بيتيا، انتظر! يالك من مضحك، أنا كنت أمزح! بيتيا!

(يسمع وقع خطوات شخص ما سريعة على الدرج عند المدخل، ثم يسقط فجأة بدوى. أنيا وفاريا تصرخان، وعلى الفور يسمع ضحكهما).
ماذا هناك؟

(تدخل أنيا راكضة).

آنـيـا: (ضاحكة) بيتيا سقط من على الدرج! (تنصرف ركضا).

لوبوف أندرييفنا: ياله من غريب الأطوار بيتيا هذا..

(ناظر المحطة يقف وسط الصالة ويقرأ قصيدة «الخاطئة» لأليكسى تولستوى^(١). الحاضرون يصغون

(١) أليكسى تولستوى (١٨١٧ - ١٨٧٥) شاعر روسى، اشتهرت قصيدته «الخاطئة» عن المرأة الضالة التى غفر لها المسيح ذنوبها. المغرب.

إليه، ولكن ما إن يقرأ بضعة أبيات حتى تتناهى من المدخل أنغام الفالس فتقطع القراءة. الجميع يرقصون. يمر من المدخل تروفيموف وآنيا وفاريا ولوبوف أندرييفنا).

يا بيتيا، أيها الروح الطاهرة.. أرجو المغفرة.. هيا بنا نرقص (ترقص مع بيتيا).

(آنيا وفاريا ترقصان يدخل فيرس، يضع عصاه بجوار الباب الجانبي. ياشا أيضا يدخل من غرفة الجلوس وينظر إلى الراقصين).
ياشأ: ماذا يا جدى؟

فيرس: أشعر بوعكة. فى الماضى كان يرقص فى حفلاتنا الجنرالات والبارونات والأميرالات، واليوم ندعو موظف البريد وناظر المحطة، وحتى هؤلاء يأتون على مضض. ضعفت قواى. السيد المرحوم، الجد، كان يداوى الجميع بالشمع الأحمر، من كل الأمراض. وأنا أتناول الشمع الأحمر كل يوم، منذ حوالى عشرين سنة، وربما أكثر. ربما مازلت حيا بسببه.

ياشأ: أضجرتنى يا جدى (يتشاءب) إن شاء الله تفتطس بسرعة.

فيرس: أخص.. مغفل! (يدمدم).
(تروفيموف ولوبوف أندرييفنا يرقصان فى الصالة ثم فى غرفة الجلوس).

لوبوف أندرييفنا: Merci، سأجلس... (تجلس) تعبت.
(تدخل آنيا)

آنيا: (بانفعال) هناك رجل فى المطبخ قال الآن إن بستان
الكرز قد بيع اليوم.

لوبوف أندرييفنا: لمن بيع؟

آنيا: لم يقل لمن. لقد ذهب (تراقص تروفيموف، كلاهما
يبتعدان إلى الصالة).

ياشا: شيخ ما هو الذى تحدث هناك. شخص غريب.

فيرس: وليونيد أندرييتش لم يعد بعد. ارتدى معطفا خفيفا،
معطف الخريف، فى أية لحظة قد يصاب بالبرد، شباب
طائش!

لوبوف أندرييفنا: سأموت الآن. اذهب، ياشا، واعرف لمن بيع.

ياشا: لكن العجوز ذهب منذ وقت طويل. (يضحك).

لوبوف أندرييفنا: (بأسى خفيف) وماذا يضحكك؟ ما الذى يسرك؟

ياشا: يبيخودوف مضحك جدا. شخص فارغ. عشرون
مصيبة.

لوبوف أندرييفنا: فيرس، لو بيعت الضيعة فإلى أين تذهب؟

فيرس: سأذهب إلى حيث تأمرون.

لوبوف أندرييفنا: ما بال وجهك هكذا؟ هل أنت مريض؟ هلا ذهبت
إلى الفراش..

فيرس: نعم.. (بسخرية) إذا ذهبت إلى الفراش فمن غيرى

سيخدم ومن سيتصرف؟ أنا وحدي لخدمة البيت كله.

ياشأ: (للوبوف أندرييفنا) لوبوف أندرييفنا، اسمحي لي برجاء لو تكرمت. إذا سافرت ثانية إلى باريس فلتأخذيني معك، أصنعى معروفًا. لا يمكنني أبدا أن أبقى هنا (يتلفت، ثم بصوت خافت) ما جدوى الكلام؟ أنت ترين بنفسك، بلد جاهل، وناس بلا أخلاق، وفوق ذلك الضجر، والأكل في المطبخ فظيع، ثم فيرس هذا يسير ويدمدم بشتى الكلمات غير المناسبة. خذيني معك لو تكرمت!

(يدخل بيشيك)

بيشيك: اسمحي لي أن أرجوك.. لرقصة الفالس يا سيدتي الرائعة.. (لوبوف أندرييفنا تمضي معه) أيتها الساحرة، سأخذ منك مع ذلك مائة وثمانين روبلا.. سأخذ.. (يرقص) مائة وثمانون روبلا..

(ينتقلان إلى الصالة)

ياشأ: (يدندن بصوت خافت) «هل تدركين عذاب قلبي...»

(في الصالة شخص في قبعة أسطوانية رمادية وسروال كاروهات يشيح بيديه ويقفز. صيحات: «برافو شارلوتا إيفانوفنا!»)

دونيأشأ: (تتوقف لتضع البودرة) السيدة تأمرني أن أرقص،

فالمراقصون كثيرون والسيدات قليلات، بينما رأسى
يدور من الرقص، وقلبي يدق يا فيرس نيكولا يفتش،
الآن قال لى موظف البريد كلاما بهر أنفاسى.

(الموسيقى تهدأ)

فيرس: وما الذى قاله لك؟

دونيشا: قال أنت كالزهرة.

ياشا: يا للجهل.. (ينصرف).

دونياشا: كالزهرة.. أنا فتاة حساسة جدا، أموت فى الكلام
الرقيق.

فيرس: ستقعين، يا فتاة.

(يدخل ييخودوف)

ييخودوف: أنت لا تريدين أن ترينى يا أفدوتيا فيودورفنا... كأنما
أنا حشرة.. (يتنهد) آه، دُنيا!

دونياشا: أى خدمة؟

ييخودوف: لا شك أنك ربما كنتِ على صواب. (يتنهد) ولكن
بالطبع، لو نظرنا من وجهة نظر، فإنك، ولأسمح لنفسى
بهذا التعبير، وعفوا على الصراحة، قد جعلتنى تماما
فى حالة الروح. إننى أعرف حظى، وكل يوم تحل
بى مصيبة ما، وقد تعودت ذلك منذ وقت بعيد،
وأصبحت أنظر إلى مصيرى بابتسامة. لقد وعدتنى،
رغم أنى..

دونياشا: أرجوك، ستحدث فيما بعد، أما الآن فدعني وشأني.

إنني الآن أحلم. (تعبث بالمروحة).

بييخودوف: كل يوم تحل بي مصيبة بينما أنا، وسأسمح لنفسى بهذا

التعبير، أبتسم فحسب، بل حتى أضحك.

(تدخل فاريا من الصالة)

فاريّا: أما زلت هنا يا سيميون؟ يالك من شخص غير محترم!

(لدونياشا) انصرفي أنت يا دونياشا. (لييخودوف) تارة

تلعب البلياردو فتكسر العصا، وتارة تتمخطر فى غرفة

الجلوس كضيف.

بييخودوف: اسمحى أن أعرب لك أنك لا تستطيعين أن

تحاسبينى.

فاريّا: أنا لا أحاسبك بل أكلّمك. لا تعرف سوى أن تنتقل من

مكان إلى مكان ولا تفعل شيئاً. نستخدم وكيل أعمال،

فلأى غرض..؟ لا نعرف.

بييخودوف: (بزعل) إن كنت أعمل، أم أنتقل، أم آكل، أم ألعب

البلياردو، فهذه مسائل لا يستطيع أن يناقشها إلا من

هم أكبر، وأكثر فهما.

فاريّا: وتجروء على أن تقول لى هذا! (باحتراد) تجروء؟ إذن

أنا لا أفهم شيئاً؟ غر من هنا فوراً!

بييخودوف: (وقد جبن) أرجوك أن تعبرى بكلمات رقيقة.

فاريّا: (منفجرة) غر من هنا فوراً! غر!

(يسير نحو الباب وهي تتبعه)

يا عشرين مصيبة! إياك أن تبقى هنا! إياك أن تراك
عيني!

(بيخودوف يخرج. يسمع صوته من وراء الباب):
«سوف أشكوك»

آه، تعود؟ (تمسك العصا التي وضعها فيرس بجوار
الباب) تعال.. تعال.. تعال وسأريك.. آه، تأتي؟ تأتي؟
إذن خذ.. (تهوى بالعصا في اللحظة التي يدخل فيها
لوباخين).

لوباخين: أشكرك من صميم القلب.

فاريبا: (بغضب وسخرية) لا مؤاخذه.

لوباخين: لا بأس. أشكرك من صميم القلب على كرم الضيافة
هذا.

فاريبا: لا داعي للشكر (تبتعد ثم تلتفت وتسال بنعومة) ألم
أصبك بجرح؟

لوباخين: كلا، لا بأس. ولكن سيرز ورم هائل.

أصوات في الصالة: «لوباخين وصل! يرمولاي أليكسييتش!»

بيشيك: رأينا وسمعنا.. (يتبادل القبل مع لوباخين) تفوح منك
رائحة الكونياك يا عزيزي، يا روحى. ونحن أيضا نمرح
هنا.

(تدخل لوبوف أندرييفنا)

لوبوف أندرييفنا: أهو أنت يا يرمولاى أليكسييتش؟ لماذا تأخرتم هكذا؟
أين ليونيد؟

لوباخين: ليونيد أندرييتش جاء معى، إنه قادم..

لوبوف أندرييفنا: (بقلق) ماذا هناك؟ تمّ المزاد؟ تكلم!

لوباخين: (مخرجاً، يخشى إظهار فرحته) المزاد انتهى فى حوالى
الرابعة.. تأخرنا على القطار، فاضطررنا للانتظار إلى
التاسعة والنصف (يتنهد بمعاناة) أف! رأسى يدور
قليلاً..

(يدخل جاييف، فى يده اليمنى مشتريات، وباليمنى يمسح دموعه).

لوبوف أندرييفنا: لونيا، ماذا؟ لونيا، قل (بنفاد صبر، تبكى) بسرعة بالله
عليك..

جاييف: (لا يرد عليها، فقط يشيح بيده، يقول لفيرس باكيا) خذ،
أمسك.. هنا أنشوجا وفسيوخ من كيرتش.. أنا لم أكل
شيئاً اليوم.. كم تعذبت!

(باب غرفة البلياردو مفتوح، تسمح ضربات الكرات
وصوت ياشا: «سبعة وثمانية عشر!» يتغير تعبير وجه
جاييف، ولا يعود يبكى).

تعبت جداً. هلا جعلتنى أغير ملابسى يا فيرس.
(ينصرف إلى غرفته عبر الصالة، وفيرس يتبعه)

بيشيك: ماذا حدث فى المزاد؟ تكلم!

لوبوف أندرييفنا: هل بيع بستان الكرز؟

لوباخين: بيع.

لوبوف أندرييفنا: من اشتراه؟

لوباخين: أنا اشتريته.

(صمت)

(لوبوف أندرييفنا مقهورة. لو لم تكن واقفة بجوار الكرسي والطاولة لسقطت. فاريا تنزع المفاتيح من خصرها وتلقى بها على الأرض في وسط غرفة الجلوس وتنصرف).

أنا اشتريته! مهلا يا سادة، لو تكرمتم، رأسى يدور، ولا أستطيع أن أتكلم... (يضحك) وصلنا إلى المزاد، فإذا ديرجانوف هناك. كان مع ليونيد أندرييتش خمسة عشر ألفا فقط، أما ديرجانوف فقد عرض فوق الدين ثلاثين ألفا على الفور. عندما وجدت المسألة هكذا اشتبكت معه، وعرضت أربعين. فعرض خمسة وأربعين. فعرضت خمسة وخمسين. كان يرفع بالخمسة يعنى، وأنا بالعشرة.. حسنا، انتهى. عرضت فوق الدين تسعين، فرسا المزاد على. أصبح بستان الكرز لى! لى! (يقهقه) يا إلهى، ياربى، بستان الكرز لى! قولوا لى إننى سكران، إننى مجنون، إن هذا كله يخيل إلى.. (يدق بقدميه) لا تضحكوا منى! لو نهض أبى وجدى من قبريهما ونظرا إلى كل ما حدث، وكيف اشترى ابنهما يرمولاى، يرمولاى المضروب، شبه الأُمى،

الذى كان يركض حافى القدمين فى الشتاء، كيف اشترى يرمولاى هذا ضيعة ليس هناك أروع منها فى الدنيا. أنا اشتريت الضيعة التى كان أبى وجدى عبيدين فيها، وحيث لم يكن يسمح لهما حتى بدخول المطبخ. إننى نائم، وهذه مجرد تهیؤات، هذا يبدو لى فحسب.. هذا ثمرة خيالك الملفوفة بظلام المجهول.. (يرفع المفاتيح ويتسم برقة) أَلقت بالمفاتيح، تريد أن ترى أنها لم تعد ربة البيت هنا... (يصلصل بالمفاتيح) حسناً، سيان.

(تسمح أصوات ضبط آلات الفرقة)

أيها الموسيقيون، اعزفوا، أنا أريد أن أسمعكم! تعالوا جميعاً لتروا كيف يعربد يرمولاى لوباخين بالفأس فى بستان الكرز، وكيف ستسقط الأشجار على الأرض! سنبنى الفيلات، وسيرى أحفادنا وأبناء أحفادنا هنا حياة جديدة.. فلتعزف الموسيقى!

(الموسيقى تعزف. لوبوف أندرييفنا تجلس على الكرسي وتبكي بحرقة).

(بتأنيب) لماذا إذن، لماذا لم تصغى إلیّ؟ أيتها المسكينة، أيتها الطيبة، لا فائدة الآن. (تسيل دموعه) أوه، لو ينتهى كل هذا بسرعة، لو تتغير بسرعة كيفما كان، حياتنا الخرقاء التعيسة.

بيشيك: (يتأبط ذراعاه، يقول بصوت خافت) إنها تبكى. لنذهب

إلى الصلاة، فلتبقى وحدها.. هيا بنا.. (يتأبط ذراعه
ويسحبه إلى الصلاة).

لوباخين: ما هذا؟ فلتعزف الموسيقى بوضوح! فليكن كل شيء
كما أريد! (باستهزاء) السيد الجديد يسير، مالك بستان
الكرز! (يصطدم بطاولة صغيرة عفوا فيكاد يقلب
الشمعدان) أستطيع أن أدفع ثمن كل شيء! (ينصرف
مع بيشيك).

(لا يبقى في الصلاة وغرفة الجلوس أحد سوى لوبوف أندرييفنا التي
تجلس منكشمة على نفسها وهي تبكي بحرقة. الموسيقى تعزف بصوت
خافت. أنيا وتروفيموف يدخلان بسرعة. أنيا تقترب من أمها وتجنو أمامها
على ركبتها. تروفيموف يقف بجوار مدخل الصلاة).

آنـيـا: ماما!.. ماما، أتبكين؟ يا عزيزتى، يا أمى الطيبة، العزيزة،
يا غاليتى الرائعة، إننى أحبك..

إننى أباركك. بستان الكرز بيع، لم يعد موجودا، هذا
صحيح، صحيح، ولكن لا تبكى يا ماما، بقيت لديك
حياتك القادمة، بقيت لديك روحك الطيبة الطاهرة..
هيا معى، هيا بنا يا غاليتى من هنا، لنذهب!.. سنغرس لنا
بستانا جديدا، أكثر روعة من هذا، وسترينه وستفهمين،
فتغمر روحك فرحة هادئة، فرحة عميقة، كالشمس
وقت الغروب، فتبتسمين يا ماما! هيا يا حبيبتي! هيا!

(ستار)

الفصل الرابع

ديكور الفصل الأول. الستائر نزعت من النوافذ واللوحات من على الجدران، وبقي القليل من الأثاث الذى جمع فى ركن واحد كأنما للبيع. الخواء ظاهر ملموس. بجوار باب الخروج وفى عمق الخشبة رصت الحقائق وصرر السفر وخلافه. الباب الأيسر مفتوح، ويتناهى منه صوتا فاريا وآنيا. لوباخين يقف منتظرا. ياشا يحمل صينية عليها أكواب مليئة بالشمبانيا. فى المدخل بيبخودوف يربط صندوقا. وراء الخشبة عميقا يسمع لفظ الفلاحين، الذين جاءوا للتوديع. صوت جايف: «شكرا يا جماعة، شكرا لكم».

ياشاشا: الناس البسطاء جاءوا ليوودعونا. أنا رأى يا يرمولاى أليكسييتش أن الشعب طيب، ولكنه قليل الفهم. (اللفظ يهدأ. تدخل من المدخل لوبوف أندرييفنا وجايف. لا تبكى ولكنها شاحبة، وجهها يرتعش، لا تقوى على الكلام).

جايف: أعطيتهم محفظتك يا لوبا. هذا لا يصح، لا يصح! لوبوف أندرييفنا: لم أستطع! لم أستطع!

(ينصرفان)

لوباخين: (فى الباب، فى أثرهما) تفضلوا لو سمحتم! كأسا للوداع. لم أفطن إلى شرائها فى المدينة، وفى المحطة لم أجد سوى زجاجة واحدة. تفضلوا!
(صمت)

حسنا يا سادة! لا تريدون؟ (يتعد عن الباب) لو كنت أدرى ما اشتريتها. طيب، لن أشرب أنا أيضا.
(ياشا يضع الصينية بحذر على الكرسي)
اشرب ولو أنت يا ياشا.

ياشاشا: نخب السفر! نترككم بخير! (يشرب) هذه شمبانيا ليست أصلية، أؤكد لك.
لوباخين: بثمانية روبلات الزجاجة.
(صمت)

البرد جهنمى هنا.

ياشاشا: لم نشغل المدافىء اليوم، فسوف نسافر.
(يضحك)

لوباخين: ماذا بك؟

ياشاشا: من الفرحة.

لوباخين: نحن فى شهر أكتوبر بينما الجو مشمس وساكن كما فى الصيف، يناسب التشييد. (ينظر فى ساعته ويقول نحو الباب) ضعوا فى اعتباركم يا سادة، لم تبق سوى

ست وأربعين دقيقة على قيام القطار! وإذن فبعد عشرين دقيقة إلى المحطة. استعجلوا.

(تروفيموف فى المعطف يدخل قادمًا من الخارج)

تروفيموف: أعتقد أنه حان الوقت للسفر. العربّة جاهزة. الشيطان يعلم أين خفى. ضاع. (نحو الباب) آنيا، خفى ضاع! لا أجده!

لوباخين: علىّ أن أسافر إلى خاركوف. سأستقل معكم نفس القطار. سأقضى الشتاء كله فى خاركوف. لقد تسكعت معكم طويلا،. وهدتنى البطالة. لا أستطيع أن أبقي بلا عمل، إذ لا أعرف ماذا أفعل بيديّ. تتهدلان بصورة غريبة، وكأنهما ليستا يديّ.

تروفيموف: سنرحل الآن، وتعود إلى عملك المفيد.

لوباخين: هيا، اشرب كأسا.

تروفيموف: لا.

لوباخين: إذن فإلى موسكو الآن؟

تروفيموف: نعم، سأوصلهم إلى المدينة، وغدا إلى موسكو.

لوباخين: نعم.. حسنا، الأساتذة لا يلقون المحاضرات، لا بد

أنهم فى انتظار حضورك!

تروفيموف: ليس هذا شأنك.

لوباخين: كم سنة تدرس فى الجامعة؟

تروفيموف: ابتكر شيئا جديدا. هذا قديم وسطحي (يبحث عن

الخف) أتدرى، أعتقد أننا لن نتقابل بعد، فلتسمح
لى إذن أن أقدم لك نصيحة ساعة الوداع: لا تشوح
بيديك! تخلّ عن هذه العادة.. عادة التشويح. وأيضا
بناء الفيلات على أمل أن يتحول بعض المصطافين إلى
منتجين، هذا الأمل أيضا معناه التشويح.. مهما كان
هناك فإننى أحبك مع ذلك. إن أصابعك رفيعة، ناعمة،
مثل أصابع الممثل، وروحك حساسة، رقيقة..

لوباخين: (يعانقه) وداعا يا عزيزى. شكرا على كل شىء. إذا كنت
محتاجا فخذ منى نقودا للطريق.

تروفيموف: وما حاجتى إليها؟ لا داعى.

لوباخين: ولكنك بلا نقود!

تروفيموف: بل عندى. أشكرك. تلقيت حوالة. هاهى النقود هنا،
فى جيبي. (بقلق) ولكنى لا أجد خفى!

فاريّا: (من الغرفة الأخرى) خذ خفك المقرز!

(تلقى على خشبة المسرح بخفين من المطاط)

تروفيموف: مالك غاضبة يا فاريّا؟ إم.. إنه ليس خفى!

لوباخين: فى الربيع زرعت مائة هكتار من الخشخاش، وحصلت
الآن على أربعين ألفا صافية. وعندما أزهى خشخاشى،
فيا لها من لوحة كانت! وهكذا، أقول، كسبت أربعين
ألفا، وعلى هذا أعرض عليك سلفة لأنى قادر. فلماذا
الاستعلاء؟ إننى فلاح.. أتعامل ببساطة.

تروفيموف: أبوك كان فلاحا، وأبى كان صيدليا، ولا يترتب على ذلك أى شىء على الإطلاق.

(لوباخين يخرج محفظته)

دعك.. دعك.. لو أعطيتنى مائتى ألف فلن آخذها. أنا إنسان حر. وكل ما تقدرونه عاليا وغاليا أنتم جميعا، أغنياء وفقراء، ليس له على أدنى سلطان، مثل الزغب المتطاير فى الهواء. أستطيع أن أستغنى عنكم، أستطيع أن أمر من جواركم غير عابئ، فأنا قوى وأبى. البشرية تسير إلى الحقيقة السامية، إلى السعادة السامية، أقصى ما يمكن بلوغه على وجه الأرض، وأنا فى الصفوف الأولى!

لوباخين: وستصل؟

تروفيموف: سأصل.

(صمت)

سأصل، أو أرشد الآخرين إلى طريق الوصول.

(تسمع على البعد ضربات فأس فى شجرة).

لوباخين: حسنا، وداعا يا عزيزى. حان وقت الرحيل. كل منا يتعالى على الآخر، ولكن الحياة تمضى فى طريقها. عندما أعمل وقتا طويلا، بلا توقف، تصبح أفكارى حية، ويخيل إليّ أننى أعرف أيضا لماذا أعيش. وما أكثر الأشخاص فى روسيا الذين لا يعرفون يا أخى

لماذا يعيشون. ومع ذلك فليست دورة الأشياء فى هذا.
يقال إن ليونيد أندريتش تولى منصبا، سيعمل فى بنك،
سته آلاف روبل فى السنة.. ولكنه لن يبقى طويلا، فهو
كسول جدا..

آنـيـا: (وهى فى الباب) ماما ترجوك ألا يقطعوا أشجار البستان
حتى تسافر.

تروفيموف: بالفعل، يا له من عدم لباقة!.. (ينصرف من
المدخل).

لوباخين: حالا، حالا.. يا لهم من ناس، حقا. (يخرج فى
أثره).

آنـيـا: هل أرسلوا فيرس إلى المستشفى؟

ياشـا: قلت لهم صباحا. لا بد أنهم أرسلوه.

آنـيـا: .(لييخودوف المار عبر الصالة) اسأل يا سيميون
بانتليتش لو سمحت، عما إذا كان فيرس قد نقل إلى
المستشفى.

ياشـا: (بزعل) فى الصباح قلت ليجور. ما الداعى للسؤال
عشر مرات!

بييخودوف: فيرس الطويل العمر، حسب رأى النهائى، لا يجدى
معه الإصلاح، عليه أن يلحق بأسلافه، أما أنا فلا يسعنى
إلا أن أغبطه. (يضع الحقيبة على علبه كرتون بداخلها

قبعة فيسحقها) هكذا، طبعاً. هذا ما كنت أعرفه.
(ينصرف).

ياشأا: (بسخرية) عشرون مصيبة..

فأريأا: (من خلف الباب) هل نقلوا فيرس إلى المستشفى؟
أنأيا: نقلوه.

فأريأا: ولماذا لم يأخذوا رسالة للدكتور؟

أنأيا: ينبغي إرسالها فى أثره.. (تنصرف)

فأريأا: (من الغرفة المجاورة) أين ياشأا؟ قولوا له إن أمه جاءت،
وتريد أن تودعه.

ياشأا: (يشيح بيده) لا يفعلون إلا إغاضتى.

(دونياشأا تسعى طوال الوقت بجوار الأمتعة. وحيثما أصبح. ياشأا وحده
تقترب منه)

دونياشأا: ألق نظرة ولو مرة يا ياشأا. أنت راحل.. تهجرنى..
(تبكى وتتعلق برقبته).

ياشأا: لم البكاء؟ (يشرب الشمبانيا) بعد ستة أيام سأكون
ثانية فى باريس. غدا نستقل القطار السريع ونطلق،
فلا نترك أثراً. إننى حتى لا أصدق نفسى.. فيف لا
فرانس!^(١).. الجو هنا لا يناسبنى، لا أستطيع أن أعيش
هنا.. ليس باليد حيلة. شبعنا من رؤية الجهل، كفانى

(١) تحيا فرنسا! (عن الفرنسية).

(يشرب الشمانيا) لماذا البكاء؟ تصرفى بحشمة وعندئذ
لن تبكى.

دونياشا: (تضع البودرة متطلعة فى مرآة) أرسل إلى رسالة من
باريس. لقد أحبيتك يا ياشا، كم أحبيتك! أنا مخلوق
رقيق يا ياشا!

ياشا: أحدهم قادم. (يسعى بجوار الأمتعة ويدندن بصوت
خافت).

(تدخل لوبوف أندرييفنا وجايف وآنيا وشارلوتا إيفانوفنا).

جايف: لعلنا نتحرك الآن. لم يبق وقت كثير (ينظر إلى ياشا)
ممن تفوح رائحة الفسيخ؟

لوبوف أندرييفنا: بعد حوالى عشر دقائق دعونا نستقل العربات.. (تطوف
بنظراتها على الغرفة) وداعا بيتنا العزيز، جدنا العجوز.
سيمر الشتاء ويحل الربيع، وبحلوله لن تعود موجودا،
سيهدمونك. كم رأيت هذه الجدران! (تقبل ابتها
بحرارة) يا كنزى الغالى، أنت تتهللين، عيناك تشعان
كماستين. هل أنت راضية؟ جدا؟

آنيا: جدا! ستبدأ حياة جديدة يا ماما!

جايف: (بمرح) بالفعل، كل شئ الآن حسن. قبل بيع بستان
الكرز كنا جميعا قلقين، نعانى، ولكن حينما حسمت
المسألة نهائيا، وبلا رجعة، هدا الجميع، بل حتى
ابتهجوا... أنا موظف بنك، أصبحت رجل مالية..

الصفراء إلى الوسط، وأنت يا لوبا، مهما كان، تبدين
أفضل، بالتأكيد.

لوبوف أندرييفنا: نعم. أعصابي أفضل، هذا صحيح.

(يقدمون لها القبة والمعطف)

أنام جيداً. احمل أمتعتي يا ياشا. حان الوقت. (لآنيا)
يا بنيتي، سنلتقي قريباً.. سأرحل إلى باريس، سأعيش
هناك بالنقود التي أرسلتها جدتك في ياروسلاف لشراء
الضيعة، عاشت الجدة!، ولكن هذه النقود لن تكفي
طويلاً.

آنيـا: ستعودين قريباً جداً يا ماما.. أليس كذلك؟ أنا سأذكر،
وأمتحن في المدرسة، وبعد ذلك سأعمل، وسأساعدك.
سوف نقرأ معاً يا ماما مختلف الكتب.. أليس كذلك؟
(تقبل يدي أمها) سوف نقرأ في أمسيات الخريف،
سنقرأ كتباً كثيرة، وسيتكشف أمامنا عالم جديد، رائع..
(تحلم) عودي يا ماما..

لوبوف أندرييفنا: سأعود يا حبيبتى (تضم ابنتها).

(يدخل لوباخين. شارلوتا تدندن أغنية بصوت خافت).

جايـف: ما أسعد شارلوتا.. تغنى!

شارلوتا: (تناول صرة تشبه مولوداً ملفوفاً) نم يا طفلي، نم..

(يسمع بكاء طفل: «وا.. وا..»)

لا تبك يا صغيري، يا طفلي العزيز

(«وا.. وا..»)

كم أرثى لك! (تلقى بالصرة إلى مكانها) أرجوك هبى
لى مكانا، أنا لا أستطيع هكذا.

لوباخين: سنهئ لك يا شارلوتا إيفانوفنا، اطمئنى.

جايف: الجميع يهجروننا، فاريا ترحل.. أصبحنا فجأة بلا
ضرورة.

شارلوتا: ليس لى مسكن فى المدينة. ينبغى أن أرحل.. (تدندن)
سيان..

(يدخل بيشيك)

لوباخين: معجزة الطبيعة!

بيشيك: (لاهثا) أوه، دعونى أسترده أنفاسى.. تعذبت.. أيها
المحترمون.. أعطونى ماء..

جايف: تراك ستطلب نقودا؟ كلا، اعفونى، سأبتعد عن الشر..
(ينصرف)

بيشيك: لم أزركم من مدة طويلة.. سيدتى الرائعة.. (للوباخين)
وأنت هنا.. سعيد برؤيتك.. أيها العقل الجبار.. خذ..
تسلم.. (يمد نقودا للوباخين) أربعمائة روبل.. يبقى
على ثمانمائة وأربعون.

لوباخين: (يهز كتفيه مستغربا) كأنما فى حلم.. من أين
أخذتها؟

بيشيك: مهلا.. الدنيا حر.. حادث لا مثيل له. جاءنى إنجليز

فعثروا فى الأرض على طين ما أبيض .. (للوبوف
أندرييفنا) ولك أربعمائة .. سيدتى الرائعة، المدهشة ..
(يناولها النقود) الباقى فيما بعد. (يشرب ماء) حدثنى
أحد الشبان وأنا قادم فى عربة القطار، فقال إن أحد الـ ..
الفلاسفة العظام ينصح بالقفز من الأسطح .. يقول:
«اقفز!» وهذه هى المسألة كلها. (باستغراب) يا سلام!
أعطونى ماء! ..!

لوباخين: أى إنجليز جاءوك؟

بيشيك: أجرت لهم قطعة الأرض ذات الطين لأربعة وعشرين
عاماً .. والآن عفوا، أنا مستعجل .. على أن أواصل
الركض .. سأرحل إلى زنويكوف .. وإلى كاردامونوف ..
مدين للجميع .. (يشرب) تمنياتى لكم .. سأزوركم
الخميس ..

لوبوف أندرييفنا: سنرحل الآن للإقامة فى المدينة، وغدا سأرحل أنا إلى
الخارج ..

بيشيك: كيف؟ (بقلق) لماذا فى المدينة؟ آه، ولهذا فالأثاث ..
والحقائب .. لكن لا بأس .. (من خلال الدموع) .. لا
بأس .. أناس جبارو العقول .. هؤلاء الإنجليز .. لا بأس ..
وهبكم الله السعادة .. وفقكم الله .. لا بأس .. لكل شىء
فى هذه الدنيا نهاية .. (يقبل يد لوبوف أندرييفنا) فإذا
بلغك أن نهايتى حلت، فلتذكرى هذا الـ .. الحصان،

وقولى: «عاش فى الدنيا فلان الفلانى.. سيميونوف
- بيشيك.. عليه الرحمة».. يا للطقس الرائع.. نعم..
(يخرج فى ارتباك شديد ولكنه يعود فوراً ويقول وهو
فى الباب) داشنكا تهديكم تحياتها! (ينصرف).

لوبوف أندرييفنا: يمكننا الآن أن نساfer. أرحل بهمين. الهم الأول هو
فيرس المريض (تنظر إلى ساعتها) ما زال لدينا خمس
دقائق..

آنيا: ماما، فيرس أرسلوه إلى المستشفى. يا شا أرسله فى
الصباح.

لوبوف أندرييفنا: والهم الثانى هو فاريا. تعودت أن تستيقظ مبكراً لتعمل،
وهى الآن بلا عمل كالسمكة بلا ماء. هزلت وشجبت،
وتبكى، المسكينة..

(صمت)

أنت تعرف هذا تماماً يا يرمولاى أليكسييتش. كنت
أحلم.. بأن أزوجها لك. وكان يبدو، من كل الدلائل،
أنك ستتزوجها. (نهمس لآنيا، فتومئ هذه لشارلوتا
وتخرجان كلتاها) إنها تحبك، وأنت تميل إليها، ولست
أدرى، لست أدرى لماذا يبدو وكأن كلا منكما يتحاشى
الآخر. لست أفهم!

لوباخين: أنا أيضاً لا أفهم، صدقيني. غريب كل ذلك.. إذا كان
ما يزال ثمة وقت، فأنا مستعد ولو الآن.. نفرغ من

المسألة، وانتهينا. أما بدونك فأشعر أنى لن أقدر على خطبتها.

لوبوف أندرييفنا: رائع إذن. تكفى دقيقة واحدة فقط. سأناديها الآن..
لوباخين: وبالمناسبة لدينا شمبانيا. (ينظر إلى الأكواب) إنها فارغة، شربها أحد ما.

(ياشا يسعل)

هذا اسمه.. لعق..

لوبوف أندرييفنا: (بحيوية) رائع. نحن سنخرج.. ياشا، allez^(١) سأناديها..
(نحو الباب) فاريا، دعى كل شىء وتعالى هنا. تعالى!
(تخرج مع ياشا)

لوباخين: (ينظر إلى ساعته) نعم..
(صمت)

(خلف الباب ضحك مكتوم وهمس، وأخيراً تدخل فاريا).
فاريّا: (تتفحص الأمتعة طويلاً) غريبة، لا أستطيع أبداً أن أجدها..

لوباخين: عم تبحثين؟
فاريّا: رتبته بنفسى ولا أذكر.
(صمت)

لوباخين: وإلى أين تذهبين الآن يا فارفارا ميخايلوفنا؟
فاريّا: أنا؟ إلى آل راجولين.. اتفقت أن أتولى شئون البيت عندهم.. مدبرة يعنى..

(١) اذهب! - (بالفرنسية فى الأصل).

لوباخين: هذا فى ياشنيفو؟ حوالى سبعين كليومترا.

(صمت)

ها قد انتهت الحياة فى هذا البيت..

فاريبا: (تتفقد الأمتعة بنظرها) أين هى! ربما أكون وضعتها

فى الصندوق.. نعم ، الحياة انتهت فى هذا البيت..

لن تعود أبداً..

لوباخين: أنا مسافر إلى خاركوف الآن.. وفى نفس القطار.

الأعمال كثيرة. أترك هنا يبيخودوف، لقد

استأجرته.

فاريبا: آه.

لوباخين: فى العام الماضى كان الثلج يهطل فى مثل هذا الوقت،

لو تذكرين، أما الآن فالجو هادئ، مشمس. فقط بارد

قليلاً.. حوالى ثلاث درجات تحت الصفر.

فاريبا: لم أنظر إلى مقياس الحرارة.

(صمت)

ثم إنه مكسور..

(صمت)

صوت من الخارج عبر الباب: «يرمولاي أليكسييتش»!

لوباخين: (كأنما كان ينتظر هذا النداء من زمان) حالاً! (يخرج

بسرعة)

(تجلس فاريبا على الأرض، وتسند رأسها إلى صرة بها ملابس وتتنحب

بصوت خافت. يفتح الباب وتدخل لوبوف أندرييفنا بحذر)

لوبوف أندرييفنا: ماذا؟

(صمت)

ينبغي أن نرحل.

فأريـا: (كفت عن البكاء ومسحت دموعها) نعم، حان الوقت
يا ماما. سأصل إلى آل راجولين اليوم، المهم ألا نتأخر
عن القطار..

لوبوف أندرييفنا: (نحو الباب) آنيا، البسى!

(تدخل آنيا، ثم جايف وشارلوتا إيفانوفنا. جايف
فى معطف ثقيل بقلنسوة. يجتمع الخدم والحوذية.
يببخدوف يسعى بجوار الأمتعة)
الآن يمكننا أن نرحل.

آنيـا: (بفرح) لنرحل!

جايف: أصدقائي، الأعزاء الأحباء! هل يسعنى إذ أغادر هذا
البيت أن أسكت، هل يسعنى أن أمسك عن الإفصاح
لحظة الوداع عن تلك المشاعر التى تملأ الآن كل
جوانحى..

آنيـا: (بضراعة) خالى!

فأريـا: لا داعى يا خالى!

جايف: (بانكسار) الصفراء إلى الوسط دوبليه سكت..
(يدخل تروفيموف، ثم لوباخين)

تروفيموف: حسنا يا سادة، حان وقت الرحيل!

لوباخين: معطفى يا بيبخودوف!

لوبوف أندرييفنا: سأجلس دقيقة أخرى كأنما لم أر من قبل كيف تبدو
جدران هذا البيت، وأسقفه، والآن أحقق فيها بنهم،
بحب رقيق..

جايف: أذكر عندما كنت فى السادسة، فى عيد العنصرة، كنت
جالسا على هذه النافذة وأنظر إلى أبى وهو ذاهب إلى
الكنيسة..

لوبوف أندرييفنا: أخذتم كل الأمتعة؟

لوباخين: يبدو كلها (لبيبخودوف وهو يرتى المعطف) انتبه
يا بيبخودوف إلى أن يكون كل شىء على ما يرام.
بيبخودوف: (يتكلم بصوت أبج) اطمئن يا يرمولاى أليكسييتش.

لوباخين: ماذا جرى لصوتك؟

بيبخودوف: شربت الآن ماء فبلعت شيئا ما.

ياشا: (باحترار) يا للجهل..

لوبوف أندرييفنا: سنرحل، ولا يبقى هنا أحد..

لوباخين: حتى الربيع القادم.

فاريّا: (تنزع من الصرة مظلة، فيبدو وكأنها تهتم بضرب أحد.

لوباخين يتظاهر بالخوف) لا تخف، لا تخف.. لم
يخطر هذا ببالى..

تروفيموف: يا سادة فلنركب العربات.. حان الوقت! القطار سيصل
قريبا!

فأريـا: بيتيا، ها هو خفك، بجوار الحقيبة. (من خلال الدموع)

كم هو متسخ، وقديم..

تروفيـموف: (يرتدى الخف) هيا يا سادة!..

جايـف: (خجل بشدة، يخشى أن يبكى) القطار.. المحطة..

الكروازيه إلى الوسط، الأبيض دوبليه إلى الزاوية..

لوبوف أندريـفنا: هيا بنا!

لوباخـين: الجميع هنا؟ لا أحد هناك؟ (يوصد الباب الجانبي

الأيـسر) الأمتعة مرصوفة هنا، ينبغي أن نوصد. هيا

بنا!..

أنـيـا: وداعا بيتنا! وداعا حياتنا القديمة!

تروفيـموف: مرحبا بالحياة الجديدة!.. (يخرج مع أنيا)

(فأريا تطوف ببصرها على الغرفة وتنصرف على مهل. يخرج ياشا

وشارلوتا ومعها كلبها)

لوباخـين: إذن فألى الربيع. اخرجوا ياسادة.. إلى اللقاء!...

(ينصرف)

(لوبوف أندريـفنا وجايـف يبقيان معا. وكأنما كانا ينتظران ذلك، إذ هب

كل منهما يعانق الآخر وراحا ينتحبان نحيبا مكتوما، بصوت خافت،

خشية أن يسمعهما أحد)

جايـف: (فى يأس) يا أختي، يا أختي..

لوبوف أندريـفنا: يا بستانى العزيز، بستانى الرقيق الرائع!.. يا حياتي،

ياشبابي، يا سعادتي.. وداعا!..

(صوت أنيا المرح ينادى: «ماما!..» صوت تروفيموف

المرح المنفعل يصيح: «أووو»)

لوبوف أندرييفنا: لأتطلع للمرة الأخيرة إلى الجدران، إلى النوافذ.. كانت

المرحومة أُمى تحب السير فى هذه الغرفة..

جايـف: يا أختى، يا أختى!..

(صوت أنيا: «ماما!..» صوت تروفيموف:

«أووو!..»)

لوبوف أندرييفنا: نحن قادمان!..

(ينصرفان)

(الخشبة خاوية. يسمع صوت الأبواب وهى توصلد كلها بالمفاتيح، ثم

صوت رحيل العربات. يسود الهدوء. وسط السكون تتردد ضربة فأس

مكتومة على شجرة، فترن وحيدة حزينة. يسمع وقع خطوات. من الباب

الأيمن يظهر فيرس. يرتدى ملابسه المعتادة: السترة والصديرية البيضاء،

وفى قدميه شبشب هو مريض).

فـيـرس: (يقترّب من الباب ويشد المقبض) مغلق سافروا..

(يجلس على الكنبه) نسونى.. لا بأس.. سأجلس

هنا.. لا بد أن ليونيد أندرييتش نسى أن يرتدى معطف

الفراء، وذهب بمعطف الخريف.. (يتنهد مهمومًا) أنا

لم أنتبه.. طيش الشباب! (يدمد بشيء لا يمكن فهمه)

مر العمر، وكأنما لم أعش (يضطجع) سأرقد قليلا ليس

لديك أية قوى، لم يتبق شيء أبدًا.. آه.. يالك من مغفل!

(يرقد بلا حراك)

(يسمع صوت من بعيد، كأنما آت من السماء، صوت وتر تمزق، صوت متلاش، حزين. يحل الصمت ولا تسمع إلا ضربات بالفأس على شجرة بعيدا في البستان).

(ستار)



أنطون تشيخوف (١٨٦٠ - ١٩٠٤) بالنسبة للكثيرين من المهتمين بالأدب في كل أنحاء العالم هو أعظم كُتّاب القصة القصيرة ورائدها الأهم. كما لا يقل أهمية عن ذلك ككاتب مسرحي وروائي استطاع عبر أعماله العديدة أن يحفر اسمه في ذاكرة الإنسانية، وأن يرسخ قيماً فنية تحولت إلى مدارس ومذاهب في الكتابة، مازالت فاعلة ومؤثرة حتى الآن..

هنا نقرأ أعمال تشيخوف بترجمة "أبو بكر يوسف" والتي تصدر في ٤ أجزاء (الأعمال القصصية - الروايات القصيرة - الروايات - المسرحيات)، وهي الترجمة التي يحرص الكثيرون على اقتنائها كترجمة متكاملة نقلت النص بحب فخرج على درجة عالية من الحساسية اللغوية الأخاذة. هذا هو المجلد الرابع.. يضم المسرحيات الخالدة لتشيخوف وهي (حول مضار التبغ، الدب، النورس، الخال فانيا، الشقيقات الثلاث، بستان الكرز).

